الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحيى فارس المدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المقاربة الموضوعاتية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر

- يوسف وغليسي أنموذجًا -

أطروحة مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه ل م د في اللغة العربية وآدابها

شعبة: الدراسات النقدية
تخصص: نقد حديث ومعاصر

إعداد الطالب:
بهيليل عمر

إشراف الأستاذ:
محمد السعيد عبدلي

الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة:

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
01	محمد زوقاي	أستاذ التعليم العالي	رئيسًا	جامعة المدية
02	محمد السعيد عبدلي	أستاذ التعليم العالي	مشرفًا ومقررًا	جامعة البليدة
03	خلف الله بن علي	أستاذ التعليم العالي	عضوًا مناقشًا	جامعة تيسمسيلت
04	بن أحمد نورين فؤاد	أستاذ محاضر"أ"	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية
05	مكي محمد	أستاذ محاضر"أ"	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية
06	فاطمة الزهراء عقال	أستاذة محاضرة"أ"	عضوًا مناقشًا	جامعة المدية

﴿السنة الجامعية:2024/2023﴾



الإهداء

إلى رمز المحبة والمودة والحنان أمي الغالية

إلى سندي، من كان له الفضل في تربيتي، والدي الكريم

إلى روح جدتي الطاهرة

إلى زوجتي، وحبيبيّ قلبي ولديّ معاذ وفرح

إلى الدكتور المشرف محمد السعيد عبدلي

إلى كل إخوتي وأخواتي وأولادهم

إلى كل أصدقائي وزملائي وتلاميذي

أهدي هذا الجهد العلمي

مقدمـــــة

مقدمة:

إنّ المتتبّع لحركة النقد الأدبي عبر العصور يسجِّلُ تَعدُّدَ المناهج النقدية التي لازمت حركـةَ الإنتـاج الأدبـي، فاتحـةً المجـال أمـام مُمَارسـي النقـد الأدبـي للكشـف عـن مكنونـات النصـوص الأدبيـة الإبداعيـة، وتحليلها وفق منهج معيَّن من هذه المناهج النقدية المعروفة، السياقية منها كالمنهج التاريخي أو النفسي أو الاجتماعي، أو النّسقية منها كالمنهج البنيوي أو الأسلوبي أو السيميائي أو الموضوعاتي أو غيرها من المناهج النقدية الحديثة والمعاصرة، وليس ثمة ما يدعو إلى التقليل من شأن هذه المناهج النقديّة سالفـة الذكر، غير أن لكل منهج منها أدواته وآلياته الخاصة التي يعتمد عليها في دراسة النصوص الإبداعية وتحليلها، وفق نظريات ورؤى فلسفية، وزوايا متعددة يُنظر من خلالها إلى العمل الإبداعي.

وقد شـهدت السـاحة النقديـة فـي ستينيـات القرن العشريـن ميلادَ منهجٍ نقديٍّ يروم الكشفَ عن النواة المشكِّلَةِ للأعمال الإبداعية، ويرصد تعديلاتها المستمرّة التي تُشكّلُ عالم النص الأدبي. وقد تعدّدت تسميات هذا الاتجاه النقدي، لكن أغلبية النقاد يُجمعون على تسميته بـ " المنهج الموضوعاتي ".

ولعلّ الملـمَّ بالمدوّنـة النقديـة الجزائريـة المعاصـرة يُؤكد حضـور هذا المنهـج سـالف الذكر في الخطـاب النقدي الجزائـري المعاصـر، لاسيمـا والأعمال التي قدّمهـا نقـادنا من أمثـال الدكتور "محمد السـعيد عبدلي" والدكتور "يوسف وغليسي" وكذا الدكتور "محمد مرتاض"، والدكتورة "مسعودة لعريط".

ومن هنا اهتدينا إلى فكرة دراسة هذا المنهج النقدي، فأردنا المُساهمة ولو بالنزر القليل في إزاحة شيء من هذا الغموض الذي يُميّزُ هذه المقاربة النقديّة، من خلال بحثنا الموسوم بـ" المقاربة الموضوعاتية في الخطاب النقدي الجزائري المُعاصر- يوسف وغليسي أنموذجًا-".

ونهدف من خلال بحثنا هذا إلى إبراز إسهامات النُقاد الجزائريين في المجال التطبيقي للمنهج الموضوعاتي، وذلك بالدراسة والتحليل لهذه الجهود التي بُذلت من قِبل النُقاد عامة، والجزائريين منهم على وجه الخصوص، مُركِّزين في ذلك على الأعمال التي أنجزها الناقد الجزائري " يوسف وغليسي " في هذا المضمار. وذلك من خلال الإجابة على الإشكالية التي نطرحها وهي:

ما مدى حضور المنهج الموضوعاتي في الحركة النقدية الجزائرية المعاصرة؟ وكيف تم للخطاب النقدي الجزائري احتضان هذا المنهج من خلال المدوّنة النقدية للناقد الدكتور يوسف وغليسي؟

وضمن هذه الإشكالية نطرح التساؤلات الموالية:

ـ ما هو المنهج الموضوعاتي، وما هي أهم مصادره ومرتكزاته؟

ـ ما هي الأدوات والآليات الإجرائية التي يوظفها هذا المنهج ؟

ـ ما هي أهم الجهود النظرية والتطبيقية الموضوعاتية غربيًّا وعربيًّا؟

ـ كيف قدّم الناقد يوسف وغليسي هذا المنهج ؟

وبغية تحقيق الهدف من هذا البحث والمتمثّل في تبيان الجهود النظرية والتطبيقية التي أنجزها الباحثون الجزائريون في مجال النقد الموضوعاتي وللإجابة عن إشكاليته الرئيسية والتساؤلات التي تفرّعت عنها، صدّرْنا بحثنا هذا بمدخل تحدثنا فيه عن التحوّلات المفصلية التي شهدها النقد الأدبي في انتقاله من المناهج السياقية إلى المناهج النّصانية عبر مختلف الفترات الزمنية. ثم قسّمنا بحثنا هذا إلى ثلاثة فصولٍ: خصّصنا الفصل الأول للحديث عن مفهوم المنهج الموضوعاتي، وموطن نشأته، كما قمنا بإبراز الأصول الفكرية لهذا المنهج،

وعلاقته بغيره من المناهج النقديّة، مُحدِّدين في ذلك الأدوات والآليات الإجرائية التي تقوم عليها هذه المقاربة النقدية.

أما الفصل الثاني لهذا البحث فقد عرضنا فيه الجهود النظرية والمنجزات التطبيقية الموضوعاتية غربيًّا وعربيًّا. وتكملة لهذه الجهود قمنا في الفصل الثالث بتسليط الضوء على التجربة النقدية الموضوعاتية عند الناقد الجزائري "يوسف وغليسي". وقفنا من خلال هذا الفصل على مفهوم المنهج الموضوعاتي عنده، كما كشفنا عن المرجعيات المعرفيّة التي يستند الناقد عليها، وقُمنا بمقارنة بين تجربته ـ والحديث دائمًا عن الناقد "يوسف وغليسي" ـ والنماذج العربية الأخرى. وفي ختام هذا الفصل وضّحنا رؤيتنا النقدية في تطبيق هذا المنهج عند الناقد "يوسف وغليسي". وفي خاتمة هذا البحث حاولنا التطرّق إلى أهم النتائج التي توصّلنا إليها، مع ذكرٍ لقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها، مع ملخص للبحث باللغتين العربية والفرنسية.

ولما كانت طبيعة بحثنا تقتضي اتّباع منهج مُحدّدٍ، فقد رأينا أنّ المنهج المناسب لهذا العمل هو المنهج الوصفي، لأنّ عَمَلَنا الأساس تمثّل في وصف الكيفية التي قدّم بها الناقد "يوسف وغليسي" المنهج الموضوعاتي لجمهور دارسي النقد الأدبي ومُتتبّعيه، كما استعنّا بالمنهج التاريخي في تتبّع حركة هذا المنهج النقدي غربًا وشرقًا وفق ما تيسّر من مآخذ وجهود. هذا وقد استعنا كذلك بالمنهج المقارن في إقامة موازنة بين التجربة النقديّة الموضوعاتية للدكتور "يوسف وغليسي" والنماذج العربية الأخرى.

ومن بين المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها بشكل لافت، وقد شكّلت ركيزةً أساسية في عملنا هذا المُؤلفاتُ التالية:

ـ " الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب " لعبد الكريم حسن.

ـ " النقد الموضوعاتي " لسعيد علوش.

ـ " سحر الموضوع " لحميد لحمداني.

ـ " المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي أسسه وإجراءاته " لمحمد السعيد عبدلي.

ـ " التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري " ليوسف وغليسي.

هذا إلى جانب بعض الدراسات السابقة والمتمثلة في الأطاريح الجامعية والتي لها علاقة بموضوع بحثنا هذا، فقد اطّلعنا عليها من جانب الاستئناس فقط ونذكر منها كذلك:

ـ أطروحة دكتوراه علوم لصاحبتها " إيمان مرداسي" والموسومة بـ(تلقي النقد الموضوعاتي في النقد المغاربي ـ مقاربة في نقد النقد ـ) تحت إشراف الدكتور " صالح خديش" جامعة العربي التبسي ـ تبسة ـ 2020/2019.

ـ رسالة ماجستير لصاحبتها " نجاة بشير" والموسومة بـ(المنهج الموضوعاتي في نقود الجزائريين ـ محمد مرتاض ـ) تحت إشراف الدكتور " محمد عدلان بن جيلالي" جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2015/2014.

والاشتغال على موضوع بحثنا هذا كان صعبًا للغاية، ووجه الصعوبة فيه يكمن في قلة المراجع التي تتناول هذا الاتجاه النقدي، ولأنّ هذا المنهج غربي المنشأ فإنّ أغلب مراجعه الأولى كانت باللغة الفرنسية، وحال الترجمة في بلادنا لا تخفى على أحدٍ، ولا أدلّ على ذلك

ما نتخبّط فيه اليومَ من أزمة تُدعى"أزمة المصطلح"، وقد شهدنا في بحثنا هذا أُولى مشاكل الترجمة هي أنّ النُقاد لم يُجمعوا على تسمية واحدة لهذه المقاربة النقدية.

وختامًا لا يفوتنا أن نُسدي عبارات الشكر والتقدير إلى أستاذنا المُشرف الدكتور " محمد السعيد عبدلي " الذي وقف معنا ورافقنا بنصائحه وتوجيهاته المستمرة في هذا البحث منذ أنّ كان فِكرة إلى أنّ أتممناه على هذا الوجه. فجزاه الله عنّا كل خير.

والشكر موصول أيضًا لجامعتنا "جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية" التي أحاطتنا بكل عناية ومرافقة، موجّهِين شُكرنا أيضًا إلى أساتذتنا بقسم اللغة والأدب العربي، وبخاصة المُتخصّصين منهم في مجال الدراسات النقدية الأدبية، دون أن ننسى كل من مدّ لنا يد العون في هذا العمل من قريبٍ أو بعيدٍ.

ط. د.عمـر بهيليل

جـامعة المديـــة

ماي 2023

مدخـــــــل

مدخل: تحوّلات النقد الأدبي

سـار النقـد فـي ركـاب الأدب منـذ أن جـادت قرائـح المبـدعين مـن الكُتـاب والشعـراء بصنـوف الأدب وأجناسـه. وقـد تعـايش الاثنـان معًـا جنبًـا إلـى جنـبٍ، فـالأدب هـو مـدار النقـد وحقلـه الـذي يعمـل فيـه، فهمـا فـي تمـاسٍ دائـم، لا وجـود لأحدهمـا دون الآخـر. وفـي هـذا يقـول "عبـد العزيـز عتيـق":« الأدب هـو موضـوع النقـد وميدانـه الـذي يتحـرك فيـه، فهـو يبحـث فـي الأدب وصـناعته وأنواعـه، وفـي الأدبـاء ونتـاجهم، وفـي مميـزات الشـعراء والكُتّـاب وفـي السـمات المميِّـزة للعصـور الأدبيـة »[1]. ولنـا فـي هـذا القـول مـا يشـير إلـى أنّ عمـل النقـد يتمحـور فـي الفحـص الثـاقب لـلأدب بغيـة الكشـف عـن فحـوى صنـاعته وأنـواعه وكـذا فـي تسليـط الضـوء علـى المبـدعين مـن الأدبـاء والشعـراء ونتـاجهم الفكري.

وإذا كـان الأدب يقـوم علـى عنصـر الخيـال ويسـتمد منـه مرجعيتـه وعليـه يتكـئ فـإنّ النقـد يقـوم علـى المعـرفة والدربـة وهـذا مـا أشـار إليـه الدكتـور "عبـد الملـك مرتاض" بقوله:« فالكتابة أدب قوامه الخيال، والنقد كتابة قوامها المعرفة »[2].

إنّ النقـد بهـذا المفهـوم هـو صـناعة وحرفـة تحتـاج مـن صـاحبها دربـة ومعرفـة عميقتين بقضـايا الأدب والنقـد معًـا. والنقـد حاليًـا أحـوج مـا يكـون إلـى هـذا مـن ذي قبـل. ذلـك لأنّ النقـد سَـلك مسـالك متعـددة أوجدتهـا ظـروف ودواعٍ أحاطـت بـالأدب، فغيّـرت بـذلك نظـرةَ النقـد واتجاهاتـه وزوايـاه، وفـي هـذا الصـدد نجـد بعـض التفصـيل فـي قـول الدكتـور "صـالح هويـدي" إذ يقـول:« إذا مـا أخـذنا النقـد بمعنـاه الحـديث وتطـور آفـاقه فـي أيـامنا هـذه ولـيس بمعنـاه السـاذج البسـيط فلقـد صـار النقـد نشـاطًا معرفيًّـا ينطـوي علـى ألـوان مـن الثقـافات، ويسـتظلّ بصنـوف مـن المعـارف، وضـروب مـن المنـاهج والنظريـات التـي لا تسـمح بحمـل صـفة النـاقد إلاّ لمـن تَسلَّـح بعُدتـها، وامتلـك موهبـة،

[1] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1972، ص 5.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط1، 2005، ص30.

وحـاز علـى خبـرة ودربـة طـويلتين»[1]. وغيـر بعيـدٍ عـن هـذه الأفكـار والمعـاني نجـد الـدكتور "عبـد الملـك مرتـاض" يـتلامس حُكمـه مـع حكـم الـدكتور "صـالح هويـدي" وذلـك مـن خـلال مـا جـاء فـي قولـه:« لا يمكـن لأيٍّ مـن النـاس أن يـأتي إلـى شـعرٍ أو نثـر ثـم يعمـد إلـى نقـده، بـل لا منـاص لـه مـن أن يمـارس النقـد زمنًـا طويـلاً كـي يكتسب الخبرة، ويمتلك التجربة الكافية لتجعل منه الحَكَم، لتُرضى حُكومته»[2].

ففـي القـول الأول إشـارة إلـى مـا كـان متـداولاً فـي بـاب النقـد بأصـوله التقليديـة المعروفـة القـائم علـى الـذوق والعـاطفة، فهـو لا يرتكـز علـى قواعـد مضبـوطة أو قـوانين تحكمـه وتحـدّد وجهتـه وطريقـة عملـه، وهـذا مـا عرفـه العصـر الجـاهلي،(فقـد رُويَ أنّ النابغـة الـذبياني كانـت تُضْـرَب لـه قبّـة مـن أدم ويقـف فـي سـوق عكـاظ، إذ تأتيـه الشـعراء مـن كـل مكـان فيقـف حكمًـا بيـنهم، فـيحكم للشـاعر علـى آخـر ولقصـيدة علـى أخـرى وربمـا لبيـتٍ مـن الشعـر علـى بيـت آخـر، والحقيقـة أنّ هـذه الأحكـام كانـت تفتقـر للتعليـل والبرهـان، فهـي قـائمة علـى الذائقـة الشـعرية والعاطفـة التـي قـد تجانـب الصـواب فـي كثيـر مـن الأحيـان، كمـا أنّهـا أحكـام سـاذجة تقـوم علـى الاستحسـان أو الاسـتهجان)[3]. وفـي القـول الثـاني الـذي جـاء بـه "عبـد الملـك مرتـاض" تأكيـد علـى أنّ الممارسـة النقـديّة ليسـت بالعمـل الهـيّن، بـل هـي تحتـاج إلـى تـدقيق وتمحـيص وصبرٍ كبيرٍ وتجربة طويلة.

والنقـد علـى هـذا حـالُه أشـبهُ مـا يكـون بوظيفـة القضـاء، وقـد أشـار الدكتـور "عبـد الملـك مرتـاض" إلـى ذلـك بقولـه:« النقـد قـام علـى وظيفـة تشـبه الوظيفـة القضـائية لـدى القـاضي بحيـث لا منـاص لصـاحبه مـن إصـدار الأحكـام، ومحاولـة

[1] صالح هويدي، المناهج النقدية الحداثية أسئلة ومقاربات، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2015، ص18.

[2] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط1، 2005، ص39.

[3] عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط2، 1972، ص 28

التـدقيق فـي الأوصـاف لـدى إصـدار الأحكـام التـي أهـم مـا كـانت تقـوم عليـه لـدى قـراءة الإبـداع: هل هو جيّد أو رديء؟ »[1].

وإذا تبصّرنـا فـي قـول "عبـد الملـك مرتـاض" سـالف الـذِّكر يتضـح لنـا أنّ وجـه الشـبه بـين الأحكـام النقديّـة الأدبيّـة والأحكـام القضـائية يكمـن فـي فقـه الأحكـام وتطبيقهـا لـدى القاضـي أو الناقـد الأدبـي، غيـر أنّ الفـرق واسـع بـين وظيفـة الناقـد ووظيفـة القـاضي، فلـيس هنـاك إدانـة تـامة فـي الأدب ولا بـراءة تـامة، لأنّنـا لسـنا بـإزاء منظـومة نقديّـة واحـدة كمـا نحـن بـإزاء منظـومة قانونيّـة واحـدة. وفـي منظومتنـا النقديّـة الحديثـة مـا يُشـير إلـى أنّ مهمـة الناقـد أصـعب بكثيـر مـن مهمـة الأديـب لأنّ الأوّل دارس، والدراسـة تحتـاج إلـى أدوات ومنـاهج إلـى جانـب مـا أسـلفنا ذكـره مـن ذي قبـل مـن دربـة ومعرفـة، ينبغـي أن يتسـلّح بهـا مـن يبتغـي الـولوج إلـى حقـل الدراسات النقديّة، في حين أنّ الثاني لا يحتاج كلّ هذه الشروط والأدوات.

إنّ الأديـب علـى كـل حـال هـو مبـدع، يحـاول التعبيـر عـن هواجسـه ومـا يختلج فـي صـدره مـن أحـاسيس ومشـاعر، ومـا يسـتجمعه مـن تجـارب تشـكّل صـلب ثقافتـه ومختلـف آرائـه. وفـي صـلب هـذا الحـديث يقـول الدكتـور" الطـاهر أحمـد مكـي":« لـم يعـد مـوضـوعنا الأدب وإنّمـا النقـد، والفـارق بينهمـا أنّ الأدب تعبيـر علـى نحـو مـا عـن الحـدس بالأشيـاء، والنقـد علـى النقيـض لأنّـه الدراسـة الثقـافية الدقيقـة لذلك التعبيـر، فالأدب تعبير والنقد دراسة »[2].

ولا يخـرج النقـد عـن كونـه إبـداعًا وإعـادة خلـقٍ، ومـن التجّنـي أن نعُـدَّ النقـاد عيـالاً علـى موائـد المبـدعين حتـى وإن كـان منطلـق كـل نقـدٍ هـو إبـداع يسـتند إليـه ويسـتقي منـه مـواد إبداعـه. ولنـا فـي هـذا المنحـى الكثيـر مـن الشـواهد فكـم مـن شـعراء كـانوا مغمـورين فـي طيّـات تاريخنـا الأدبـي وكـانوا يُصـنَّفون ضـمن آخِـر الطبقـات مـن

[1] عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط1، 2005، ص25.

[2] الطاهر أحمد مكي، مناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1991، ص3.

الشعراء حتى جاء مِن النقّاد مَن وضعهم تحت الأنوار كما في طبقات الشعراء لابن سلاّم الجمحي مثلاً، وكبعض الشعراء المغمورين (الأمويين على الخصوص) حتى تصدى لهم طه حسين في كتابه الأشهر "حديث الأربعاء"، فنقلهم من المجهول إلى المعلوم، ونضرب مثالاً بالعرجيّ ومسلم بن الوليد.

من خلال ما تقدَّم ذكره تتجلّى لنا صورة جديدة للنقد الأدبيّ، فقد حاول النقد أن يُساير الركب الحضاري وهو يأبى أنّ يتموقع في مكانٍ لا يبرحه، ويتقوقع على نفسه وعلى أحكامه البالية التي تجاوزها تطوّر النقد، حتى ما عادت تفيد النقد في شيءٍ إلاّ ما يذكر لها من محاسن في التوطيد لمنظومة النقد في أولياته.

إنّ النقد الأدبيّ قد وصل اليوم إلى مرحلة متطورة جدًا تستحقّ التأمّل، بعد أن تعددت مناهجه وآلياته وأسسه وإجراءاته، كلٌّ حسب خلفياته ونظرياته التي يصدُر عنها وزواياه التي يُنظر من خلالها إلى النص الأدبيّ، فقد عرف النقدُ العديدَ من المناهج السياقيّة كالمنهج التاريخي والاجتماعي والنفسي، وأخرى نسقيّة كالمنهج البنيوي والأسلوبي والسيميائي وغيره، وقد أحيطت هذه المناهج بالدراسات الوافية تنظيرًا وتطبيقًا من لدن الباحثين والنقاد الغربيين وغيرهم من النقاد العرب.

ثمة منهج نقديً لا يزال يشكو الضبابية والغموض وصرف النظر عنه رغم ما يُقدّمه من خدمة جليلة للنص الأدبيّ، هذا المسلك النقديّ هو ما يطلق عليه تسمية " المنهج الموضوعاتي ". فهو أحد المناهج النقديّة الحديثة التي لم تلق رواجًا كبيرًا في الساحة النقديّة، ولا يزال هذا المنهج يفتقر لرؤية واضحة المعالم في تحديد مفهومه ومرتكزاته، رغم الجهود المبذولة من قِبل بعض المتخصصين في حقل الدراسات النقديّة الغربيّة والعربيّة بغية إماطة اللّثام عن هذا المسلك النقديّ، والبحث في أسسه التي يقوم عليها وإجراءاته العمليّة التي ينفرد بها دون غيره من المناهج النقديّة، فتمنحه بذلك التميّز في عالم النقد.

الفصـــــل الأول

الفصـــل الأول

المنـهج الموضوعـــــاتي (الروافـد والأصـــــول)

* تمـهيد

1 ـ المنـهج الموضوعـاتي مفهومه ونشأته.

2 ـ الأصـــول الفكريّــة للمنـهج الموضوعـاتي.

3 ـ علاقة المنـهج الموضوعـاتي بغيره من المنـاهج النقديّة.

4 ـ الأدوات والآليات الإجــرائيّة للمنـهج الموضوعـــاتي.

*** تمهيد:**

نحاول ضمن هذا الفصل أن نقف عند مفهوم المنهج الموضوعاتي في جانبيه اللغوي والاصطلاحي، لنشير بذلك إلى صعوبة الوصول إلى تعريف متَّفَقٍ عليه لهذا المنهج لدى النقّاد، ونبيّن بعد ذلك ظروف ومكان نشأته، لننتقل فيما بعد إلى عرض الأصول الفكرية التي انبثق عنها هذا المنهج النقدي، كالفكر الظاهراتي والفكر الوجودي وكذا الفكر الرومانسي، ونبيّن بعدها علاقة هذا المنهج بغيره من المناهج النقديّة الأخرى كالمنهج البنيوي والمنهج الأسلوبي، والمنهج النفساني، ونختم بعد ذلك هذا الفصل بإبراز مرتكزات المقاربة النقدية الموضوعاتية، وتحديد الأدوات والآليات الإجرائية التي يعتمد عليها هذا المنهج في سبر أغوار الأعمال الأدبية قصد معرفة النواة المشكِّلة لهذه الأعمال والكشف عن سلسلة تعديلاتها المتنوعة.

1/ المنهج الموضوعاتي مفهومه ونشأته:

1/1 تحديد مفهوم المنهج الموضوعاتي

1/1/1: المفهوم اللغوي

ليس من اليسير الوقوف بدقّة على تحديد مفهوم واضح للمنهج الموضوعاتي وذلك لأنّه يتميّز بالغموض والإبهام بسبب تعدّد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية. وقد ورد هذا الرأي على لسان "جميل حمداوي" بقوله:« ومن الصعوبة بمكان، تحديد المفهوم اللغوي للنقد الموضوعاتي بكل دقة ونجاعة؛ نظرًا لتعدّد مدلولاته الاشتقاقية والاصطلاحية، ومن ثم فليس هناك ما هو أكثر إبهاما

من الموضوعاتي، حتى ونحن نعود إلى جذر الكلمة في استقصاءٍ لدلالاتها وقراباتها الضمنية والخفية، واكتشافاتها للبنيات الفكرية للأعمال»[1].

وهنا لا نكون قد جانبنا الصواب إذا قلنا بأنّ النقد الموضوعاتي يُعاني الضبابية والغموض في تحديد ماهيته اللغوية، وهذا بشهادة العديد من المهتمين بالدراسات النقديّة، وذلك راجعٌ بالدرجة الأولى لقضية ترجمة المصطلح من اللغة الأجنبيّة إلى اللغة العربيّة ضف إلى ذلك أنّ منظومتنا النقديّة العربية تعاني أزمة تُدعى أزمة المصطلح. فقد جاء على لسان الدكتور" يوسف وغليسي" أنّ « الموضوعاتية (thématique) أو ما يسميه بعض الفرنسيين في سياقات استعماليّة محدودة : علم الموضوع (thématologie) هي الآليات المنهجيّة المُسَخَّرة لدراسة الموضوع في النص الأدبي»[2] .

ففي هذا التعريف تبيان أنّ الموضوعاتية هي منهج وطريقة تعتمد على مجموعة من الأدوات والآليات التي تُستعمَل في تحليل النص الأدبي من أجل تحديد موضوعه، وبالعودة إلى أصل اشتقاق هذه الكلمة " الموضوعاتية " (la thématiqhe) نجدها تُشير إلى عدة معانٍ مُترادفة ومنها: الموضوع والغرض، والتيمة، والمحور، والفكرة الأساسية والعنوان والحافز والبؤرة، والمركز، والنواة الدِلالية، وهذا ما ذهب إليه الدكتور"جميل حمداوي" كذلك بقوله:« يُشتَقُّ مصطلح الموضوعاتي (thématiqhe) في الحقل المعجمي الفرنسي من كلمة (théme) وهي التيمة، وترد هذه الكلمة بعدة معان مترادفة

[1] جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، (www.alhkah.net) في: 2011/04/28.

[2] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص148.

كالموضوع والغرض والمحور والفكرة الأساسية والعنوان والحافز والبؤرة والمركز والنواة الدلالية...الخ»[1].

ولعلّ ما يبدو جليًّا للعيان هو ارتباط الموضوعاتية بكلمة " الموضوع "، ولذلك كان لابد أن نقف عند مفهوم كلمة الموضوع وما تحمله من دلالات. فقد جاء في لسان العرب لـ" ابن منظور":« الموضوع اسم مفعول: ما أُضمِر ولم يُتَكلَّم به، والمرفوع ما أظهره وتكلّم به »[2]. والوضع: ضد الرفع، وَضَعَهُ، يَضَعُهُ وَضْعًا ومَوْضُوعًا، والموضوع: جمع موضوعات ومواضيع. أما الموضوع في محيط المحيط هو:« الشيء الذي عُيّن للدلالة على المعنى والمُشار إليه إشارة حسيّة»[3]. كما نجد له كذلك تعريفًا في معجم الوسيط فالموضوع هو:« المادة التي يَبْنِي عليها المتكلِّمُ أو الكاتبُ كلامَه »[4]. والموضوع: اسم مخصوص بالعرض، يقال موضوع البياض والسواد، وغير ذلك، ولا يقال موضوع الجوهر، بل محلّ الجوهر، وهو عبارة عن المبحوث بالعلم عن أعراضه الذاتية[5].

إلى جانب ما ورد في قاموس لاروس (Larousse) إذ أن كلمة موضوع (Théme) تُشير إلى معنى المادة (Matiére) وعلى العموم هي كذلك تُحيلنا إلى مفهوم الموضوع (Sujet)[6]. (وحينما ننظر في القاموس الفرنسي (La Land) فإنّنا نُميّز للموضوع اتجاهين معرفيين، أولهما: يُحيلنا إلى القضية أو المسألة التي تستدعي التبصُّر أو التأمُّل وثانيهما: إشارة إلى مقاربة ملازمة

[1] جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، (www.alhkah.net) في: 2011/04/28.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994، ص 230.

[3] بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، مطابع تيبوبراس، 1993، ص974.

[4] إبراهيم مصطفى و آخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط4، 2004، ص1040.

[5] أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998، ص827/868.

[6] Dictionnaire de Français. Larousse. Paris. France. 2005. P.421

للموضوع في جانب التطوير الذي قد يُصاحبه دون تجريده المسبق بشكل كلّيٍّ)[1]. في حين أنّ "جون بول ويبر" يورِدُ الموضوع على أنّه:« الأثر الذي تتركه ذكرى من ذكريات الطفولة في ذاكرة الكاتب»[2].

فهو بهذا التعريف يحاول الربط بين الموضوع واللاشعور، فالذكريات التي تشكّل جزءًا من حياتنا الطفولية تبقى راسخة في الذهن وهي تتزاحم في التجلّي ضمنيًّا في كتاباتنا، بل تجدها في كثيرٍ من الأحيان هي الباعث على الكتابة والتدوين، وهنا نشير إلى أنّ هذه النقطة هي همزة وصل بين التحليل الموضوعاتي والتحليل السيكولوجي الذي سنحاول التفصيل فيه لاحقًا.

ويضع كذلك "ميشيل كولو" تعريفًا للموضوع بكونه:« مدلول فردي خفيّ ومادي، ويعبّر عن العلاقة الانفعاليّة لكائن مع العالم الحسّاس، يظهر ضمن النصوص من خلال تكرار متجانس للتبدلات ويشترك مع موضوعات أخرى من أجل بناء الاقتصاد الدِلالي والشكلي لعمل ما»[3].

فهو بهذا التعريف يَعْتبر الموضوعَ نتاجَ التفاعلِ الحاصل بين المبدع والعالم المحسوس، حيث يُعَدُّ التكرار كاشفًا لهذا الموضوع، وبفضل الاتحاد مع المواضيع الأخرى يتشكّل النص الأدبي، ويتّحد "جان بيار ريشار" مع "ميشيل كولو" في هذه الرؤية للموضوع، حيث يرى أنّ الموضوع هو:« مبدأ تنظيمي محسوس، تصَوُّر أو شيء ثابت، ينزع العالم ـ من حوله ـ إلى التشكّل والامتداد،

[1] محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي(الأسس والمفاهيم)، مؤسسة واحة الدرر، (dorarr.ws)، 2011، ص11.

[2] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص 149.

[3] ميشيل كولو، النقد الموضوعاتي، تر. غسان السيد، مجلة (الآداب الأجنبية)، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، السنة 23، العدد 93، 1997، ص 35.

والأهم فيه هو هذه (القرابة السرية) بتعبير "مالارميه"، أي هذه الهوية الخفيّة (identité cachée) التي تتجلى في مظاهر متنوعة »[1].

وفي هذا التعريف كذلك دليل على أنّ الموضوع يأخذ صفةً منظَّمةً محسوسة، وهو قبل كل شيء عبارة عن تصوّرٍ حاصل في الذهن يتميّز بالثبات، ثم يبدأ في التشكّل في صور متقاربة تتآلف في شكل عائلة لغوية، أو كما عبّر عنها "ريشار" (بالقرابة السرية). وقد عَرّف "جبور عبد النور" الموضوع بأنه:« مضمون ما، يجول في خاطرنا وليس هو ذاتنا. وفي هذا المعنى يدل الموضوع على إحساس، أو عاطفة، أو صورة، وليس بالضرورة على شيء موجود في العالم. ماله وجود في ذاته، مستقل عن الفكرة التي تكون في ذهننا عنه. موضوع الكلام: المادة التي يجري عليها البحث شفويا أو خطيًّا، ومن ذلك قولنا:« موضوع الرواية، موضوع النقاش، موضوع المحاضرة »[2].

وعلى هذا القول يكون للموضوع علاقة بما يختلج في النفس البشريّة من هواجس وعواطف وأحاسيس، فيبتعد الموضوع بذلك عمّا خرج عن النفس وما ألمّ بها. وغير بعيدٍ عن هذا " فسمير حجازي" يرى أنّ الموضوع هو:« ما يدور حوله الأثر الأدبي بصورة مباشرة أو غير مباشرة، أو هي الفكرة الجوهرية التي أراد المبدع التعبير عنها، وهو عنصر أساسي في الدراسة السوسيولوجية أو النفسية، ولا يُعْتَدُّ به في الدراسة البنيوية الشكلية »[3] ، ولا يستبعد في هذا القول أن تكون الفكرة الجوهرية تتعلّق بما يدور في نفس المبدع من عواطف وأحاسيس. وعلى كل حال، ففيما تقدّم ذكره تبيانُ أنّ النقد الموضوعاتي يشير في كل حدوده

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص 151.

[2] جبور عبد النور، المعجم الأدبي،دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط2، 1984، ص272.

[3] سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001، ص138.

الدلالية إلى أنّه يقوم على رصد الموضوع الذي يختصّ به النص الأدبي ولا يَخرج عنه.

2/1/1 المفهوم الاصطلاحي:

يُشير النقد الموضوعاتي إلى ذلك المنهج والطريق الذي يسلكه الناقد الأدبي لكي يكشف لنا عن تلك النواة الرَّحِميَّة التي تمخّضَ عنها النصُّ الأدبي، فيكشف بذلك عمّا كان سببًا في وجود هذا العمل الإبداعي، وعن العلاقات التي تحكمه وعن عبقرية صاحبه، فأنت بهذا المسلك النقدي بصدد رحلة استكشافية في عالم النص. إذ يُشكِّل المنهجُ الموضوعاتي توجّهًا نقديًّا متميّزًا، حينما يبسط جناحيه لكل ناقدٍ متمرِّسٍ كي يُحلِّق في عالم النص، فيكشفُ عن المخبوء فيه وعن النواة المُشَكِّلة له، ويُبرِزُ العلائقَ التي تحكمه، ويمنح القارئ قدرة على فهم النص، غير أنّ الحاصل أنّ هذا المنهج قد تعدّدت مفاهيمه وذلك بحسب أعلامه ومختلف توجهاتهم ونظرياتهم التي يعتمدونها. وعلى العموم فروّاد هذه المقاربة النقديّة يُجمِعون على أنّها جزء من النقد الجديد الذي ظهر في فرنسا حديثًا فهو بحسب ذلك:« يُشكِّل في (معجم المصطلحات الأدبيّة) جزءا من النقد الجديد في فرنسا وهو منهج في القراءة النقديّة، يسعى من خلال دراسة الثوابت الموضوعاتية وعودة الموتيفات، إلى إبراز انسجام العالم الخيالي مع المقصدية العميقة للكاتب»[1]. وقد أورد الباحث " سعيد علوش " تعريفًا آخر للنقد الموضوعاتي نصه:« النقد الموضوعاتي بحث عن النقاط الأساسيّة التي يتكون منها العمل الأدبي، ومقاربة الكشف عن هذه النقاط الحسّاسة التي تجعلنا نلمس تحوّلاتها وندرك

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017، ص17.

روابطها في انتقالها من مستوى تجربة مُعيّنة إلى أخرى شاسعة»[1] . وقد شاطره الباحث " محمد عزّام " التعريفَ حينما قال إنّ:« النقد الموضوعاتي يبحث عن الموضوع أو (التيمة) التي تشكّل الكاتب وتظهر في كتاباته، وهو يشبه (العقدة) في التحليل النفسي الفرويدي، لأنّه يبقى لا شعوريًّا»[2]. أما "عبد الكريم حسن" فقد حصر مهمة النقد الموضوعاتي في الكشف عن موضوع النص الأدبي إذ يقول:« إنّه بحث في الموضوع، وهو بحث يهدف إلى اكتشاف السجل الكامل للموضوعات الشّعرية»[3]. وقد ذهب "جميل حمداوي" إلى أنّ النقد الموضوعاتي هو:« استقراء التيمات الأساسية الواعية واللاّواعية للنصوص الإبداعيّة المميّزة، وتحديد محاورها الدلاليّة المتكررة والمتواترة واستخلاص بنياتها العنوانيّة المداريّة تفكيكًا وتشريحًا وتحليلاً عبر عمليات التجميع المعجمي والإحصاء الدلالي لكل القيم والسمات المعنويّة المهيمنة التي تتحكم في البنى المضمونية للنصوص الإبداعية»[4].

فيما تقدّم هناك ما يشير إلى أنّ المقاربة الموضوعاتية تسعى جاهدة إلى الاهتمام بالمواضيع ما دار منها في فلك الوعي أو اللاوعي. وفي تحديد المهمة الموكلة إلى المقاربة الموضوعاتية يقول كذلك "جميل حمدوي":« تتبني المقاربة الموضوعاتية على استخلاص الفكرة العامة أو الرسالة المهيمنة أو الرهان المقصدي أو الدلالة المهيمنة أو البنية الدالة التي تتمظهر في النص أو العمل الأدبي، عبر النسق البنوي وشبكاته التعبيرية تمطيطًا وتوسيعًا أو اختصارًا وتكثيفًا.

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، ط1، 1989، ص12 و ص13.

[2] محمد عزّام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي،منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 1999، ص165.

[3] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص120

[4] جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، دنيا الرأي، (www.doroob.com) في 22 ـ 09 ـ 2009.

والبحث أيضًا عمّا يجسد وحدة النص العضوية والموضوعية اتساقًا وانسجامًا وتنظيمًا»[1]. فـ "جميل حمداوي" في هذا النص يحدد بدقة عمل المقاربة الموضوعاتية والتي تتمثّل في الكشف عن الفكرة العامة التي يدور حولها العمل الإبداعي أو الرسالة التي يُحاول المبدع أن ينقلها إلى جمهور القرّاء من خلال عمله الإبداعي، وهذه الفكرة العامة هي التي تساهم في تجسيد وحدة النص بنوعيها " الوحدة الموضوعيّة " التي نعني بها أنّ كل أفكار النص تدور حول موضوع واحد، في حين أنّ " الوحدة العضوية " يُقصد بها أنّ النصُّ بنيةٌ حيّةٌ وبناءٌ متكاملٌ، وعملٌ فكريٌّ وشعورٌ متكاملٌ ومتنامٍ.

ويحيلنا كذلك " رشيد بن مالك " إلى مصطلح المضمون في تعريفه للموضوعاتية فهو يقول:« يستعمل تيمي(thématique) للدلالة على المضمون الدلالي للنص بمعنى الموضوع الذي يتطرق له الكاتب »[2]. وإذا أردنا الوقوف عند حدود ما يحمله مصطلح النقد الموضوعاتي في جانبه الاصطلاحي فلا نجد أحسن تعريفٍ مما كتبه الدكتور "محمد السعيد عبدلي" بقوله في هذا الصدد: « أما الدقة التي نعنيها فتتمثل في انطلاق الدراسة الموضوعاتية من نواة، يمكن أن تكون مشهدًا مركبًا من عدة صور، أو من صورة واحدة، أو من أي عنصر محدد من العناصر التي تكوّن عالم النص. فتعمل الدراسة على الكشف عن العناصر الخفيّة لتلك النواة التي تمثل موضوعاتية النص لتحديدها. وتقوم بعد ذلك بتتبع تحوّلات هذه الموضوعاتية أو تعديلاتها عبر كامل النص، وهو عمل يتطلب جهدًا كبيرًا ودقّة متناهية وصبرًا متواصلاً »[3].

[1] جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، (نسخة إلكترونية) مكتبة المثقف، المغرب، ط1، 2015، ص 10.

[2] رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000، ص237.

[3] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، طبعة الجاحظية، الجزائر، ط1، 2011، ص5.

فمن خلال ما تقدّم ذكره من تعريفات سابقة يبدو أنّ عملية تحديد عمل النقد الموضوعاتي تبدو غير محددة و غير متفق عليها فالبعض يحصر مهمته في الكشف عن موضوع العمل الإبداعي، والبعض يرى أنّه يبحث في الفكرة العامة التي يدور حولها النص الأدبي. والدكتور " محمد السعيد عبدلي " يرى أنّه بحث عن النواة التي انبثق عنها العمل الأدبي، وغير ذلك، فكلٌّ ينظر إلى هذا المنهج من زاوية معينة وبحسب خلفيات ونظريات متعددة، فهذه الاختلافات الحاصلة في تحديد مفهوم النقد الموضوعاتي مردُها إلى اختلاف تصورات النقاد لهذه المقاربة النقديّة. والأرجح أنّ التعريف الذي جاء به الدكتور محمد السعيد عبدلي في ختام التعاريف السابقة هو الأقرب إلى الصواب، وذلك لأنّ الناقد "عبدلي" قد بنى تعريفه للمنهج الموضوعاتي من خلال قراءاته للمفاهيم التي وضعها روّاد النقد الموضوعاتي في العالم الغربي.

2/1: نشأة المنهج الموضوعاتي

يُعد المنهج الموضوعاتي من المناهج الغربيّة أصلاً، إذ نشأ في أحضان الفلسفة الظاهراتية التي يتزعمها " إدموند هوسرل(Edmond Husserl)". والدكتور "يوسف وغليسي" يقرّ بهذه الحقيقة حينما يقول:« نشأ هذا المنهج في أحضان الفلسفة الظاهراتية (La phénoménologie) التي تأسّست على يد الفيلسوف الألماني " إدموند هوسرل (Edmond Husserl) " وتغذى على أفكار "غاستون بشلار" الذي يشكل المصدر النظري لمفهوم ومصطلح النقد الموضوعاتي، ونما وتطور ابتداء من ستينيات القرن العشرين في بيئة نقدية فرنسية أساسًا»[1].

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015، ص 147.

وترجع بدايات ظهوره إلى ستينيات القرن العشرين تزامنًا مع تجلّي موجة " النقد الجديد"* في أوربا. حيث لاح أفق هذا المنهج في فرنسا على يد ثلة من الروّاد نذكر منهم " غاستون باشلار" و"جورج بولي(Georges Poulet)" و" جان بيار ريشار(Jean Pierre Richard)" و"جان بول ويبر(Jean Paul Weber)"، كما نجد له بعض التمثّلات في أمريكا، ومن بين الممثلين له نجد:"جوزيف هيلز ميلر(Joseph Hillis Miller)"، و" فريد ماك أيوين" و"بول بروتكوب".

وضمن هذا الاهتمام حظي النقد الموضوعاتي بقدر من البحث والتقصي من طرف بعض الباحثين العرب، ونذكر منهم:"سعيد علوش" و"عبد الكريم حسن" و"حميد لحمداني" و"عبد الفتاح كيليطو" و"محمد السعيد عبدلي" و"يوسف وغليسي" والدكتور "محمد مرتاض" وغيرهم. وقد أُلّفت فيما يُدرج ضمن حقل النقد الموضوعاتي بعضُ المؤلفات تطبيقًا لهذا الاتجاه النقدي أكثر منه تنظيرًا.

لعلّ كل ما كُتب عنه لم يجعل منه منهجًا رائجًا يسلكه جموع النقّاد للتحليق في فضاء النص وسبر أغواره وكشف مكنوناته، ونستحضر هنا شهادة للدكتور"يوسف وغليسي" يُؤكد فيها ما ذهبنا إليه أعلاه وهي ما جاء في قوله: « يبدو المنهج الموضوعاتي واحدًا من أندر المناهج حظوة وحضورا، وأقلّها استعمالاً في الممارسات النقديّة العربيّة، وأكثرها التباسًا واستعصاءً لدى جمهور الباحثين العرب، مثلما يبدو النقد العربيّ المعاصر حديث العهد بهذا المنهج سيء الحظ منه، إلى درجة أنّ سائر المناهج يصطفّ بعضها وراء بعض في عموم الكتب العربيّة التي تُمنهج النقد وتنظّر لمفاهيمه وتؤرخ لرواده وتعرّف بمناهجه

* (النقد الجديد) حركة نقدية أنجلوسكسونية شهيرة سادت خلال النصف الأول من القرن العشرين.

وتستحضر تطبيقاتها وتحاول تيسير كيفيات استعمالها وتعليمها، فتشير إلى جلّ ما يروج في صندوق النقد الأدبيّ من مناهج نقديّة متعددة، لكنها لا تكاد تنبسُ ببنت شفة منهجيّة موضوعاتية، حيث لا مكان لهذا المنهج حتى في أهمّ كتب المناهج النقديّة وأشهر مدوّنات نقد النقد العربيّة وأشدّها رواجًا وأغناها معرفة »[1].

ومن خلال هذا الإقرار الصريح من قِبل الناقد "يوسف وغليسي" يُمكننا أن نستشفّ ما لهذا المنهج النقدي من عسر في التناول وندرة في الإقدام على إعماله وتوظيفه.

2/ الأصول الفكريّة للمنهج الموضوعاتي:

لكل منهج من مناهج النقد الأدبي أصول ينبثق عنها ويعود إليها، والمنهج الموضوعاتي لا يحيد عن هذه الحقيقة، فهو لم ينشأ من عدم. والمتتبع لحركة النقد الموضوعاتي من منابعه الأولى يجد له مصادر وخلفيات فكريّة وأخرى فلسفيّة منحت له الحياة والبروز، ولولاها ما كان له وجود في عالم النقد الأدبي، فالنقد الموضوعاتي يصدر عن خلفيات فكريّة ورؤى فلسفيّة ومعرفيّة كان لها الفضل الكبير في بروزه. وأهم هذه الأصول:

1/2: الفكر الظاهراتيّ

وقد أطلق عليها البعض تسمية الفلسفة الفينوميلوجيّة، فالنقد الموضوعاتي نشأ في حضن ظاهرية " إدموند هوسرل " وهذا ما أشار إليه الدكتور "محمد السعيد عبدلي" بقوله: « يأخذ المنهج الموضوعاتي منبعه الفكري من

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1،2017، ص7

الفلسفة الظاهراتية (La phénoménologie) التي يتزعمها الفيلسوف الألماني " إدموند هوسرل Edmond Husserl (1858- 1939)" [1].

وتشير بعض المصادر إلى أنّ الفلسفة الظاهراتية جاءت كردة فعل على النزعة المثالية وكذا التجريبية. ويُعد "هوسرل (Husserl)" أول من استعمل هذا اللفظ وقصد به منهجًا فكريًا واضحَ المعالم، وقد أكد "أنطوان خوري" على ما تقدَّم ذكره في معرض حديثه عن الظاهراتية كظاهرة نسقية، وذلك بقوله:« لكن أول من استعمل هذه اللفظة للدلالة على منهج فكريّ واضح المعالم كان إدموند هوسرل»[2].

والحقيقة أنّ الفلسفة الظاهراتية تسعى إلى البحث في مشكلة وعي الإنسان بنفسه، وذلك من خلال وعيه بالعالم المحيط به، وبذلك يكون وعي الإنسان بالعالم سابقًا لوعي الإنسان بذاته، وهنا تتجسد المقولة الظاهراتية التي نصُّها:" كل وعي هو وعي بشيء ما "[3] وإذا كان النقد عمومًا يقوم في خطواته الأولى على فعل القراءة فإنّ الاتجاه الظاهراتي يولي القارئ أهمية كبيرة في تحديد المعنى، فهو بذلك يركّز على الدور المحوري الذي يلعبه القارئ في بلوغ المعنى.

غير بعيدٍ عن هذه الفكرة الجوهريّة التي تُمهِّد للعلاقة التي تربط بين الاتجاهين: الموضوعاتي والفينومينولوجي فالفلسفة الظاهراتيّة تجعل العمليّة الإبداعيّة تقوم على قطبين بارزين هما: النص والقارئ. ومن هنا يأتي النقد الموضوعاتي ليحدد آلياته وأدواته التي يستند عليها حتى يلج إلى فضاء النص ويكشف عن جمالياته ويهتدي إلى معناه باعتماد فعل القراءة، فقراءة النص

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص51.

[2] أنطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1974، ص35.

[3] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص657.

والتّجاوب معه من طرف القارئ الموضوعاتي، هو الذي يشكّل معنى النص الأدبي والذي يكون قد سُبق بوعي بالعالم الخارج من قِبَل الذات القارئة، فالمعنى يتعدّد بتعدّد القارئ لأنّ لكلّ قارئ عالمه الخارجي ووعيه الخاص به، وكل هذا يدفعنا إلى القول بأنّ ما تقوم عليه المقاربة الموضوعاتية في الكشف عن النواة الرحمية التي كان لها الفضل في تشكل النص قائمة على وعي الذات الناقدة بالعالم الخارجي، ومن ثمة إلى وعيها بذاتها.

لقد أشار الدكتور "محمد السعيد عبدلي" إلى هذا في معرض حديثه عن الفلسفة الظاهراتية والفلسفة الديكارتية بقوله:« وتقوم الفلسفة الظاهراتية بالبحث في مشكلة وعي الإنسان بنفسه وبالعالم المحيط به. فبينما كانت الفلسفة الديكارتية تجد الحل لمشكلة الوعي بالانطلاق من وعي الإنسان بنفسه، حتى يصل بعد ذلك إلى تحقيق وعيه بالعالم، حسب مبدأ "ديكارت":« أنا أفكر، إذن أنا موجود»، راحت الفلسفة الظاهراتية تقلب هذه المعادلة لتؤكد فكرة أنّ ((الوعي هو دائما وعي بشيء ما))[1]. ومعنى هذا أنّ وعي الإنسان بنفسه يمر أولاً عن طريق وعيه بالعالم»[2]. والنقد الموضوعاتي يستند إلى الفكرة التي جاءت بها الفلسفة الظاهراتية المتمثّلة في أسبقية الموضوع عن الوعي، كونُ النص عبارةً عن وعي وهو مُحصّلة موضوعٍ معيّن، وهو في كل الأحوال يُشير إلى الموضوعاتية التى ينشأ عنها النص الأدبيّ[3]. وفي نفس المصب يؤكّد الدكتور "يوسف وغليسي" أنّه لا فائدة تُرجى من الحديث عن الموضوعات التي تُشكّل نصًّا أدبيًّا ما، بعيدًا عن وعي الذات الكاتبة لتلك الموضوعات حين يقول:« فلا جدوى من الحديث عن موضوعات معيّنة في نصوص كاتب معيّن، بمعزل عن وعي الذات الكاتبة في

[1] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987، ص 657.

[2] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص51.

[3] المرجع نفسه، ص57.

إدراكها لتلك الموضوعات الحميمة »[1]. فالحاصل من كلّ ما تقدّم ذكره هو أنّ المنهج الموضوعاتي يعتمد بشكلٍ كبيرٍ على الفكر الظاهراتي في تحليله للأعمال الأدبيّة.

2/2: الفكر الوجودي

يُعَدُّ فضل الفلسفة الوجودية على المنهج الموضوعاتي كبيرًا، إذ ساهمت بقدر معتبر في بروز النقد الموضوعاتي في الساحة النقديّة، وذلك لأنّ بعض النقاد يعتبرون زعيم المدرسة الوجودية "جون بول سارتر" من النقاد الموضوعاتيين، ونذكر منهم الناقد "حميد لحمداني" فقد أورد في التعبير عن علاقة النقد الموضوعاتي بالفلسفة الوجودية ما يلي:« أما عن علاقة النقد الموضوعاتي بالفلسفة فقد أشرنا إلى رأي "روجيه فايول" في هذا الموضوع، وقد تبيّن لنا بوضوح أنّ علاقة هذا المنهج بالفلسفة الوجودية على الأخص كانت متينة، إلى حد أن بعض الدارسين اعتبروا "جون بول سارتر" واحدًا من النقاد الموضوعاتيين، رغم أنّه أسّس نمطه النقديّ الوجودي المتميّز، وهذا يعني أنّ الموضوعاتية تمتلك رحابة صدر، وهي لذلك مستعدة دائمًا لضم اتجاهات ونظريات كبرى في الأدب، إنّها تيار نقدي حاضن لشتى التيارات المنهجية بامتياز»[2].

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 38.

[2] حميد لحمداني، سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر دراسات سال فاس، المغرب، ط2، 2014، ص35.

ممـا سـبق ذكـره تتضـح حقيقـة مفادهـا أنّ النقـد الموضـوعاتي هـو مـنهج لا يـدّعي التميـزّ والانفراديــة فــي تحليــل النصــوص وتفســيرها بمعــزلٍ عــن الاتجاهــات الأخــرى، فهــو يــرى أنّ تفســير العمــل الأدبــي وتأويلــه يحتــاج إلــى تظــافر عديــد المنــاهج والنظريات.

3/2: الفكـر الرومـانسي

تُشــكّل الرومــانسية اتجــاهًا أدبيًّــا رائــدًا بامتيــاز حيــث كــان لهــا فضــل كبيــر علــى التحليــل الموضــوعاتي، وقبــل أن نســتعرض هــذا الفضــل، لابــد لنــا أن نشــير إلــى جــذور هــذه المدرســة، فلفظــة الرومانســية ومــا يُقابلهــا مــن مســميات كالرومانتيكيّــة والرومانطقيّــة هــي لفظــة مستحدَثــة فــي اللغــة العربيّــة، وهــي مُشــتقة مــن(رومــانس) وتعنــي نوعًــا مــن القصــص والحكايــا التــي ذاعــت وانتشــرت فــي أوربــا الجنــوبيّة إبّــان القــرون الوســطى، وقــد كانــت تــدور هــذه القصــص حــول مغــامرات الفرســان الشجعــان وبطــولاتهم فــي سبيــل مكــارم الأخــلاق والحــب، وهــي تتكــئ فــي ذلــك علــى كــل مــا هــو خيــالي، بعيــدًا عــن العقــل قريبًــا مــن هــواجس الــنفس ومشــاعرها وعواطفهــا المتأرجحــة بــين الحــزن والســرور. وقــد تســلّل هــذا الاتجــاه الأدبــيّ إلــى الأدب العربــيّ مــع أوائــل القــرن العشــرين، مــن خــلال الترجمــة وكــذا البعثــات العلميّــة الطلاّبيّــة إلــى البلــدان الغربيّــة. وكــذلك لا ننســى جهــود المستشــرقين فــي نشــر الأدب الغربــي نحــو الأعمــال الإبداعيّــة لشكســبير، و"جوتــه" و" فيكتــور هيجــو"، فقــد نهــل الأدبــاء العــرب مــن فــيض الآداب الغربيّــة الرائــدة والمتميــزة، وراحــوا يحاكونهــا فــي أعمــالهم الإبداعيّــة، ولا بــأس بهــم علــى هــذه الحــال مــادام الأخــذ مــن الغيــر فــي مجــال العلــوم والآداب يُعــدُّ ميــزة ولــيس عيبًا إذا أُضيفت إليه المسحة الخصوصية.

وإذا ما بحثنا عن أوجه التلاقي بين الاتجاه الأدبيّ الرومانسي والاتجاه النقدي الموضوعاتي نرى أنّ ثمة ما يجمع بينهما، حيث نذكر ههنا مقولة " د. برجز":« إنّ النقد الموضوعاتي هو إيديولوجيا، ابن الرومانسية »[1]. والواضح من خلال هذه المقولة أنّ النقد الموضوعاتي قد نهل معاني الرومانسية ما لبّى به رغبته وعزّز به موقفه حتى تجلّى في الصورة التي هو عليها اليوم، وذلك بالنظر إلى الرومانسية الألمانية التي طوّرت نظرية للعمل الفني تُمركزه في " الوعي المبدع "[2]، وهنا نستحضر أهم مبدأ تقوم عليه الفلسفة الظاهراتية، وهو أن " كل وعي هو وعي بشيء ما "[3]، وعلى اعتبار أنّ المنهج الموضوعاتي يعتمد على الظاهراتية، فإنّ أهمية هذه النتيجة تتجلى في كونها تُمكّن الدارس الأدبي من استكشاف موضوعاتية النص وتعديلاتها المتعددة كما لا يُمكن أن نصرف النظر عن الأعمال التي خصّ بها كل من " ألبير بيغن " وصديقه " مارسيل ريمون " الرومانسية (وهي على التوالي:" الروح الرومانسية والحلم" و"الرومانسية وحلم اليقظة " وتجدر الإشارة أنّ " ألبير بيغن " هو ناقد من أوائل مؤسسي الفكر الموضوعاتي)[4].

قد يُلاحظ المُتتبّع لمنابع المنهج الموضوعاتي أنّه يتلاقح في كثيرٍ من أصوله مع المناهج الفلسفية والمدارس الفكريّة التي نشأت في القرن الماضي، متأثرة بالأحداث الكبرى التي طبعت هذا القرن وطوّحت بالمفاهيم السائدة، وأضفت عليها لونًا متميِّزًا من الثورة وإعادة التأسيس.

[1] دنيال برجز (و آخرون)، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1997، ص 119.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 35.

[3] جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، مرجع سابق، ص657.

[4] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص35.

3/ علاقة المنهج الموضوعاتي بغيره من المناهج النقديّة:

للمنهج الموضوعاتي خاصية تميّزه عن غيره من المناهج الرائجة في الساحة النقديّة الحديثة، وهو أنّه لا يدّعي التفرّد في تحليل النصوص الأدبيّة والاستغناء عن المناهج النقديّة الأخرى، بل إنّه يرى النص الأدبي نسيجًا لغويًّا يستدعي تظافر العديد من المناهج للكشف عن عالمه المُتميّز، وفي بيان هذا يقول الدكتور" يوسف وغليسي":« فإننا نراهن على هذا المنهج الذي يبتغي المصالحة بين الدال والمدلول في إطار " شكل المحتوى "، والمعايشة بين أنصار التفسير النصاني الشكلاني النسقي، وأنصار التفسير السياقي التكويني للمعنى، إذ يخلق فضاء مشتركًا لا تبغي فيه فئة على أخرى، من شأنه أن يكون مخرجًا شريفًا لصراع منهجي متعصب، كان النص الإبداعي الخاسر الأكبر خلاله، حين انشغل النقاد عنه بالهذر الطويل و الجدال العقيم في شؤون المفاضلة بين أدوات المقاربة المنهجية يوم كان النص أحوج ما يكون إلى تشغيل مقولة "الغاية تبرر الوسيلة"»[1].

1/3: المنهج البنيوي

إذا تمعّنا في مكانة النقد البنيوي بالنسبة للمناهج النقديّة النسقيّة نجد أنّه يحوز الصدارة في التوطيد لبروز الاتجاهات النقديّة الأخرى، والنقد الموضوعاتي قد تشرّب هذا الاتّجاه النقديّ الذي ذاع صيته واتّسعت شهرته في ستينيات القرن العشرين، حيث اخترق الساحة الأدبيّة مع " رومان جاكوبسون(Roman Jakobson) "، و"إميل بنفست" (Emile Benvenist) هذا بعد أن نهل من أعمال" دي سوسير(de Saussure)" الذي تخلى عن الدراسات اللغويّة التاريخيّة، وراح يركّز اهتمامه على الدراسات الوصفيّة الآنية

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص 12.

للأعمال الأدبية، وهذا على نحو ما جاء في قول الدكتور" يوسف وغليسي": « لقد هجر دوسوسير الدراسات اللغوية التاريخية في شكلها المعروف بـ (النحو المقارن) الذي انشغل بدراسته وتدريسه ردحًا من الزمن، وراح يضطلع بالدراسات الوصفية المنكفئة على النسق اللغوي الآني »[1]. حيث يهتم التحليل البنيوي بالنص الأدبي ولا شيء غير النص، بمعنى الدراسة الوصفيّة الآنية للنص بمعزل عن السياق الخارجي له، وهو في ذلك يستبعد كلّ العناصر الفنيّة كالكاتب والمتلقّي، وكلّ المرجعيات التي تشمل السياقات والملابسات التناصيّة، ولنا هنا كذلك أن نستشهد بقول الدكتور" يوسف وغليسي":« وعلى العموم فالبنيوية منهج نقدي داخلي يُقارِب النصوص مُقاربة آنية محايثة تتمثل النص بنية لغوية متعالقة ووجودًا كليًّا قائمًا بذاته، مستقلاً عن غيره »[2]. وفي تعريف آخر يُورده الدكتور " فائق مصطفى " وكذا الدكتور " عبد الرضا علي" حيث يتفق مع ما جاء في قول الدكتور" يوسف وغليسي " وهذا نص التعريف:« يُعَدُّ النقد البنيوي أساسًا تيارًا نقديًّا ضمن تيارات نقديّة عديدة، تنظر إلى النص الأدبي كيانًا لغويًا قائمًا بذاته. ومن ثمة ينصبُّ اهتمامها على تحليل النص، من حيث ألفاظه وجمله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعريّة. إنّ النقد البنيويّ يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء، المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها»[3].

وفي ما تقدّم ذكره تأكيد على أنّ النقد البنيويّ يسعى إلى تحليل النص الأدبي باعتباره نسيجًا لغويًا مكتفيًا بذاته، دراسة وصفية آنية بعيدًا عن كل ما يحيط به. أما ما يتعلق بمواطن التلاقي بين التحليلين البنيوي والموضوعاتي فذلك

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص 65.

[2] المرجع السابق، ص 71.

[3] فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات)، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط1، 1989، ص 182.

يَكمُن فيما يُسمى بالموضوعاتية البنيويّة وهي تختص بعمليّة الإحصاء اللغوي الشامل لمفردات العمل الأدبيّ المتواترة. وبالتالي هذه العمليّة تُحيلنا إلى موضوع النص، وهذا بالنظر إلى مفرداته المتواترة في ثنايا النص الأدبيّ، إلى جانب الاهتمام بالتعديلات التي تلحق موضوعاتية النص الأدبيّ، أي النواة الرحميّة التي انبثق عنها العمل الأدبيّ والتي يجتهد النقد الموضوعاتي في الكشف عنها وإبرازها.

2/3: المنهج الأسلـــوبي

يعتبر المنهج الأسلوبي إحدى المقاربات النقديّة التي سجّلت حضورًا بارزًا في الساحة النقديّة، حيث يشكل الأسلوب طريقة ما في الكتابة، فبفضلها يمكن التمييز بين كاتب وآخر، ولهذا المنهج علاقات تجمعه بالمنهج الموضوعاتي، إذ أنّ هذا الأخير قد استفاد كثيرًا من الأسلوبية الإحصائية التي كان يتزعمها "غيرو" ، فهي تقوم بتحليل الانزياح، وهو عمل يستدعي الاستعانة بفعل الإحصاء.

يقول الدكتور "يوسف وغليسي":« ونشير إلى أن الانحراف أو الانزياح (Ecart) قد كان أكثر الفرعيات الأسلوبية دورانا في لغة الخطاب النقدي الأسلوبي العربي، ولأن تحليل الانزياح غالبًا ما يستدعي التسلح بالإجراء الإحصائي؛ من باب أنّ " الإحصاء هو ـ على وجه التدقيق ـ علم الانزياحات كما يقول "غيرو" فقد قاد ذلك بعضهم إلى الاحتفاء " بالأسلوبية الإحصائية" التي يتزعمها "غيرو" ذاته»[1]. كما أن عمل المقاربة الموضوعاتية يعتمد كذلك على عملية إحصاء الموضوعات الأكثر ترددًا في الأعمال الأدبيّة، بغض النظر عن كونها موضوعات رئيسية أو فرعية. وهنا تبرز علاقة التشابه بين الموضوعاتية والأسلوبية الإحصائية، فكلاهما يقوم على الإحصاء.

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص91.

كان لـ" شارل بالي(Charles Bally) " أيضًا في أسلوبيته الألسنية بالغ الأثر في النقد الموضوعاتي، وبخاصة فيما يتعلق بـ" الأسلوب وتقنياته " حيث اهتمت بالنص من خلال جمالياته اللغوية، فالجذريون يحاولون من خلال الأسلوب أو النسق اللغوي التقاط الهويات والمضامين جذرًا فكريًا ويتتبعون تعابيره في سياق النص، وبذلك يغدو النسيج الجمالي مفتاحًا للكشف عن النسيج الفكري الموغل في الباطنية أو المتناثر بشكل رموز على سطح الكتابة.

3/3: المنهج النفساني

جاء على لسان "جون بيار ريشار (Jean Pierre Richard) " في باب التمييز بين المنهجين الموضوعاتي والسيكولوجي أنّ:« القراءة في كليهما تنطوي على مهمة إحضار المعنى إلى النص أو ما يمكن تسميته بتضخيم المعنى، فكلتا القراءتين مُضخِّمة للمعنى، وذلك على عكس القراءة الفيلولوجية التقليديّة التي كانت تهتم بتقليصه»[1]. وفي هذا القول دليل قاطع على أنّ كلا المنهجين يتفقان على عمل إجرائي يقومان به وهو استكشاف المعنى، فالنقد الموضوعاتي يسعى إلى الكشف عن معنى الرغبة الدفينة في اختيار الأديب لموضوع دون آخر ليجعل منه مادة لإبداعه، وهذا العمل في الحقيقة هو من صميم عمل التحليل النفسي.

ومن خلال هذا يمكننا القول بأنّ ثمة تقاربًا كبيرًا بين المقاربة الموضوعاتية والتحليل النفسي، وعن هذا التقارب يتحدث يوسف وغليسي:« يشكّل التحليل النفسي جزءا لا يتجزّأ من الجهاز الإجرائي للمقاربة الموضوعاتية التي تتّخذ منه وسيلة منهجية تتوسّلها في سبيل الإمساك بجذور البنية الموضوعاتية للعمل الأدبي،

[1] عبد الكريم حسن: (نقد المنهج الموضوعي)، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، بيروت، لبنان، العددان: 44-45.ص 39.

وتثبيتها في الجهاز النفسي لصاحب العمل»[1]. ولكن هناك ما يجب أن نُقر به وهو أنّ التحليل النفسي سابقُ للتحليل الموضوعاتي من حيث الظهور كمنهج نقدي لتحليل النصوص، وكذلك من حيث كونه يعتمد على دراسة اللاشعور في العمل الأدبي. وهي دراسة تقوم كذلك على مستوى اللاوعي الذي يسبق التحليل القائم على دراسة الوعي وهو المتمثل في العمل الذي يقوم به النقد الموضوعاتي، كما أنّ هذا الأخير يختص كذلك بدراسة المظاهر الإبداعيّة اللاواعية، وفي هذا ما يثبت أنّ المقاربة الموضوعاتية تنهل كذلك من التحليل النفسي.

4/ الأدوات والآليات الإجرائيّة للمنهج الموضوعاتي:

لكل منهج من مناهج النقد الأدبي المعروفة مجموعة من الأدوات والآليات التي يستند عليها في المهمة الموكلة إليه إزاء النص الأدبي. والنقد الموضوعاتي لا يحيد عن هذه المسلّمة فهو كغيره من المناهج النقديّة المعروفة يتكئ على أدوات وآليات قد حددها رواده في العالم الغربي، يمكنه من خلالها الوصول إلى مبتغاه المتمثل في الوصول إلى النواة المُشكلة للنص، غير أنّ ما يمكن الإفصاح به في البداية هو تلك الصعوبة التي تواجه الناقد الموضوعاتي في التقصي الدقيق عن هذه النواة التي انبثق عنها النص الأدبي، فهذه العملية ليست بالأمر الهيّن، وهي في الحقيقة فحوى المقاربة النقديّة الموضوعاتية، والركيزة الأساسية التي تقوم عليها. ومن أجل ذلك يقترح لنا رواد النقد الموضوعاتي مجموعة من الأدوات المُهمة التي تساعد الناقد الموضوعاتي في عمله، وهذه الأدوات لابد لها من طريقة أو آلية مضبوطة يُمكن اتّباعها للوصول إلى المطلوب.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 41.

1/4: مرتكزات المقاربة الموضوعاتية

لكلّ ممارسة نقديّة أسسها وأدواتها التي ترتكز عليها في تحليلها للأعمال الأدبيّة والمقاربة الموضوعاتية كغيرها من هذه المقاربات لها ما تعتمد عليه من أدوات وآليات تقوم عليها.

يقترح الرائد الأول للنقد الموضوعاتي " غاستون باشلار" ثلاث آليات يمكن اعتمادها في القراءة الموضوعاتية وهي:

1/1/4 الإحصاء:

حيث يتم تحديد موضوع النص من خلال عملية العدّ والإحصاء والجدولة للكلمات الأساسية الأكثر تواترًا وتكرارًا لفظيًّا أو معنويًّا، وهنا يحذر الناقد الموضوعاتي، فثمّة من التكرار والتواتر ما يأتي عرضًا بغير قصدٍ، ومنه ما يكون بلا قيمة، وكذلك لابد من العناية بعنوان النص فهذا العنصر له قيمته التي لا يمكن إغفالها أو تجاهلها، فالعنوان هو مفتاح النص، وهو الوسيط بين النص والقارئ، على ألاّ نتجاوز حقيقة أنّ تداول اللفظ في أكثر من موضعٍ قد يومئ إلى ما يشبه التوكيد. ونجد أنّ هذه الطريقة في تحديد الموضوع الرئيسي والموضوعات الفرعية والتي يُعتمد فيها على عنصر الإحصاء قد تبناها "عبد الكريم حسن" في دراسته الموسومة بـ " الموضوعاتية البنيوية: دراسة في شعر السياب ".

نجد أنّ " ريشار" يرى بأنّ عنصر الإحصاء لا يقودنا إلى حقائق نهائية وفي ذلك يقول:« وعلى الرغم من أنّه لا جدال فيما تقدمه الإحصائيات، إلاّ أنّها لا يمكن أن تقود إلى حقائق نهائية»[1]. وللإشارة هنا أنّ عنصر الإحصاء كان قد استهوى" ريشار" فيما قبل لكنه أدرك بعد ذلك أنّ هذا العنصر يخفق أحيانًا في

[1] عبد الكريم حسن، الموضوعاتية البنيوية: دراسة في شعر السّياب، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1983، ص 35.

تحديد النواة التي انبثق عنها العمل الإبداعي وهذا ما ذكره محمد السعيد عبدلي:« وكان هذا الإجراء قد استهوى " جان بيار ريشار " وانجذب إليه، لكنه تفطّن إلى عجزه على تحديد الجذر الرئيسي أو النواة الرئيسية للنص»[1].

2/1/4 التحليل:

وفي هذا العنصر يقوم الناقد الموضوعاتي بعملية الفرز والتصنيف والوصف للكلمات الأساسية المتكررة التي تم تحديدها قصد الكشف عن شبكاتها المعجمية والعلاقات التي تجمعها والروابط السرية التي تحكمها حتى يمكن للناقد الموضوعاتي ردها جميعًا إلى مركز واحدٍ وهو موضوع النص أو الذكرى الحدث أو ما عَلِقَ في الذهن من رواسب الطفولة، ولابدّ هنا كذلك من الإشارة إلى أنّ دلالة اللفظ تتغير من سياق إلى آخر، وهنا يكون اعتماد الناقد الموضوعاتي على إحصاء الكلمات المُتكررة في النص من أجل تحديد موضوعاتيته ليس بالأمر السهل، وعن هذا يقول محمد السعيد عبدلي:« أما اعتماد المؤلف على العد ــ وهو إحصاء حسب رأيه ــ لتحديد الموضوع الرئيسي، فهو إجراء تنقصه الفعالية بسبب عدم ثبات دلالة اللفظ من موقع في النص إلى آخر»[2]. فدلالة الكلمة يتحكم فيها السياق الذي ترِدُ فيه، وبالتالي فليس ما تدُل عليه الكلمة من معنى في موضعٍ ما هو المعنى نفسه الذي تدُلّ عليه في موضع آخر ضمن سياق الكلام.

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص13.

[2] المرجع السابق، ص13.

3/1/4 البناء:

بعد عمليتَي الإحصاء والتحليل يأتي عنصر البناء، حيث يقوم الناقد الموضوعاتي بإعادة تشكيل وبناء عالم النص بطريقة عكسية وذلك من خلال المواد التي يقدمها له النص. ولابُدّ من الإشارة إلى أنّ هذه العناصر الثلاثة هي في الحقيقة متماسكة ومنسجمة فيما بينها تعمل كخلية واحدة، ولا يمكن إطلاقًا فصلها عن بعضها البعض)[1]. وإلى جانب هذا يمكن العمل بمجموعة من الأدوات التي يقدمها كذلك رائد من روّاد النقد الموضوعاتي وهو "جان بيار ريشار" حيث يذكر لنا أربعة مفاهيم لابد من الاستعانة بها في القراءة الموضوعاتية وهي:(الحلولية وحرية المدخل، والقراءة المجهرية، وكذا التكرار) فهذه المفاهيم هي بمثابة الأدوات التي تسهّل للناقد الموضوعاتي عمله، وفيما يأتي سنقف عند كل عنصر بالتحليل والتفسير.

2/4: أدوات القراءة الموضوعاتية

1/2/4 الحلولية:

يأتي هذا المصطلح في مقابل مصطلح الإحالة، وهي شرط لقيام القراءة الموضوعاتية، وتعني عند "ريشار" اشتغال الناقد الموضوعاتي بما هو داخل النص بمعنى استبعاد الاستعانة بما هو خارج النص، أي الظروف الخارجية المحيطة بالنص، شأنه في ذلك شأن النقد البنيوي كون الخروج عن النص يصرف الناقد الموضوعاتي إلى اكتشاف الكاتب من خلال عوالمه النفسية أو معرفة حقيقة المجتمع الذي يعيش فيه، وهذا الأمر لا يفيد النقد الموضوعاتي في شيء إلاّ ما تعلّق بدراسة النص لاكتشاف حقيقة الأصالة الإبداعية للمؤلف وموهبته الفنيّة

[1] ينظر، جوزيف لبُس، النقد الموضوعاتي، غاستون باشلار، م، س ، (www dorarr ws).

وفي ذلك يقول" ريشار":« أعتقد أنّ حقيقة شاعر ما تتضمّنها أشعاره أكثر ممّا تحملها أحاديثه عن الشعر»[1].

وهنا يشير "ريشار" كذلك إلى أنّ النقد الموضوعاتي لا ينفي هذه الظروف وإنّما يجعلها بين قوسين:« إنّ النقد الموضوعاتي يضع هذه الظروف بين قوسين، ولكنه لا ينفيها. فأنا على اقتناع بتأثير هذه الظروف في إنتاج النص، إذ أنّه من البديهي أن يكون النص نتاجًا تاريخيًا إيديولوجيًا، ولكن قبل أن نقوم بالربط بين مستوى وآخر، يجب أن نقوم بالبناء الكامل لكل هذه المستويات. وفي ضوء ذلك يمكن للقراءة الموضوعاتية أن تكون ضمن إطار قصديتها واستقلاليتها وتلاحمها»[2]. إلى هنا يمكن القول أنّ النقد الموضوعاتي لا يرى نفيَ كونِ النص هو نتاج مجموعة من الإيديولوجيات والظروف الاجتماعية والدواعي النفسية المحيطة به، غير أنّ هذه الظروف لا يستعين بها في قراءته الموضوعاتية، بل يضعها جانبًا.

2/2/4 حرية المدخل:

للناقد الموضوعاتي الحرية المطلقة في اختيار ما يناسبه في الدخول إلى جو الممارسة الموضوعاتية، فهو بذلك يختار الموضع الذي يراه يخدمه في هذه الدراسة، بمعنى أنّ المنهج الموضوعاتي لا يُلْزِمُ الناقدَ بالدخول إلى النص من زاوية معيَّنة، وإنّما يترك له الحرية المطلقة في ذلك قصد الولوج إلى عالم النص وسبر أغواره وكشف النواة التي انبثق عنها، وعليه تتعدّد مداخل النّقاد للنص الواحد كلٌ حسب قناعته، يقول "جان بيار ريشار":« وفي الخلاصة، فإنّه لا وجود في القراءة الموضوعاتية لنقطة بدء ونقطة وصول، فالمدخل إلى حقل القراءة الموضوعاتية

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 95.

[2] المرجع السابق، ص 94.

مدخل حر، مما يضفي عليها شيئا من السحر، وعندما يكتب أحد النقاد الموضوعاتيين في مقدمة دراسته أنّه سيبدأ من نقطة ما، فإنّ هذه البداية ستكون بداية كتابته هو، لا بداية يلزمه بها منطق حقيقي للموضوع المدروس»[1]. ففي هذا القول بيان وتأكيد أن المقاربة الموضوعاتية تتبني على حرية المدخل من لدن الناقد الموضوعاتي، ولا يمكن أن نُلزمه بالدخول من زاوية مُحدَّدة.

3/2/4 القراءة المجهرية:

لكي يتمكّن الناقد الموضوعاتي من المهمة الموكلة إليه إزاء النص الأدبي يتعيّن عليه أن يُركِّز على جزء أو أجزاء صغيرة في النص، باعتبارها تُساهم في بناء النص وقد تُساعده بقدر كبير في الكشف عن النواة المُشكّلة للنص، فكلّ ما يدخل في تكوين عالم النص له أهميته في التحليل الموضوعاتي كعلامات الترقيم: مثل الفاصلة والنقطة، والحرف والكلمة والجملة وغير ذلك. وهذه الفكرة مصدرها " ريشار" حيث اهتدى إليها في كتابه الأخير" قراءات مصغَّرة "، وإزاء ذلك يقول الدكتور الناقد "محمد السعيد عبدلي":« هذا إجراء آخر من الإجراءات الأساسية التي يقوم عليها المنهج الموضوعاتي عند "ج. ب. ريشار"، وقد جعله عنوانًا لكتابه الأخير " قراءات مصغَّرة ". وهو يعني عنده قيام التحليل الأدبي بالتركيز على جزء أو أجزاء صغيرة في النص الأدبي، قد يكون هذا الجزء: نقطة، فاصلة، حرفًا، كلمة، جملة فقرة، مشهدًا، حدثًا، أو غير ذلك، مما يدخل في تكوين عالم النص وبنائه. وهو عمل يدخل في صميم مفهوم الموضوعاتية »[2].

---

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990، ص185 .

[2] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص111.

4/2/4 التكرار:

يشكل التكرار عنصرًا هامًا يرتكز عليه النقد الموضوعاتي، في الوصول إلى الموضوعاتية التي بُني عليها النص، إذ أنّ تواتر بعض الوحدات النصيّة هو دليل على أهميتها، حيث يقوم الناقد الموضوعاتي بإحصاء الكلمات المتكررة والتركيز عليها، وقد يأخذ التكرار شكلاً لفظيًّا أو معنويًّا، والمهم أن يتم تسليط الضوء على هذه الوحدات المتواترة بشكلٍ لافتٍ للانتباه، فمن هذه الزاوية يُمكن الوصول إلى النواة التي كان لها الفضل في بناء النص وتشكّله، وبفضل التكرار كذلك يُمكن للناقد الموضوعاتي تتبع تعديلات هذه النواة، إذ أنّ التعديلات ما هي إلاّ النواة في صورٍ وأشكالٍ مماثلة لها، والتكرار دليل عليها، وهنا نجد أنّ "عبد الكريم حسن" في كتابه المعروف " الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب " لا يستعمل مصطلح " التكرار" أو " العد" وإنّما يفضل استعمال مصطلح الإحصاء غير أنّ هناك بونًا شاسعًا بين مفهوم التكرار والإحصاء، فالتكرار هو من فعل صاحب النص، أما الإحصاء فهو إجراء يقوم به الناقد، كما أنّ " ريشار " يفضّل كلمة " العد "، وفي بيان ذلك يقول "عبد الكريم حسن": « ريشار يدرك جيّدًا ما تلزمه به كلمة " الإحصاء " من متطلبات قاسية ... وأما كلمة " العد " فهي لا تلزم بشيء، وحسبها أنّها تعطي انطباعًا أوليًّا بأهمية الموضوعات كثيرة الورود في العمل الأدبي»[1]. ومنا هنا يُمكن أن يكون التكرار مساعِدًا للناقد الموضوعاتي في اكتشاف موضوعاتية العمل الإبداعي، والكشف كذلك عن التعديلات التي تقوم بها النواة المُشكلة للنص، لتصنع بذلك عالم النص.

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص184.

3/4: الآليات الإجرائية للمقاربة الموضوعاتية

يقوم الناقد محمد السعيد عبدلي بتحديد الآليات الإجرائية التي يتم بواسطتها القيام بممارسة موضوعاتية حقيقية على الأعمال الأدبيّة. والبداية تكون بتقديم مفهوم صحيح وواضح لمصطلح الموضوعاتيّة:« الموضوعاتية هي العنصر الذي ينطلق منه التجسيد الأدبي لموضوع النص أو لموضوعاته، حيث تستمر الموضوعاتية صانعة هذا التجسيد في النص الأدبي عبر تعديلاتها (Modulations) أو تنويعاتها الكثيرة، متّخذة دور الخلية أو النواة التي تنقسم لتُخرج الكائن الحي، ثم تستمر في النمو والتطور صانعة أقسامه وتفاصيله وكيانه النهائي»[1]. من خلال ما جاء في هذا التعريف يمكن تحديد خطوات الممارسة النقديّة الموضوعاتية على وجهها الصحيح وهي:

1/3/4: تحديد موضوعاتية العمل الأدبي

تُعدُ هذه المرحلة أولى خطوات النقد الموضوعاتي، وهي تتمثل في البحث عن الأصل الذي انبثق عنه العمل الأدبي، وهو التقصّي الدقيق عن النواة الرحمية التي تولّد عنها النص الأدبي. يقول الناقد "محمد السعيد عبدلي":« يوضّح هذا النموذج طبيعة القراءة الموضوعاتية التي يُمارسها "جان بيار ريشار"، وهي قراءة تبدأ بتحديد موضوعاتية النص، ثم القيام بتتبّعها عبر تعديلاتها التي تتجلى فيها كل مرة محقّقة نمو النص وتقدمه حتى اكتماله »[2]. فمفاد هذا القول أنّ المهمة الأولى الموكلة إلى الناقد الموضوعاتي هي الوصول إلى تحديد موضوعاتية النص، وهذا العمل بطبيعة الحال يحتاج إلى تثبُّت وحنكة وطول نفس من قِبل الناقد

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص43.

[2] المرجع السابق، ص 90 و 91 .

الموضـــوعاتي، ولـيس مـن الغريـب والعجيـب أنّ يفشـل فـي القـبض علـى هـذه النـــواة أو يخطئ في تحديدها في المرة الأولى فهذا العمل ليس بالأمر الهيِّن.

ولابـد كـذلك مـن الإشـارة إلـى أنّ هـذه النـواة قـد تكـون مبثوثـة فـي ثنايـا عديـد الأعمـــال الأدبيّـــة الخـــاصة بكـــاتب أو شـــاعر، وهـــذا الاحتمـــال يـــدفع بالناقـــد الموضـوعاتي إلـى قـراءة مجموعـة مـن أعمـال كاتـب مـا. وقـد أشـار "جـون بـول ويبـر" إلـــى الخطـــوات المهمـــة الـــواجب إتباعهـــا للكشـــف عـــن الموضـــوعاتية وهـــي أربـــع خطوات:

((أ/ الخطـوة الأولـى: وتتمثـل فـي البحـث فـي عـالم الطفـولة عـن الذكريـات الواضـحة و الدقيقـة، ثـم مقـارنتها فيمـا بعـد بالأعمـال المختلفـة للمؤلـف. وقـد جـاء بيـان ذلـك علـى لسـان "جـون بـول ويبـر": « إنّ القيـام بالتحليـل الموضـوعاتي للعمـل الأدبـي يعنـي إذن التّوصـل إلـى تجميـع هـذا العمـل حـول حـادث مـا يعـود إلـى مرحلـة الطفولـة، مـع إبـراز كيـف ينتشـر هـذا الحـادث فـي النصـوص الأخـرى للكاتـب»[1]. وهـذا يعنـي أنّ المطلـوب مـن الناقـد الموضـوعاتي هـو البحـث فـي تـاريخ طفولـة الأديـب عـن حـادث قـد يكـون لـه علاقـة متينـة بنتاجاتـه الأدبيّـة، حيـث يمكـن إرجـاع كـل أعمالـه الأدبيّـة إلـى هذا الحادث، بمعنى أنّ طفولة الأديب قد تكون سببًا في توجيه كتاباته.

ب/ الخطـوة الثانيـة: وهنـا يقـوم الناقـد الموضـوعاتي بالبحـث عـن النصـوص البسـيطة التـي تحمـل دلالات رمزيـة أوليـة لموضـوع مـا، بمعنـى الفحـص الـدقيق للنصـوص الأدبيّـة البسـيطة، قصـد الوصـول إلـى بعـض الإيحـاءات والـدلالات التـي قـد تكشـف لنـا عن موضوع النص.

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص168.

ج/ الخطـــوة الثالثـــة: يـتم فـي هـذه المرحلـة الكشـف عـن الإلحاحـات (hantises) اللسـانية (اللغويـة) والأسـلوبيّة للمؤلـف، ثـم السـعي إلـى إرجـاع هـذه الإلحاحـات إلـى ذكـرى مـن ذكريـات الطفـولة التـي تـم التعـرف عليهـا مـن قبـل، أو مـا تـزال بعـد فـي مسـتوى الافتـراض، أي محاولـة الـربط بـين الإلحاحـات مهمـا كـان نوعهـا وذكريـات طفولة الكاتب.

د/ الخطـوة الرابعـة: وفـي النهـاية يجـب القيـام بمسـح شـامل للعمـل ـ أو الأعمـال ـ فـي محاولـة لإرجاعـه كلـه ـ إن أمكـن ـ إلـى الموضـوعاتية المقترحـة، ويعتبـر هـذا العمـل آخـر مـا يقـوم بـه التحليـل الموضـوعاتي فـي عمليـة الكشـف عـن النـواة التـي كـان لهـا الفضـل فـي تشـكّلُ هـذا الـنص، وفيـه يمكـن إرجـاع عمـل الكاتـب أو كـل أعمالـه إلـى موضوعاتية واحدة وهي ما يُقصد بها النواة الأولى المُشكلة للنص.))[1].

2/3/4: الكشف عن سلسلة التعديلات التي تقوم بها موضوعاتية النص

وفـــي هـــذه المرحلـــة يـــتم تتبـــع التشكّـــلات والتمظهـــرات الأخـــرى لهـــذه الموضوعـاتية وهـي مـا يُعبَّـر عنهـا بالتعديـلات، وللتعمـق فـي فهـم هـذا المصـطلح نسـتعين بتعـريف "جـون بـول ويبـر":« نعنـي بالتعديـلات كـل تمـاثل للموضـوع، وبتعبيـر آخـر، التعـديل هـو الموضـوع فـي صـورة رمزيـة. فالقريـة الدائريـة مـثلا فـي قصـة (الشـيطان فـي البفـروا Le diable dans le beffroi) لـ "إدغـار آلان بـو" ترمـز أو تَعْـدِل بمنـازلها السـتين المتشـابهة، المينـاء الـدائري لمـوضوعاتية السـاعة، فالقرية الدائـرية إذن هي تعديل أو شبه»[2].

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص170.

[2] المرجع السابق، ص147.

فمن خلال هذا التعريف يتّضح لنا بأنّ النواة الرحمية التي ينبثق عنها النص، أو ما يُتّفق على تسميتها بموضوعاتية النص، تأخذ أشكالاً وصورًا أخرى وهذا ما عبّر عنه الدكتور "محمد السعيد عبدلي" بقوله:« تتشكّل بنية النص الأدبي من التعديلات التي تولّدها الموضوعاتية باستمرار، فهي تقوم في البداية بدور النواة التي ينبثق عنها النص ثم تشرع في صناعة مشاهد تماثلها، فتتابع بفضل ذلك امتدادها وتوسعها لتكوّن بنية عالم النص بأحداثه وشخصياته وأزمنته وأمكنته»[1]. فهذا الحديث يدفعنا إلى القول بأنّ عالم النص يتكون من النواة التي قد تكون مشهدًا أو كلمة أو حدثًا أو حتى صوتًا وغير ذلك، ثم تليها سلسلة التعديلات التي تقوم بها هذه النواة على نفسها حتى تشكّل عالم النص بأكمله، وهنا يقترح "جون بول ويبر" مستويات التعديلات التي تقوم بها النواة الرحميّة التي انبثق عنها النص وهي أربعة مستويات:

(**1/ المستوى الأول:** وهو ما يرمز له بمستوى الدرجة الصفر للموضوعاتية(degré zéro du théme) ويقصد به مستوى التواتر الإحصائي(fréquence statistique) وهو تواتر الكلمات والمجموعات السيميائية، ويُمثِّلُ لذلك بتواتر الألفاظ والتعابير التي ترتبط بالعصفور عند مالارمي.

2 / المستوى الثاني: وهنا يرمز له بمستوى الدرجة الأولى ويقصد به مستوى الدرجة الأولى (degré un (ou premier) du théme) ويعني به تلك الصور والاستعارات والالتقاءات غير المتوقعة. حيث تظهر الذكريات الموضوعاتية.

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص 147.

3/ المستوى الثالث: ويرمز له كذلك بمستوى الدرجة الثانية للتعديلات الموضوعاتية (degré deux du théme) وهو مستوى يتم فيه الكشف عن الحالات الجزئية، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ويُمثِّلُ لها كذلك بـ"الشيطان في البفروا" لـ" إدغار آلان بو"، حيث يتم التعديل لميناء الساعة بالشكل الدائري للقرية القائمة على ستين منزلاً.

4/ المستوى الرابع: وفيه يتم الكشف عن التعديل في الدرجة الثالثة (degré trois (ou troisiéme) du théme) ويقصد به المستويات الشاملة وهو مستوى الشخصيات ومستوى الأحداث الكلية والألغاز، ويُمثِّلُ هنا لذلك بعفريت الشبه عند "مالارمي" لمأتم العصافير الميتة)[1].

وفي الأخير يتوجّب على الناقد الموضوعاتي التأكد من نجاح عمله النقدي وهذه الخطوة تتطلب النظر في الموضوعاتية التي اختار الناقد الانطلاق منها وهو أن يُرْجِع كل عمل المؤلف إلى الموضوعاتية التي انطلق منها الدارس الموضوعاتي، يقول "ويبر":« يبدو لنا أنّ التحليل الموضوعاتي يمكن اعتباره ناجحًا لمّا تكون الموضوعاتية التي يقترحها هذا التحليل كافية من جهة أولى لتأويل جميع العمل تقريبًا. ومن جهة ثانية، لمّا يكون هذا الموضوع يعود في أصله إلى ذكرى من ذكريات طفولة المؤلف »[2].

ويُعّلق الدكتور "محمد السعيد عبدلي" على هذا الكلام بقوله:« ومن جهتنا نرى أن ربط نسبة نجاح العمل بمدى قدرته على تجميع أجزاء النص وعناصره حول الموضوعاتية المقترحة كافٍ وحده للحكم على العمل النقدي بالنجاح أو الفشل، دون ضرورة تقديم ما يؤكد أن تلك الموضوعاتية المقترحة تعود إلى

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص152 و153.

[2] المرجع السابق، ص172.

حادث متميز عاشه المؤلف في طفولته»[1]. وفي هذا القول إشارة إلى أنّ الناقد "محمد السعيد عبدلي" ربما لا يرى بفكرة أنّ كل عمل أدبي يمكن إرجاعه بالضرورة إلى ذكرى من ذكريات الطفولة كما يقول "جان بول ويبير" وإلاّ لأصبح ـ في نظري ـ كلّ ما يخطّه الكتّاب وفي عصرٍ وتحت أي ظرفٍ هو صورة انطباعية لما ترسّب في قرائحهم من مؤثرات ومواقف الطفولة، وهذا لا يستقيم منطقيًّا مع ما للحياة العامة والمكتسبات المختلفة في مراحل العُمر من تأثر وانطباعٍ ينطليان بعد ذلك على نتاجاتنا الأدبيّة.

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص172.

الفصـــــل الثـــاني

الفصل الثـانـي

المقاربة النقديّة الموضـوعاتية (الجهود النظرية والمنجزات التطبيقية).

*** تمـهيد.**

1 ـ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم الغربي.

2 ـ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم العربي.

3 ـ المقاربة النقديّة الموضوعاتية في الجزائـــــر.

*** تمهيد:**

ظهـرت المقاربــة النقديّــة الموضــوعاتية فــي العــالم الغربــي وبالتحديــد فــي فرنســا خــلال ســتينيات القــرن العشــرين، حيــث يرجــع الفضــل فــي بــروز هـذه المقاربــة فــي مجــال الدراســات النقديــة الأدبيــة إلــى مجموعــة مــن الــروّاد نـــــذكر مـــــنهم غاســـــتون باشـــــلار (Gaston Bachelard) وجـــــورج بـــــولي (George Poulet) وجــان بيــار ريشــار (Jean Pierre richard) وجــان بــول ويبـر (Jean–Paul Weber)، حيـث قـدّم هـؤلاء النقـاد الأربعـة الكثيـر مـن المنجـزات النظريــة والتطبيقيــة فــي مجــال النقــد الموضــوعاتي، كــلٌّ حســب رؤيتــه وخلفياتــه الفكريــة، ولــم يكــن العــالم العربــي فــي معــزل عــن المقاربــة النقديــة الموضــوعاتية، إذ لقــي هــذا الاتجاه النقدي اهتمام العديد من الدكاترة والنقّاد العرب.

حيــث أُنجــزت بعــض الدراســات النظريــة والتطبيقيــة التــي حــاول أصــحابها المســاهمة ولــو بــالنزر القليــل فــي إزالــة الغمــوض الــذي اكتنــف هــذا المســلك النقــدي. ونـذكر مـن بـين هـؤلاء النقـاد العـرب، "عبـد الكـريم حسـن"، و"سـعيد علـوش"، و"حميـد لحمـداني"، ومـن الجزائـر نجـد "محمـد مرتـاض"، و"محمـد السـعيد عبـدلي"، و"يوسـف وغليسـي"، و"مسـعودة لعـريط" . وفـي هـذا الفصـل سـنحاول الوقـوف عنـد كـل عَلَـم مـن هـؤلاء الأعــلام، لنعــرض أهــم منجــزاتهم النظريــة والتطبيقيــة مــع الكشــف عــن رؤيتنــا النقديــة إزاء هــذه الأعمــال والأفكــار. كمــا نُشــير إلــى أنّنــا قــد قسّــمنا فصْــلَنا هــذا إلــى ثلاثـة مباحـث. جعلنـا المبحـث الأول للحـديث عـن أعـلام النقـد الموضـوعاتي فـي العـالم الغربــي، والمبحــث الثــاني تحــدثنا فيــه عــن أعــلام النقــد الموضــوعاتي فــي العــالم العربــي، كمـا أنّنـا خصّصـنا الحـديث عـن النقّـاد الجزائـريين وإسـهاماتهم النقديـة الموضـوعاتية فـي مبحـث ثالـثٍ. وفـي مـا يلـي سـنعرض هـذه المباحـث الثلاثـة كـلًّا حسـب مـا خصّصـنا الحديث فيه.

1/ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم الغربي.

ضـمن هـذا البحـث سـتكون لنـا وقفـة عنـد أعـلام النقـد الموضـوعاتي فـي العـالم الغربـي، حيـث نعـرض أهـم الأفكـار المتعلقـة بهـذا المـنهج النقـدي التـي جـاء بهـا هـؤلاء الأعــلام، ومنهــا تعــاريفهم لهــذا المــنهج والآليــات التــي يوظفهــا فــي تحليــل الأعمــال الأدبيــة، وكــذا الخلفيــات والأســس التــي قــام عليهــا، ونرصــد مختلــف النظريــات التــي يتكئ عليها، كما نود الوقوف عند بعض الجوانب من دراساتهم التطبيقية.

1/1:غاستون باشلار(Gaston Bachelard)

يــرى الكثيــر مــن الدارســين أنّ "غاســتون باشــلار" يُعَــدُّ الرائــد الأول للنقــد الموضـوعاتي، ومصـدره الأسـاس، حيـث قـدّم الكثيـر لهـذه المقاربـة النقديّـة. وعـن هـذه الحقيقــة يقــول "نبيــل أيــوب":« كــان علــى الموضــوعاتية أن تنتظــر فيلســوفًا مثــل باشــلار، ينطلــق مــن الظواهريــة ويدرّســها، ويميــل إلــى التحليــل النفســي والوجوديــة، ويتجاوزهــا مجتمعــة إلــى فلســفة الخيــال المــادي والحركــي لتُثبِّــت انطلاقتهــا، وتحقِّــقَ نقلتهـا مـن التركيـز علـى الـوعي النقـدي، ومجاوزتـه إلـى الخيـال»[1]. فـ "باشـلار" قـد تخصــص فــي تــاريخ العلــوم، إلــى جانــب نزوعــه الابســتيمولوجي الفلســفي واشــتغاله بالمتخيَّـل الشــعري، حيــث يــرى أنّ:« مهمــة الإبســتمولوجيا تكمــن فــي القيــام بتحليــل نفســي للمعرفــة الموضــوعية، ويعــد كتابــه حــول تكــوّن الفكــر العلمــي **(l'esprit scientifique la formation de)** أهــم كتــاب يتعــرض فيــه إلــى هـذه المعرفـة الموضـوعية التـي يتـوخّى التحليـلُ النفسـي الوصـول إليهـا، إلـى بحـث المكبوتـات التـي يفتـرض فيهـا ديناميـة وقـدرة، وهـذه المكبوتـات هـي مـا يطلـق عليهـا "باشـلار" العوائـق الإبسـتومولوجية، وهـي تظهـر باسـتمرار مـن خـلال العمـل العلمـي

[1] نبيل أيوب، نص القارئ المختلف وسيميائية الخطاب النقدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2011، ص303.

الـذي يتحقـق بـدوره عبـر قطيعـة ابسـتمولوجية، يحقـق فيهـا العلـم طفـرة نوعيـة»[1]. كمـا درس " باشـلار" كـذلك الصـورة الشـعرية، حيـث يراهـا تطفـو علـى سـطح الـنفس فاتّخـذ منها(موقفًـا موضـوعيًا) مستخلصًـا ذلـك مـن العناصـر الماديـة الأربعـة (المـاء، والهـواء، والتـراب، والنـار)، وهـي العناصـر الأساسـية فـي نظريـات نشـوء الكـون، كمـا يجعـل "باشـلار" مـن الخيـال عـاملًا منظِّمًـا للعـالَم الخـاص للفنـان، فقـد وظّـف ظاهريتـه فـي دراسـة موضـوع الخيـال، إذ هـو يـرى أنّـه:« لا يوجـد موضـوع دون ذات، وأنّ وظيفـة الظاهراتيـة ليسـت وصـف الأشـياء كمـا هـي فـي الطبيعـة، فهـذه مهمـة عـالِم الطبيعـة، وإنّمـا فـي القـدرة علـى اسـتعادة الدهشـة السـاذجة حـين رؤيتنـا لأشـياء الطبيعـة، وذلـك أنّنا حين نحلم فنحن ظاهراتيون دون أن نعلم»[2].

وهكـذا فقـد أحـدث "باشـلار" ثـورة فـي مجـال النقـد الأدبـي، عنـدما أعـاد الاعتبـار للخيـال، ورأى أن مهمـة الناقـد هـي أن يحلـم مـع المبـدع، وأن يعثـر علـى الصـورة الشـعرية فـي انبثاقهـا، وأن يـدعها تـرنّ فـي ذاتـه، وأن يكتشـف تنظيمهـا السـري. هكـذا يرغـب "باشـلار" فـي أن يكـون الناقـد ذاتيًـا وموضـوعيًا فـي آن. وأنـه ينبغـي أن يـتمّ فهـم الأدب عـن طريـق الصـور الأدبيـة. ذلـك أن أصـالة الكاتـب إنمـا تقـاس بجِـدَّة صـوره، وأن يحلـم الناقـد مـع الآثـار الأدبيـة، لا أن يقتصـر علـى رؤيتهـا فقـط. وقـد أشـار الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" إلـى أنّ كتـاب "جماليـات الفضـاء" لغاسـتون باشـلار يُعتبـر كتابًـا مهمًـا فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي، ولكـن فُهـم علـى أنّـه دراسـة لأنـواع المكـان، ولـيس هـذا الكتـاب فحسـب، بـل العديـد مـن كتبـه الأخـرى، وإزاء ذلـك يقـول الدكتور"عبـدلي":« كُتـب باشـلار الكثيـرة، والتـي تُـرجم عـدد منهـا إلـى اللغـة العربيـة، لـم يـتم تناولهـا فـي إطـار الفلسـفة الظاهراتيـة التـي تزعمهـا إدمونـد هوسـرل. وهـي الفلسـفة

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص18.

[2] محمد عزام، النقد الموضوعاتي، م، (www. startimes.com)، في: 2012/05/14.

التـــي اتخـذ "باشـلار" منهـا قاعـدة لتفكيـره وممارسـاته النقديّـة التـــي مهّـد بهـا الطريـقَ لتأسـيس المـنهج الموضـوعاتي وتطـويره علـى أيـدي "جـان بيـار ريشـار" و"جـان بـول ويبـر" بالخصـوص»[1]. فعلـى مثـل هـذا القـول تتجلـى لنـا جهـود "باشـلار" الراميـة إلـى تأسـيس مـنهج نقـدي يسـتمد قاعدتـه مـن الفلسـفة الظاهراتيـة، فـي حـين يرجـع الفضـل فـي تطوير المنهج الموضوعاتي إلى كل من "جان بيار ريشار" و"جان بول ويبر".

2/1: جورج بولي (George Poulet)

تقـوم القـراءة النقديـة للأعمـال الأدبيـة عنـد "جـورج بـولي" علـى الكشـف عمّـا تحملـه هـذه القـراءة مـن وعـي بمفهـومي الزمـان والمكـان، فهـو يسـعى إلـى العثـور علـى التجربـة الأولـى للكاتـب مـن خـلال اسـتعانته بالتحليـل الظـاهراتي لعنصـرَي الزمـان والمكـان، أو مـا يسـميه (كوجيتـو)*، فالناقـد يتسـاءل إثـر ذلـك: مـا هـو الموقـف الـذي اتّخذه الكاتب حيال (الزمان والمكان)؟[2].

يقـول الدكتور"محمـد السـعيد عبـدلي":« لـم يهـتمَّ جـورج بـولي كثيـرًا بـالتنظير لمـنهج نقـدي محـدّد، وإنّمـا كـان يقـدّم بعـض الآراء النقديـة انطلاقًـا مـن بحثـه المتواصـل عـن قضـية أساسـية شـغلت فكـره باسـتمرار، وقـادت جـل مجهوداتـه النقديـة، وهـي قضـية الكشـف عـن وعـي الأديـب بذاتـه مـن خـلال وعيـه بالزمـان والمكـان »[3]. وقـد انطلـق "بوليـه" فـي مقاربـة الأعمـال الأدبيـة مـن رؤيـة ميتافيزيقيـة، مقتفيًـا فـي ذلـك أثـر كتابـات "باشـلار" حـول الزمـان، ومقاربتـه لمفهـوم اللحظـة التـي جـاءت ضـد مفهـوم التصـوّر الاسـتمراري للزمـان الـذي كـان يجسـده بامتيـاز " بركسـون"، ومـن ثـمَّ يقـوم بدراسـة السـلوك

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص9.

* كوجيتو: يعني مقولة ديكارت (أنا أفكر إذًا أنا موجود).

[2] محمد عزام، النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 365،(www. awu-dam .org)، سنة 2000.

[3] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 66.

الجـوهري للكاتـب أو المبـدع أمـام المكـان والزمـان، كمـا اسـتفاد "جـورج بوليـه" كـذلك مـن الفلسـفة الظاهراتيـة حينمـا قـام بـالوقوف علـى مختلـف مظـاهر الـوعي الأدبـي، وصـرّح بقولـه:« يمكننـا أن نتسـاءل أيضًـا حـول مـا إذا كانـت مهمـة النقـد محصـورة فـي الكشـف عـن الـوعي، بعـد أن صـرنا نعتقـد الآن أن الـوعي هـو الـوعي بشـيء مـا. ألـيس مـن الممكـن إذن العثـور عنـد منطلـق الفعـل الأدبـي، علـى هـذا الشـيء الـذي كـان موضـوع الفكـرة؟ لا ينبغـي للنقـد أن يكتفـي بـالتفكير فـي فكـرة مـا، وإنمـا يجـب عليـه عبـر هـذه الفكـرة أن يصعد منتقلا من صورة إلى صورة، حتى يبلغ الإحساس»[1].

إنّ "جـورج بـولي" ـ بالاسـتناد إلـى هـذا القـول ـ يـرى بـأنّ مهمـة النقـد تكمـن فـي البحـث عـن النـواة المشـكِّلة للعمـل الأدبـي، أو بتعبيـر آخـر البحـث عـن البـذرة التـي كـان لهـا الفضـل فـي نشـأة العمـل الأدبـي، وهـي الفكـرة التـي دعـا إليهـا "جـان بـول ويبـر" كـذلك. وفـي هـذا السـياق يقـوم الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" بشـرح للفكـرة التـي جـاء بهـا " جـورج بـولي" فـي نـص قولـه السـابق حيـث يقـول "عبـدلي":« مـا يقصـده جـورج بـولي بالإحسـاس هنـا، هـو ذلـك الإحسـاس الأول بالموضـوع، أي ذلـك الـذي اصـطلح علـى تسـميته بـ: "شـيء مـا". فيكـون التوصّـل إلـى اكتشـاف هـذا الإحسـاس الأول هـو اكتشـاف للصـورة الأولـى للموضـوع أي نواتـه، وتلـك هـي الموضـوعاتية؛ وعنـد ذلـك يمكـن للناقـد أن يقـوم بتتبّـع التعـديلات المتنوعـة التـي تتّخـذها الموضـوعاتية فـي الـنص وهـي تقـوم ببنائـه، عبر التّفرعات المستمرة لصور تعديلاتها انطلاقا من صورتها الأولى»[2].

بهـذا الشـرح الـذي جـاء بـه الدكتور"عبـدلي" للاتجـاه الـذي سـلكه "جـورج بـولي" فـي ممارسـته النقديـة تتضـح مهمـة النقـد الموضـوعاتي عنـده وهـي كمـا ذكرنـا سـالفًا أنّهـا تقـوم علـى معرفـة النـواة التـي انبثـق منهـا العمـل الأدبـي، ثـم الكشـف عـن تعـديلاتها

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 57 و58.

[2] المرجع السابق، ص 58.

المستمرة، وهي الفكرة التي أقرّ بصحّتها الدكتور "عبدلي" بقوله:« تدخل دعوة جورج بولي إلى وضع النقد الأدبي في مساره الصحيح عن طريق جعله أمام مهمة محدّدة وواضحة، وهي الكشف عن موضوعاتية النص الإبداعي، أو ما سماه هو "الشيء الذي كان موضوع الفكرة، وهذا كله ضمن توجّه فكري واسع تصبّ جهود المشتغلين به في البحث في موضوع مركزي هام هو "وعي الإنسان بالعالم»[1]. ففي هذا القول بيان لمهمة النقد الموضوعاتي والمتمثلة في معرفةِ موضوعاتيةِ النّصِّ والكشف عن تعديلاتها المتنوعة داخل العمل الأدبي.

3/1: جان بيار ريشار(Jean Pierre richard)

يعتمد "ريشار" على خلفية فكرية ونقدية خاصة يعود إليها الفضل في بناء منهجه النقدي، فهو يستند إلى الفلسفة الظاهراتية التي يُمثِّلها " إدموند هوسرل" والفلسفة الوجودية لدى "جان بول سارتر"، وفلسفة العناصر الأربعة عند "غاستون باشلار". لقد حاول "ريشار" أن يميّز بين مدلول كلمة (موضوع) ومدلول كلمة (الموضوعاتية)، وذلك بسبب الغموض الحاصل بين هاتين الكلمتين، يقول الدكتور "محمد السعيد عبدلي":« وفي حقيقة الأمر، فإنّ "جان بيار ريشار" نفسه لا يخفي الصعوبة الكبيرة التي تواجه الباحث في سعيه إلى وضع تعريفٍ دقيقٍ لمصطلح الموضوعاتية، ولا يجد أي حرج في الاعتراف بذلك، وقد يعود سبب هذه الصعوبة إلى الطابع التجريدي الذي يُميز مجالات العلوم الإنسانية؛ فيقول في مقدمة كتابه " العالم التخيلي لمالارمي ": ((أولى هذه المشاكل المفهوم الموضوعاتي ذاته، والذي

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص 58.

يتأسّـس عليـه عملُنـا بكاملـه. فمـا هـو الموضـوعاتي إذن؟ لا وجـود لمـا هـو أكثـر انفلاتًـا وإبهامًا منه... فكيف يثبت محيطه؟ وكيف نستخلص جوهره؟ »[1].

يقدم "ريشار" للموضوع ثلاثة تعاريف:

ـــ **التعريـــف الأول:**« الموضـوع مبـدأ تنظيمـي محسـوس، أو ديناميكيـة داخليـة أو شـيء ثابـت يسـمح لعـالم حولـه بالتشـكّل والامتـداد. والنقطـة المهمـة فـي هـذا المبـدأ تكمـن فـي تلـك القرابـة السـرية، فـي ذلـك التطـابق الخفـي، والـذي يـراد الكشـف عنـه تحـت أسـتار عديدة »[2] .

ـــ **التعريـــف الثـــاني:**« الموضـوع أو الجـذر، وأفضّـل اسـتعمال كلمـة جـذر، لأنّهـا اللمعـة أو الخليـة الرحميـة الأولـى لموضـوع، مـن حيـث أنّ التفرّعـات الموضـوعاتية تنبثـق مـن الجـذر بطريقـة توالديـة، أو وفقًـا لنسـق تصـادمي، تجـاوزي، يعنـي فـي قاموسـنا النقـدي حادثـا أو موقفـا يظهـر بصـورة شـعورية أو لاشـعورية فـي نـص أو فـي مجموعـة مـن النصـوص الأدبيّـة. الأدوات النقديّـة تتغـاير وفـق الـزمن الـذي تُسْـتَجْلَى لحظاتـه اللغويـة والفكريـة. لكـن الجـذر فـي مختلـف الأحـوال يبقـى مرادفًـا للمركـب أو العقـدة فـي قـاموس التحليـل الفرويـدي، كمـا مارسـه " شـارل مـورون "، لأنـه يبقـى لاشـعوريا فـي أغلـب الأحيـان، وغامضًـا حتـى علـى الكاتـب، لأن جـذوره ضـاربة فـي عهـود الطفولـة الأولـى. من هنا أعتقد بوجود "جذور" أو"عقدة جذور" غير قابلة للاختزال أو التبسيط»[3].

ـــ **التعريـــف الثالـــث:**« الموضـوع وحـدة مـن وحـدات المعنـى، وحـدة حسـية أو علائقيـة أو زمنيـة مشـهود لهـا بخصوصـيتها عنـد كاتـب مـا. كمـا أنهـا مشـهود لهـا بأنّهـا تسـمح

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه و إجراءاته، مرجع سابق، ص 73.

[2] ينظر، عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، ص 46 و47.

[3] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 76.

انطلاقًـا منهـا وبنـوع مـن التوسّـع الشـبكي أو الخيطـي أو المنطقـي أو الجـدلي ببسـط العـالم الخـاص للكاتـب»[1]. وحـول هـذا المحـور النقـدي تـدور كـل أبحـاث ريشـار ودراســاته. يقــول الــدكتور" يوســف وغليســيي":« ولفــرط اعتــداد "ريشــار" بــالحواس والأحاسـيس، فقـد أسّـس مفهومـه للموضـوع علـى قاعـدة حسـيّة متينـة، حيـث الموضـوع هـو ــ ببسـاطة عميقـة ــ "وحـدة حسـيّة" وهـو " مبـدأ تنظيمـي محسـوس/ ملمـوس»[2]. أمـا فيمـا يخـص مفهـوم الموضـوعاتية فهـي عنـد "ريشـار": « بحـث عـن المعنـى فـي كـل الاتجاهـات»[3]. وهـذا المفهـوم مـن وجهـة نظرنـا يـوحي بصـعوبة وضـع مفهـوم واضـح ودقيق لمصطلح الموضوعاتية.

ولمـا كـان الموضـوع وحـدة مـن وحـدات المعنـى، فـإن كـل موضـوع يشـتمل علـى مجموعـة مـن الظهـورات، وكـل ظهـور يُعـدّ لباسـاً للمعنـى، وكـل ظهـور للمعنـى هـو صـدى لظهـور آخـر للمعنـى ذاتـه. واكتسـاب العنصـر المـدروس هويتـه يـتم مـن خـلال انتمائــه إلــى النســق الــذي يتشــكل فيــه. وهــو يكتســب القــدرة علــى التكوكــب حــول العناصـر الأخـرى التـي تنتمـي إلـى نفـس النسـق. ومـن هنـا جـاء قـول "ريشـار" بـأنّ:« الموضـوعاتية هـي بحـث عـن المعنـى فـي كـل الاتجاهـات»[4]. ويُشـير الـدكتور " محمـد السـعيد عبـدلي إلـى أنّ " ريشـار " يضـع الحـدود الفاصـلة بـين مفهـومي الموضـوع والموضــوعاتية حينمــا يقــول:« يجــب التفريــق فــي قــاموس النقــد الجــذري بــين الفكــرة الرئيسية والجذر.

[1] ينظر عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي ، مرجع سابق، ص48.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 59.

[3] ينظر عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي، ص37.

[4] عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب، مرجع سابق، ص37.

الفكـرة الرئيسـية هـي كـل عنصـر لغـوي يعـود بإلحـاح فـي الأثـر الأدبـي. إنّهـا متعلّقـة بمفـردات اللغـة ومصـطلحاتها. أمـا الجـذر فإنّـه يختلـف عـن الفكـرة الرئيسـية ومجموعـة التماعاتهـا ورموزهـا وجزئياتهـا»[1]. وفـي هـذا القـول يتّضـح مفهـوم الفكـرة الرئيسـية والتـي ترمـز إلـى موضـوع الـنص، ومعرفتـه تكمـن فـي التركيـز علـى الكلمـات المتكـررة بشـكل كبيـر فـي العمـل الأدبـي، فـي حـين يغيـب فـي هـذا القـول مفهـوم الموضـوعاتية التـي يطلـق عليهـا "ريشـار" مصـطلح الجـذر. ثـم نجـده فـي قـول آخـر يُشـير إلـى صـعوبة وضـع مفهـوم للموضـوعاتية وقـد ورد ذلـك فـي مقدمـة كتابـه " العـالم التخيلـي لمـالارمي":« أولـى هـذه المشـاكل المفهـوم الموضـوعاتي ذاتـه، والـذي يتأسّـس عليـه عملنـا بكاملـه، فمـا هـو الموضـوعاتي إذن؟ لا وجـود لمـا هـو أكثـر انفلاتًـا وإبهامًـا منـه... فكيـف يثبـت محيطـه؟ وكيـف نسـتخلص جـوهره؟»[2]. ويبـدو أنّ الوصـول إلـى تحديـد مفهـوم واضـح لمصـطلح الموضـوعاتية بحسـب مـا جـاء فيمـا تقـدّم مـن تعـاريف أمر في غاية الصعوبة.

درس "ريشـار" النتاجـات الأدبيّـة للشـاعر المعـروف "مالارميـه"، وقـد حـاول اجتذابـه إلـى منطقـة السـهولة والوضـوح، وحـاول تـأليف متحـف مـن الصـور والألـوان والإيقاعـات المفضـلة لديـه. فهـذه الأشـياء هـي وسـائل التعبيـر الأولـى لبنـاء أطلـس مالارميـه، فقـدّم متحفًـا للخيـال المـالارمي، صـنّف فيـه كـل أنـواع النبـات والحيـوان والنسـاء، فـي عـالم ظـواهري محسـوس، يحتـوي الأصـوات المحبوبـة، والأشـياء المعشـوقة لديـه، وقـد انتهـى إلـى أن بلـوغ الخاصّـيتين الأهـم فـي العمـل الأدبـي العظـيم همـا: التجـانس، والبسـاطة، حيـث لا حشـو، ولا إسـفاف ولا تنـاقض. وأنّ مـا يهـم الناقـد مـن الـنص هـو المنطـق الحسّـي الـذي يغـذّي نـداء الـنص لنـا. كمـا أنّ "ريشـار" يـرى

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص73.

[2] المرجع السابق، ص74.

بـأنّ النقـد الموضـوعاتي يفكّـك العمـل الأدبـي، بحثًـا عـن معنـاه، ثـم يعيـد تركيبـه، وفـق مشروع أوهدف وجودي يرتبط، ليس بوعي الكاتب وإنما بوعي النص المنقود.

وتُعنـــى القـــراءة الموضـــوعاتية عنـــد "ريشـــار" بـــالبنى الخاصـــة التـــي تمثّـــل الحضـور الشـعري إزاء الأشـياء. ومـن هنـا يصـبح النقـد الموضـوعاتي عنـده بحثًـا عـن البنيـات مـن أجـل التعـرّف علـى المعنـى الـذي يُوحّـد هيكـل المشـهد الأدبـي. وهـذا المعنـى هـو الرؤيـة الكليـة الواحـدة التـي يتوصّـل إليهـا الناقـد بعـد تفكيكـه للعمـل الأدبـي إلى وحدات صغيرة، وموضوعات وترسيمات...

وأمـا الـدّال فـي النقـد الموضـوعاتي فهـو الشـكل، والمـدلول هـو المعنـى. ولكـن القـراءة الموضـوعاتية تتجـاوز هـذا التصـنيف فتجعـل المـدلول (المعنـى) دالاً علـى مسـتوى آخـر. ذلـك أن النقـد الموضـوعاتي هـو نقـد للمـدلول، أي أنـه يسـبر السـجلات الأساسـية، حيـث ينتشـر المعنـى، ويصـنّف كـلاً منهـا فـي خانـة، ثـم يعـود فيجمـع هـذه الخانـات فـي وحـدة (معنـى). وبهـذا تجعـل القـراءة الموضـوعاتية المـدلول دالاً. ومـن هنا ابتداع "ريشار" لمصطلح (مضمون الشكل).

والقـراءة الموضـوعاتية هـي قـراءة حلوليـة، لأنّ النقـد الموضـوعاتي هـو بالأصـل نقـد حلـولي، ينفـي الإحالـة إلـى أي مصـدر خـارجي اجتمـاعي أو تـاريخي، كمـا ينفـي الإحالـة إلـى الكاتـب الـذي يصـدر عنـه العمـل الأدبـي. فالكاتـب موجـود خـارج العمـل المنقـود. وهـذا يعنـي قـدرة العمـل علـى أن يخلـقَ خالقَـه، أكثـر ممـا يخلقُـه خالقُـه. لـذلك يَعتبـر " ريشـار" الحلوليـة شـرطًا لقيـام الدراسـة الحلوليـة. هنـا يقـول الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي":« يقـف مفهـوم الحلوليـة عنـد ج. ب. ريشـار فـي مقابـل مفهـوم الإحالـة؛ فبينمـا يجعـل " الحلوليـة " شـرطًا لقيـام الدراسـات الموضـوعاتية، فهـو يُبعـد

عـن طريـق هـذه الدراسـات " الإحالـة " لأنّهـا تجعـل النقـد الموضـوعاتي ينحـرف عـن غايته ويبتعد عنها»[1]،

إنّ الحلوليـة هـي أداة إجرائيـة مهمـة فـي المقاربـة الموضـوعاتية. ثـم يقـف "ريشـار" عنـد مفهـوم (الحسّـيّة) فهـي أحـد المفـاهيم القاعديـة فـي النقـد الموضـوعاتي، ويتجلّـى فـي مسـح الحقـول الحسـية المعينـة، مـن أجـل تحديـد الخيـارات الشخصـية الفاعلـة فيهـا. ويتحـدّد مفهـوم (الحسّـيّة) عنـد "ريشـار" فـي البحـث عـن اللحظـة الأوليـة فـي عمليـة الخلـق الأدبـي عنـد الأديـب، حيـث يحتـك، بـدءاً، بالأشـياء. وفـي الكشـف عـن تمفصـل العناصـر الأوليـة التـي يسـتمدها الشـاعر مـن حسـه وخيالـه. وهنـا نستحضـر مقولـة يُـدلي بهـا الـدكتور "يوسـف وغليسـي" مفادهـا أنّ "ريشـار" يعتمـد اعتمـادًا كبيـرًا علـى الأحاسـيس يقـول:« ولفـرط اعتـداد ريشـار بـالحواس والأحاسـيس، فقـد أسّـس مفهومـه للموضـوع علـى قاعـدة حسـيّة متينـة؛ حيـث الموضـوع هـو ـ ببسـاطة عميقـة ــ " وحـدة حسـيّة " وهـو مبـدأ تنظيمـي محسـوس/ ملمـوس»[2]. إنّ نقطـة ولادة العمـل الأدبـي إنمـا تعنـي تحليـل هـذه العناصـر الحسـية الأوليـة لهـذا العمـل، كمرحلـة أولى. ثم تحديد الكيفية التي تلتقي بها هذه العناصر كمرحلة تالية.

وقـد انتهـى "ريشـار" إلـى أن بعـض الموضـوعات تُعيـد نفسـها فـي العمـل الإبـداعي. وهـذا مـا يوصـل إلـى مفهـوم الاطّـراد، لأنّ هـذه الموضـوعات تقـوم بمهمـة تنسـيق الحيـاة الخفيـة فـي العمـل الإبـداعي، وهـذا مـا يقـود إلـى الوظيفـة النوعيـة للموضـوع. والواقـع أن معـاودة موضـوعات مـا، مـن قبـل أديـب مـا، فـي أعمـال أدبيـة متعـددة، إنّمـا هـي مقيـاس لأعمالـه، ومفتـاح لتنظيمهـا، ودليـل علـى هـوس الأديـب بهـا، نظـرًا لاطّرادهـا فـي أدبـه، وتتابعهـا فيـه. ولكـن الإمسـاك بهـذه المعـاودة والاطـراد مـن

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص93.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 59.

قِبـل الباحـث يحتـاج إلـى حصـر الموضـوعات الجزئيـة، والكلمـات، وبالتـالي إلـى عمليـة إحصـائية. ومـن هنـا ينبغـي علـى الباحـث أن يبنـي معجمًـا للتـواتر اللفظـي فـي العمـل الأدبـي، ويظـلّ دقيقًـا وصـابرًا فـي قـراءة الـنص، فالدقـة والصـبر همـا اللـذان يقـودان إلـى القوانين الداخلية للرؤية والخيال.

ومـن هنـا فـإنّ "ريشـار" يتنـاول مفهـوم الاطّـراد بـتحفّظ، ودون أن يجعلـه المعيـار الوحيـد، ذلـك أن الغـزارة ليسـت معيـارًا نهائيًـا لتحديـد الموضـوعات المهيمنـة فـي العمـل الأدبـي، فمـن التكـرار مـا قـد يكـون بـلا قيمـة دالـة. والمطلـوب هـو البحـث عـن نقـاط التقـاطع، كنقـاط حساسـة، كمـا فـي صـورة (العـري) عنـد "مالارميـه"، فهـي تسـيطر علـى الحقـل. وينتهـي "ريشـار" إلـى أن « قيمـة أي موضـوع إذن، تتحـدّد مـن خـلال إلحاحـه وقدرتـه علـى التمفصـل»[1]، وأنّ معنـى أي موضـوع إنمـا ينـتج عـن علاقتـه بـالآخر، ضـمن الكـون التخييلـي، وأنّ الموضـوعات تميـل إلـى الانتظـام فـي مجموعـات مرنـة عندما يهيمن عليها قانون التشاكل، والبحث عن أفضل توازن ممكن.

وهكـذا يبـدو إسـهام "ريشـار" كبيـرًا فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي حتـى لَيُعَـدُّ– بحـق– مؤسسـه، وقـد أغنـاه بمقـولات ومفـاهيم زادتـه وضـوحًا مـن مثـل: الكثافـة، والبنيـة، والـدال والمـدلول، والعمـق، والعلاقـة، والحلوليـة، والخيـال، والحسـية، والتجـانس... الـخ. في ثنائيات ضدية مستقاة من ألسنية دوسوسير.

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعاتي، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1996، ص52.

4/1: جان بول ويبر(Jean-Paul Weber)

يعتبـر" ويبـر" مـن المهتمـين بشـكل كبيـر بالنقـد الموضـوعاتي، فقـد قـدّم لهـذا المـنهج الكثيـر، وعـن هـذه الحقيقـة يقـول الـدكتور "يوسـف وغليسـي":« فيبـر هـو واحـد مـــن أشـــدّ النقـــاد الموضـــوعاتيين وضـــوحًا وانســـجامًا وإخلاصًـــا للمـــنهج؛ أو بـــالأحرى لاتجاهــه الإجرائــي الــذي اختطّــه فــي المســار المنهجــي الموضــوعاتي، والــذي يمكــن تسـميته بــ(الموضـوعاتية السـيكولوجية).»[1]. فبحسـب هـذا القـول الـذي جـاء بـه الناقـد " يوسـف وغليسـي" إشـارة إلـى أنّ " جـان بـول ويبـر" يُـزاوج بـين المنهجـين الموضـوعاتي والسـيكولوجي فـي تحليلـه للأعمـال الإبداعيـة، وهـذا مـا يظهـر بشـكل واضـحٍ فـي قولـه الثـاني:« واضـح مـن خـلال هـذا العـرض البليـوغرافي البسـيط، أنّ (فيبـر) يحتفـي بالحضـور السـيكولوجي إجـراءً ثابتًـا داخـل ممارسـته الموضـوعاتية المختلفـة»[2]. ولعـل هـذه الفكـرة تجلّـت للناقـد مـن خـلال أنّ " ويبـر" فـي منهجـه الموضـوعاتي يُحـاول أن يُرجـع العمـل الأدبـي كلّـه إلـى حـدث طفـولي تَرسّـب فـي ذاكـرة المبـدع، وتجلّـى فـي أعمالــه الإبداعيــة، والحقيقــة أنّ " ويبــر" لا يقصــد هــذه المزاوجــة بــين المنهجــين، فهــو يوضـح ذلـك بقولـه:« إنّنـا نعتقـد بكـل صـدقٍ بأنـه لا يمكـن لأحـدٍ أن يتّهمنـا بـأنّ أعمالنـا النقديــة تنتمــي إلــى التحليــل النفســي الفرويــدي، ذلــك لأننــا نــرفض مــا تقــوم بــه الفرويديــة لمـا تُرجِـع كـلَّ التـواترات العاطفيـة والصـراعات النفسـية إلـى عقـدة واحـدة هـي ـ حسـبها ـ عقـدة أوديـب ومـا يلازمهـا مـن عقـد أخـرى كالخصـي والعجـز الجنسـي. إنّ هـذه النظـرة الاختزاليــة المتمثّلــة فــي العقــد النفســية والتــي يجعلهــا التحليــل النفســي محــورًا يَشــدّ إليهــا الأعمـــال الإبداعيـــة ومؤلّفيهـــا ليحـــاول بنـــاء تحاليلـــه النقديـــة، أدت إلـــى انحصـــار الدراســات النقديــة وتقاربهــا مــن بعضــها بعضــا، وتشــابه نتائجهــا التــي كثيــرًا مــا تــأتي

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص64.

[2] المرجع نفسه، ص65.

حـديثا عـن المؤلـف بـدلا مـن نصـه أو نصوصـه الإبداعيـة. إننـا لا نسـتطيع هنـا إلّا تكـرار مـا سـبق أن قلنـاه فـي أمـاكن أخـرى؛ وهـو أن الدراسـات النقديـة القائمـة علـى التحليل النفسي الفرويدي لا تعطي إلا نتائج مخيِّبة للأمل»[1].

وفـي بـاب التفصـيل لهـذه الفكـرة لابـد أن نُشـير إلـى أن الجـذر عنـد " فيبـر" هـو حـادث أو موقـف يمكـن أن يظهـر بصـورة شـعورية أو لا شـعورية فـي نـص مـا، بصـورة واضـحة أو رمزيـة. فهـو يقـارب العقـدة فـي التحليـل النفسـي لكنـه يختلـف عنهـا، لأنّـه يظـل غيـر مفهـوم مـن الكاتـب نفسـه، باعتبـاره يعـود إلـى عهـد الطفولـة. والجـذور –عنـده– نوعـان: جـذور شخصـية، وجـذور عامـة، فالجـذور الشخصـية غيـر قابلـة للاختـزال أوالتبسـيط، وهـي بعيـدة عـن العقـد النفسـية. والفـرق بـين الجـذور الشخصـية، والجـذور العامـة هـو أن جميـع الأطفـال يمـرون مـثلاً بعقـدة " أوديـب". ولكـن مـن النـادر أن يتوقفـوا عنـد هـذه المرحلـة فـلا يتجاوزونهـا، وهـذا الوقـوف يـدعى فـي علـم الـنفس المرضـي(التثبيت).كمـا أنّ الجـذر هـو افتـراض فـي البدايـة، ثـم يقـوم التحليـل التمـاثلي للنصـوص بتأييـده. ومـن أجـل العثـور علـى هـذا الافتـراض ينبغـي اللجـوء إلـى ذكريات الطفولة.

ولـدى تطبيـق " فيبـر" لهـذا المـنهج علـى النصـوص الشـعرية وجـد أن الشـاعر "دوفينـي" قـد توقـف عنـد موضـوع السـاعة. وهـذا جـذر شخصـي جعلـه الشـاعر موضـوعَه المُلِـحَّ. وأنّ الشـاعر "ملارميـه" قـد توقّـف عنـد الطيـر المحتضـر، أو الطيـر الـذي وقـع فـي الفـخ، وهـذه كلهـا جـذور شخصـية، بخـلاف الجـذور العامـة التـي هـي مشـتركة بـين أشـخاص لا حصـر لهـم. وقـد يعبّـر الجـذر عـن نفسـه بشـكل رمـزي فـي الجـذور الشخصـية، والخاصـية الغالبـة فـي الجـذور العامـة. وهكـذا يعبّـر الأثـر الأدبـي

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه إجراءاته، مرجع سابق، ص232.

مـن خـلال عـدد لا حصـر لـه مـن الرمـوز عـن فكـرة ثابتـة أو جـذر وحيـد. وهـذا الجـذر يثبّت أصوله في حادث منسي في طفولة الكاتب.

وبعـد أن يفتـرض الناقـد الفكـرة المتسـلّطة يقـوم بالتأكيـد علـى التشـابه الـذي يمكـن أن يوجـد بـين هـذه الفكـرة الثابتـة وبـين كـل نـص يجـري فحصـه. وقـد قـام فيبـر بهـذا، فقـارن حادثـة سـقوط "بـول فـاليري" عنـدما كـان طفـلاً فـي حـوض مـاء، فوجـد فـي قصـائد "فـاليري" تلميحـات إلـى هـذا الحـادث: (الاحتضـار العـذب، المقبـرة البحريـة... الـخ). وأكـد بعشـرات التفاصـيل هـذه الفكـرة المتسـلطة، وربطهـا بالحـادث الـذي وقـع لـ "فاليري" في طفولته.

وعلـى العمـوم فـ"جان بـول ويبـر" كـان لـه الفضـل الكبيـر فـي إزاحـة كثيـر مـن الغمـوض عـن هـذا المـنهج النقـدي، حيـث قـدّم مفـاهيم واضـحة للنقـد الموضـوعاتي، كمـا أنّـه قـد وضـع الآليـات التـي تُمكّـن كـل ناقـد موضـوعاتي مـن اكتشـاف الموضـوعاتية (النـواة) وتعـديلاتها المتنوعـة، والتـي كـان لهـا الفضـل فـي بنـاء عـالم الـنص وانسـجامه، ومن ثمة الكشف عن عبقرية مؤلفه.

2/ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم العربي.

سـنحاول تحـت هـذا العنـوان أن نقـف بشـيء مـن التحليـل والتفصـيل عنـد بعـض المنجـزات النقديّـة فيمـا يتعلّـق بالمقاربـة الموضـوعاتية لـدى بعـض النقّـاد العـرب، مـن أمثـال الناقـد السّـوري "عبـد الكـريم حسـن" وكـذا الناقـدان المغربيـان "سـعيد علـوش" و"حميـد لحمـداني". ومـن الجزائـر هنـاك الناقـدان "محمـد السـعيد عبـدلي" و"يوسـف وغليسـي"، لكـن نـودُ الإشـارة إلـى أنّنـا لـن نُطيـل الحـديث عـن أعمـال ومنجـزات الناقـدين الجزائـريين، لأنّـه سـتكون لنـا وقفـة فاحصـة مـع جهـود الناقـد "عبـدلي" فـي المبحـث الثالـث مـن هـذا الفصـل الـذي سنخصصـه للحـديث عـن جهـود النُقـاد الجزائـريين فـي مجـال المقاربـة النقديـة الموضـوعاتية، كمـا سنفصّـل الحـديث عـن جهـود الناقـد الجزائـري "وغليسـي" فـي الفصـل الثالـث مـن هـذا البحـث علـى اعتبـار أن محـور بحثنـا سيكون حول المقاربة الموضوعاتية في الخطاب النقدي الجزائري المُعاصر.

1/2: عبد الكريم حسن

اهـتمَّ الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" كثيـرًا بالنقـد الموضـوعاتي، حيـث أسـفر اهتمامـه بهـذا المـنهج عـن تـأليف كتـابين فـي هـذا المجـال وهمـا "الموضـوعية البنيويـة. دراسـة فـي شـعر السـياب، 1983"، و" المـنهج الموضـوعي، نظريـة وتطبيـق، 1990"، حيـث قسّـم كتابـه الموسـوم بـ: " المـنهج الموضـوعي، نظريـة وتطبيـق " إلـى ثلاثـة فصـول مسـبوقة بمقدمـة وتليهـا خاتمـة، حيـث تطـرّق فـي مقدمـة مُؤَلَّفـه هـذا إلـى مصـادر النقـد الموضـوعاتي أو كمـا يسـميه هـو بالنقـد الموضـوعي، فيُشـير فـي البدايـة إلـى أنّ الدراسـة التـي يُقـدمها حـول النقـد الموضـوعاتي لا تُعتبـر مجـرد نقـل مـن لغـة إلـى لغـة أخـرى وإنّمـا هـي ـ كمـا يقـول ـ إعـادةُ خلـقٍ. فهـو يَعتَبِـر عملـه هـذا مرجعًـا علـى قـدرٍ كبيـرٍ مـن الأهميـة، وفـي ذلـك يقـول:« وهكـذا فـإنّ تقـديمنا للمـنهج الموضـوعي لا يُعَـدُّ مجـرّد نقـل مـن لغـة إلـى لغـة أخـرى وإنّمـا إعـادة خلـقٍ، فناقـدنا "ريشـار" لـم يُقـدّم

منهجـه فـي يـوم مـن الأيـام علـى النحـو الـذي قـدمناه، وهـذا مـا يجعـل مـن دراسـتنا مرجعًـا للمـنهج الموضـوعي لا فـي اللغـة العربيـة وحسـب، وإنّمـا فـي اللغـات الأخـرى »[1]. وفـي هـذا القـول الـذي جـاء بـه " عبـد الكـريم حسـن " شـيء مـن المبالغـة حينمـا يعتبـر عملـه هـذا مرجعًـا فـي غايـة الأهميـة، والحقيقـة أنّ الحكـم بهـذا الـزعم يُنتظـر مـن غيـره لا منـه، إذا كان هذا العمل حقيقة كما يزعمُ.

إنّ قولـه بـأنّ "ريشـار" لـم يُقـدم منهجـه علـى النحـو الـذي قدمـه هـو كـذلك قـولٌ فيـه نظـر، فـ "ريشـار" يُعـدُّ علمًـا مـن أعـلام النقـد الموضـوعاتي فـي العـالم الغربـي، وقـد قـدّم الكثيـر لهـذا المـنهج، وبفضـل أفكـاره وآرائـه ظهـر هـذا المـنهج فـي السـاحة النقديّـة، وبـرغم مـا ذهـب إليـه "عبـد الكـريم حسـن" فـي حـق " ريشـار" نجـده قـد اعتمـد عليـه واكتفـى بآرائـه ومفاهيمـه للنقـد الموضـوعاتي دون الاطـلاع علـى مـا صـدر عـن غيـره مـن النقـاد الموضـوعاتيين الآخـرين فـي تعـريفهم للمـنهج الموضـوعاتي وتوضـيح أسسـه وإجراءاتـه والآليـات التـي يوظفهـا فـي تحليـل النصـوص الإبداعيـة، وهـذا مـا أشـار إليـه فـي قولـه:« ولابـد مـن التأكيـد علـى أنّ المفـاهيم التـي نُقـدّمها فـي هـذه الدراسـة إنّمـا تقتصـر علـى التجربـة النقديّـة الريشـارية، فـنحن لـم نبحـث عـن المفـاهيم النقديّـة للمـنهج الموضـوعي عنـد النقـاد الموضـوعيين الآخـرين، وإنّمـا بحثنـا عنهـا عنـد " ريشـار" بالتحديد»[2].

وفـي إشـارة منـه إلـى أنّ " ريشـار" لا يُقلّـل مـن حقيقـة أنّ الـنص الإبـداعي هـو نتـاج مجموعـة مـن الظـروف الخارجيـة المحيطـة بـه، وأنّ جـوهر الدراسـة النقديّـة تكون بالتركيز على العلاقات الداخلية القائمة بين عناصره.

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، مرجع سابق، ص9.

[2] المرجع نفسه، ص9.

يُذكّر"عبـد الكـريم حسـن":« وعلـى الـرغم مـن أنّ " ريشـار" لا ينفـي أن يكـون الـنص الإبـداعي نتاجًـا تاريخيًـا، أي وليـد ظـروف اجتماعيـة وسياسـية وثقافيـة واقتصـادية معينـة، فإنّـه لا يـدرس الـنص مـن خـلال تـأثير هـذه العوامـل الخارجيـة فيـه، وإنّمـا مـن خـلال لعبـة العلاقـات الداخليـة بـين عناصـره »[1]. ليقـف فيمـا بعـد عنـد حقيقـة مفادهـا أنّ طبيعـة التنـاول النقـدي الـذي اخـتصّ بـه " ريشـار" وانفـرد بـه هـو أنّـه ينظـر إلـى العمـل الإبـداعي مـن جانبـه الحسـي، ولعـلّ هـذه الحقيقـة هـي التـي تميّـز " ريشـار" عـن بـاقي النقـاد الموضـوعاتيين، وهـذا مـا ذهـب إليـه "عبـد الكـريم حسـن" حـين قـال: « ولكنـه ممـا لا شـك فيـه أنّـه فـي نفـس الوقـت الـذي كانـت تتطـور فيـه أعمـال "ريشـار" فـإنّ هـذه الأعمـال حافظـت علـى خيـوط مشـتَرَكة، وأهـم هـذه الخيـوط هـو تنـاول العمـل الأدبـي مـن جانبـه الحسّـي، وهـذه هـي أهـم الخصوصـيات فـي النقـد الريشـاري، فالتنـاول الحسي هو الحقل الذي انفرد به " ريشار " من بين زملائه النقاد الموضوعيين»[2].

ثـم ينتقـل بعـد هـذا ليقـف عنـد بعـض الأعـلام الشـهيرة علـى نحـو: "غاسـتون باشـلار" و"جـورج بوليـه" و"جـان بـول فيبـر" و"جـان بـول سـارتر" وكـذا " إدمـون هوسـرل" فيقـف بالتحليـل والنقـاش عنـد بعـض المنـاحي العلميـة والفلسـفية التـي خـاض فيهـا هـؤلاء، أمـا فـي الفصـل الأول مـن هـذا الكتـاب فقـد خصّصـه "عبـد الكـريم حسـن" للحـديث عـن بعـض المفـاهيم المتعلقـة بالنقـد الموضـوعاتي، حيـث اسـتهّل هـذا الفصـل بتحديـد مفهـوم الموضـوع علـى اعتبـار أنّ هـذه الكلمـة هـي الأسـاس الـذي يرتكـز عليـه النقـد الموضـوعاتي فيقـدّم بـذلك مفهومًـا لـه تحـت تقريـره:« الموضـوع مبـدأ تنظيمـي محســوس، أو ديناميكيــة داخليــة، أو شــيء ثابــت يســمح لعــالم حولــه بالتشــكّل والامتـداد. والنقطـة المهمـة فـي هـذا المبـدأ تكمـن فـي تلـك القرابـة السـرية؛ فـي ذلـك

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، مرجع سابق ، ص14.

[2] المرجع السابق، ص 14.

التطـابق الخفـي والـذي يُـراد الكشـف عنـه تحـت أسـتار عديـدة »[1]. ويحـاول بعـد هـذا التعريـف للموضـوع أن يتعـرض بالتحليـل والنقـاش لكـل المصـطلحات الـواردة فيـه مـن مبـدأ وديناميكيـة وقرابـة سـرية وغيـر ذلـك، ثـم لا يجـد بُـدًّا مـن أن يقـدّم مفـاهيم أخـرى لـبعض المصـطلحات كـالمعنى والحسـية والخيـال والعلاقـة والتجـانس وشـكل المضـمون والبنيـة والعمـق والمُحالـة، ويقـف مـا بـين الـدال والمـدلول، وبـين المشـروع والقصـديّة والـوعي، لينتقـل بعـد ذلـك فـي الفصـل الثـاني مـن هـذا المُؤَلَّـف إلـى دراسـة تطبيقيّـة مترجمة عن شعر"بول إلوار".

وفيمـا يتعلّـق بالفصـل الثالـث فقـد اختـار لـه عنوانًـا موسـومًا بـ:" نقـد المـنهج الموضـوعي"، فنجـد الناقـد تحـت هـذا العنـوان يتوغـل فـي تحديـد نقـاط التلاقـي بـين الموضـوعية والتحليـل النفسـي والبنيويـة والموضـوعية البنيويـة فتجـد الناقـد فـي هـذا العنصـر الأخيـر يحـاول أن يرسـم لنـا المنـاطق التـي تتـداخل فيهـا جغرافيـة المنهجَـين، فيُميّـز النقـد الموضـوعاتي فـي اتفاقـه واختلافـه مـع الموضـوعاتية البنيويّـة مُعَرِفًـا القـارئَ بالآفاق التي ينفتح عليها المنهجان.

تـأتي بعـد ذلـك خاتمـة هـذا الكتـاب فيُرصـد لنـا مجمـل النتـائج المُتوصَّـل إليهـا، وهـو يُشـبّه لنـا "ريشـار" فـي تنقلـه بـين الفلسـفات وميـادين البحـث بتلـك النحلـة التـي تتنقـل بـين الأزهـار لتجمـع الرحيـق فتُهـدي لنـا بعـد ذلـك عسـلاً مُصـفًّى:« وإنّـه ليبـدو لـي أنّ خيـر مـا أختـتم بـه دراسـتي هـو التأمـل فـي صـورة النحلـة والرحيـق، فلقـد كـان "ريشـار" وهـو يتنقـل بـين الفلسـفات ومنـاهج البحـث فـي اللغـة والأدب أشـبه مـا يكـون بالنحلـة التـي ترشـف مـن كـل زهـرة بعضًـا مـن الرحيـق، ثـم تعـود إلـى خليتهـا لتصـنع قـرص الشَّـهد الـذي لا يطالبنـا بـأكثر مـن الاغتنـاء بخيراتـه»[2]. ثـم يُتبـع ذلـك بخطـة

[1] عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي نظرية وتطبيق، مرجع سابق ، ص 38.

[2] المرجع السابق، ص 168.

بحثـه المُحكمـة التـي عـرض بهـا أهـم أفكـاره الـواردة فـي هـذا العمـل الكبيـر. وبـين هـذه المفـاهيم التـي يُقـدمها " عبـد الكـريم حسـن " لا نجـد فيمـا ذكـر مفهومًـا واضـحًا للمـنهج الموضـوعاتي، بـل علـى العكـس مـن ذلـك فهـذه المفـاهيم التـي ذكرهـا تزيـد هـذا المـنهج غموضًا وضبابية.

ويُـردف "عبـد الكـريم حسـن" عملـه هـذا بعمـلٍ آخـر فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي وهـو المُؤلَّـف الموسـوم بـ: " الموضـوعية البنيويـة دراسـة فـي شـعر السـيّاب ". هـذا الكتـاب الصـادر عـن المؤسسـة الجامعيـة للدراسـات والنشـر سـنة 1983، هـو عبـارة عـن أطروحـة دكتـوراه حـاول الباحـث فيهـا أن يكشـف لنـا عـن الطريقة التي يتحرك بها الشعر العربي المُعاصر.

وقـد اختـار "عبـد الكـريم حسـن" مـن بـين نصـوص الشـعر العربـي المُعاصـر شـعر "بـدر شـاكر السّـياب"، مُقسِّـمًا بحثـه هـذا إلـى عشـرة فصـولٍ فضـلا عـن مقدمـة وخاتمـة، حيـث تطـرّق بالتحليـل والنقـاش فـي كـل فصـلٍ إلـى ديـوانٍ مـن دواويـن الشـاعر "بـدر شـاكر السّـياب"، عـدا الفصـل الأول الـذي خصـه بعـرْضِ منهجِـه فـي البحـث ومناقشـة المنـاهج الأخـرى الأكثـر التصـاقًا بـه، وكـذا الفصـل العاشـر الـذي بـيّن فيـه التـاريخ الشخصـي للسـيّاب والملامـح الكبـرى لأفكـاره ومواقفـه والأحـداث البـارزة فـي حياته.

بـاقي الفصـول فكـان فحـوى مضـامينها عـن دواويـن " بـدر شـاكر السـياب ". فالفصـل الثـاني كـان عـن ديـوان " بـواكي"، والفصـل الثالـث عـن ديـوان " قيثـارة "، والفصـل الرابـع فـي جـزأين الجـزء الأول عـن ديـوان " أعاصـير"، والجـزء الثـاني عـن ديـوان " أزهـار وأسـاطير"، والفصـل الخـامس عـن " ديـوان أنشـودة المطـر"، والفصـل السـادس عـن ديـوان " المعبـد الغريـق "، والفصـل السـابع عـن ديـوان " منـزل الأفنـان"، والفصـل الثـامن عـن ديـوان" شناشـيل ابنـة الحلبـي". فـالملاحظ أنّ هـذه الدراسـة الثانيـة

التـــي قـــام بهـــا " عبـــد الكـــريم حســـن " هـــي عبـــارة عـــن عـــرض لأفكـــار وموقـــف " بـــدر شـــاكر الســـياب " ودراســـة لمضـــامين بعـــض دواوينـــه، وكشـــف للمواضـــيع الرئيســـية فيهـــا، وهـــذا العمـــل فـــي الحقيقـــة لا يـــدخل فـــي صـــميم عمـــل المـــنهج الموضـــوعاتي. وعـــن هـــذه الدراســـة يتحـــدث " محمـــد الســـعيد عبـــدلي ":« وهكـــذا جـــاءت دراســـة عبـــد الكـــريم حســـن لشـــعر الســـياب دراســـة للموضـــوع، حســـب منهجيـــة خاصـــة، وليســـت بحثًـــا موضـــوعاتيًا حســـب مـــا مارســـه ريشـــار وجـــان بـــول ويبـــر وغيرهمـــا مـــن النقـــاد الموضـــوعاتيين فـــي أعمـــالهم النقديـــة الكثيـــرة؛ وهـــذا مـــا يعتـــرف بـــه عبـــد الكـــريم نفســـه حـــين يقـــول: ((فقـــد تخيّرنـــا الاســـتمرار فـــي العمـــل حتـــى اســـتقام لـــدينا مـــنهج فـــي البحـــث العلمـــي... ونحـــن لا نشـــير إلـــى ذلـــك إلاّ لكـــي نؤكـــد أننـــا لـــم نـــتلمس خطـــى مـــنهج محـــدد ســـلفًا))»[1]. ويقـــدم "عبـــد الكـــريم حســـن" منهجـــه النقـــدي بقولـــه:« منهجنـــا موضـــوعي بمعنـــى أنّـــه بحـــث فـــي الموضـــوع، وهـــو بحـــث يهـــدف إلـــى اكتشـــاف الســـجل الكامـــل للموضـــوعات الشـــعرية فـــي كل مرحلة من المراحل الشعرية عند السياب.

ـ ومنهجنـــا بنيـــوي بمعنـــى أنّـــه يكتشـــف البنيـــة التـــي تتشـــابك فيهـــا هـــذه الموضـــوعات الشـــعرية. وهـــذا المـــنهج وإن كـــان منتزعـــا مـــن دراســـة الشـــعر الســـيابي، إلا أنـــه يصـــلح فـــي رأينـــا لدراســـة "الموضـــوع" فـــي كافـــة الفنـــون الأدبيـــة وأنـــواع العمـــل الأدبـــي»[2]. بهـــذه الطريقة يُفصح الدكتور"عبد الكريم حسن" عن رؤيته النقدية الموضوعاتية.

ثـــم يقـــوم الناقـــد بعـــرض الخطـــوات التـــي يراهـــا مناســـبة فـــي تحليلـــه النقـــدي الموضوعاتي، وقد أوردها كالآتي:

(1ـ نقطـــة البـــدء هـــي تكنـــيس الأعمـــال الشـــعرية الكاملـــة إحصـــائيا. فالإحصـــاء يجـــب أن يشمل الأغلبية الساحقة للمفردات إن لم يكن كلها.

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص14.

[2] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، 39.

وفـي الحقيقـة لقـد أحصـينا حـوالي ثـلاث آلاف مفـردة... وهـذا مـا يشـمل معظـم مفردات الشعر السيابي.

وفكـرة الإحصـاء حـدس شخصـي جاءتنـا مـن أن المجموعـة اللغويـة التـي تتـردد مفرداتهـا بكثـرة لابـد وأن يكـون لموضـوعها أهميـة متميـزة بالمقابلـة مـع الموضـوعات الأخـرى، والعكـس صـحيح إذ أن اهتمـام الشـاعر بموضـوع مـا لابـد وأن يدفعـه إلـى الدوران في حومة المفردات التي تعبّر عنه.

2 ــ وبعـد هـذه العمليـة الإحصـائية يتحـدد لـدينا الموضـوع الرئيسـي فـي مرحلـة شـعرية معينـة. "والموضـوع الرئيسـي هـو الموضـوع الـذي تتـردد مفـردات عائلتـه اللغويـة بشـكل يفـوق مفـردات العـائلات اللغويـة الأخـرى". هـذا علـى المسـتوى الشـكلي البحـت. فأمـا علـى المسـتوى البنيـوي، فـإنّ "الموضـوع الرئيسـي هـو الـذي يفـرز بقيـة الموضـوعات ويولدها بشكل آلي.

3 ــ وأمـا الخطـوة الثالثـة فـي المـنهج فهـي تلـي اكتشـاف الموضـوع الرئيسـي. وهـي تُعنَـى بتحليـل المفـردات التابعـة لـه بكـل ظهوراتهـا، ويـتم ذلـك علـى أسـاس تحليـل كـل مفـردة علـى حـدة، ثـم اسـتخراج النتـائج التـي قـد تكـون مهمـة جـدا فـي التفريـق بـين هـذه المفـردات ووظائفهـا، وبعـد إكمـال التحليـل الجزئـي تـتم دراسـة الموضـوع مـن خـلال استخراج المخطط الكلي الذي ينظمه.

4 ــ إن دراســة الموضــوع الرئيسي...تفضــي بالضــرورة إلــى دراســة الموضــوعات الفرعية التي تنبثق عنها. فكيف يتم ذلك؟

لـدى دراسـة الموضـوع الرئيسـي، يلاحـظ الناقـد أن مفرداتـه تعبـر عـن أفكـار وقضـايا متعـددة. وإلحـاح الموضـوع الرئيسـي علـى قضـايا بعينهـا هـو الـذي يحـدّد الموضوعات الفرعية، وتظهر أهمية هذا الإلحاح كميا ونوعيا.

وتـتم دراســة الموضــوع الفرعــي بمــا يحقــق شــرطين: الأول وهــو إضــاءة هــذا الموضـوع الفرعـي للجانـب الـذي قـاد إلـى دراسـته مـن الموضـوع الرئيسـي، والثـاني وهـو إضاءةُ خصوصيةِ الموضوعِ الفرعي)[1].

ويمكـن الآن اختصــار هـذه المراحـل الأساسـية التــي يسـتند إليهـا الدكتور"عبـد الكـريم حسـن" فـي مقاربتـه النقديـة الموضـوعاتية للأعمـال الأدبيـة مبسّـطة علـى النحـو الآتــي:(إحصــاء المفـردات كثيـرة التكـرار فــي العمـل الأدبــي، ثـم تحديـد الموضــوع الرئيســي، بعــدها تحليــل المفــردات التابعــة للموضــوع الرئيســي، ثــم القيــام بتحديــد الموضـوعات الفرعيـة). فـالملاحظ أنّ هـذه الخطـوات التـي يقترحهـا الناقـد "عبـد الكـريم حسـن" تسـاعد علـى تفكيـك العمـل الأدبـي أكثـر ممـا تعمـل علـى تركيبـه، كمـا أنّ هـذه الدراسـة هـي دراسـة للموضـوع وليسـت دراسـة للموضـوعاتية التـي انبثـق عنهـا الـنص الأدبـي، واعتمـاد الناقـد علـى آليـة الإحصـاء للمفـردات المتكـررة بشـكل كبيـر فـي العمـل الأدبـي يجعـل مـن دراسـته نسـبية فـي الكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي لأنّ المفـردات متغيرة الدلالة من سياق إلى آخر.

وفـي ختـام هـذا يمكـن القـول أنّـه علـى الـرغم مـن أنّ هـذه الأعمـال التـي أنجزهـا "عبـد الكـريم حسـن " فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي تُعـدُّ اجتهـادات ومُحـاولات لإبـراز أهميــة هــذا المــنهج فــي تحليــل النصــوص الإبداعيــة، إلاّ أنّ الصــورة الحقيقيــة لهــذا المــنهج لا تــزال غائبــة فــي هــذه المفــاهيم التــي قــدّمها، فكتابــه الأول " المــنهج الموضــوعي " مــا هــو إلاّ ترجمــة لمجهــودات " ريشــار"، وهــي عبــارة عــن نمــاذج تطبيقيـة علـى أعمـال أدبيّـة، حيـث قـام " عبـد الكـريم حسـن " بترتيـب مادتهـا وشـرحها والتعليـق عليهـا، ثـم أنّ اعتمـاده علـى عنصـر الإحصـاء فـي اكتشـاف الموضـوع الرئيسـي والموضـوعات الفرعيـة فـي شـعر " السـياب " لا يـدخل فـي صـميم مـا تسـعى

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص40 و41.

إليـه المقاربـة الموضـوعاتية، وهـو اكتشـاف النـواة التـي انبثـق عنهـا الـنص، ثـم اكتشـاف تعـديلاتها ومسـاهمتها فـي تشـكّل عـالم الـنص. وعلـى هـذا يمكـن القـول أنّ مـا جـاءت به دراسة " عبد الكريم حسن " هي دراسة للموضوع، وليست دراسة موضوعاتية.

2/2: سعيد علوش

للناقـد "سـعيد علـوش" كـذلك إسـهام فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي، حيـث أنّـه اشـتغل علـى تـأليف كتـاب عنّونـه بـ " النقـد الموضـوعاتي"، وهـو كتـاب يقـع فـي 175 صـفحة صـدرت طبعتـه الأولـى سـنة 1989 بـالمغرب عـن شـركة بابـل للنشـر والطباعـة، ويُعتبـر هـذا العمـل مجهـودًا فكريًّـا قـام بـه الناقـد " سـعيد علـوش " حـاول فيـه أن يضـع مفهومًـا واضـحًا للمـنهج الموضـوعاتي لكنـه يـرى بوجـود غمـوض كبيـر وصعوبة في الكشف عن مفهوم هذه المقاربة النقديّة وتحديد آلياتها.

قـام الباحـث فـي بدايـة كتابـه هـذا بتقـديمٍ تحـدّث فيـه عـن علاقتـه بالنقـد الموضـوعاتي، حيـث يقـول:« تعـود علاقـاتي الأولـى بالنقـد الموضـوعاتي إلـى عقـد مـن الـزمن، حـين تعرفـت ببـاريز علـى "جـان بيـار ريشـار" كمحاضـر فـي الموضـوع ومُشـرفٍ علـى زميلتـي كيتـي سـالم ــ أخـت الروائـي السـوري جـورج سـالم ــ والتـي كانـت تحضّـر رسـالتها حـول موضـوعة " القلـق فـي قصـص كـي دي موباسـان"»[1]. غيـر أنّ هـذا الاتجـاه النقـدي بقـي لـدى الباحـث والناقـد سـعيد علـوش كمشـروعٍ مؤجَّـل، ثـم يُنبّـه القُـرّاء إلـى أنّ كتابـه هـذا يُقـدّم مـن خلالـه مُقاربـة حـول النقـد الموضـوعاتي، وهـذه المقاربـة لا تُعتبـر وصـفة جـاهزة قابلـة للتطبيـق، بـل هـي عبـارة عـن تمهيـد للإطـار المفهـومي للنقـد الموضـوعاتي فـي علاقتـه بالنقـد الجديـد، ثـم ينتقـل بعـد هـذا التقـديم إلـى الحـديث عـن وضـعية النقـد الموضـوعاتي، فيقـف عنـد قضـية تـداول "الموضـوعاتي

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق، ص3.

والموضـوعاتية " فيسـرد ضـمن هـذا الإطـار حقيقـة مؤدّاهـا أنّ اصـطلاح الموضـوعاتي يرجـع إلـى "جـون بـول ويبـر" حينمـا اسـتعمله فـي مجـال خـاص مُطْلِقًـا إيـاه علـى الصـورة المُلحّـة والمُتفـرّدة والمتواجـدة فـي عمـل كاتـبٍ مـا. وبعـد ذلـك يخلُـص إلـى نتيجـة وهـي أنّ الموضـوعاتي فـي الأدب يمتـزج بالموضـوع، ويُـدلّلُ علـى هـذا بأمثلـة واضـحة منهـا قولـه:« وبـذلك يُمكـن للحـرب كموضـوع (فـي المعلقـات السـبع والملاحـم والروايـات) أن تكـون موضـوعاتية فـي (الحـرب جحـيم) و(الحـرب جنـون) و(الحـرب سـلم). مـن هنـا يمتـزج الموضـوعاتي فـي الأدب بالموضـوع، لأنّ (موضـوعاتية الحـب) فـي الشـعر العـذري، والسـونات الموسـيقية، والـدراما الشكسـبيرية، تُعـد قانونًـا لموضـوع الحـب »[1]. ويخلُـص بعـد ذلـك إلـى أنّ مصـطلح الموضـوعاتي يكتنفـه الكثيـر مـن الغمـوض والإبهـام، وعـن ذلـك يقـول:« مـن ثَـمَ، قـد نخـرج بفكـرة أنّـه لـيس هنـاك مـا هـو أكثـر إبهامًـا مـن الموضـوعاتي، حتـى ونحـن نعـود إلـى جـذر الكلمـة فـي استقصـاءٍ لـدلالاتها وقراباتهـا الضـمنية والخفيـة واكتشـافاتها للبنيـات الفكريـة للأعمال»[2].

وعـن تحديـد المهمـة المُوكلـة إلـى النقـد الموضـوعاتي يقـول الناقـد "سـعيد علـوش":« فالبحـث إذن فـي الموضـوعاتي هـو بحـث عـن النقـاط الأساسـية التـي يتكـون منهـا معنـى العمـل الأدبـي، ومقاربـة الكشـف عـن هـذه النقـاط الحساسـة التـي تجعلنـا نلمـس تحولاتهـا، ونـدرك روابطهـا، فـي انتقالهـا مـن مسـتوى تجربـة معينـة إلـى أخـرى شاسـعة»[3]. فهـو بهـذا التعريـف يُلامـس حقيقـة المـنهج الموضـوعاتي الـذي يسـعى إلـى الكشـف عـن النـواة التـي تولَّـد عنهـا العمـل الأدبـي ومعرفـة تعـديلاتها والتـي تُسـاهم فـي بنـاء عـالم الـنص وجماليتـه والكشـف عـن عبقريـة مؤلفـه، وبـذلك يُحـاول أن يُحـدد أسـس

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق ، ص 6.

[2] المرجع السابق، ص6.

[3] المرجع السابق، ص7.

هـذا المسـلك النقـدي الـذي كمـا ذكرنـا سـابقًا أنّـه يُعـاني الضـبابية والغمـوض، مـع التنبيـه إلـى أنّ المـنهج الموضـوعاتي قـد تعـددت مفاهيمـه بتعـدد النقـاد وتعـدد الزوايـا المنظـور إليـه مـن خلالهـا، وكـذا الخلفيـات والنظريـات التـي يصـدر عنهـا. ثـم لا يجـد الباحـث بُـدًا مـن أنّ يـذكر لنـا إرهاصـات النقـد الموضـوعاتي عنـد العـرب، ونجـد الناقـد فـي هـذه المحطـة يُشـير إلـى أنّ النقـد الموضـوعاتي قـد نشـأ فـي أحضـان الجامعـة، علـى شـكل أطـاريح جامعيـة. ويـذكر لنـا ثلاثـة نمـاذجٍ، وقـد كنـتُ أشـرت إلـى أنمـوذجين فيمـا ذكـرت سـابقًا، ومـن ذلـك أطروحـة لـ" كيتـي سـالم " تحـت إشـراف "جـان بيـار ريشـار" والموسـومة بـ: "موضـوعة القلـق عنـد كـي دي موباسـان" سـنة (1982). أمـا الثانيـة فهـي لـ"عبد الكـريم حسـن" بعنـوان " الموضـوعية البنيويـة فـي شـعر السـياب" وقـد أشـرف عليـه فيهـا " أنـدري ميكايـل" و"غريمـاس"، وقـد كـان ذلـك سـنة(1983). أمـا الأطروحـة الثالثـة فهـي فـي حقيقـة الأمـر سـابقة للأولـى والثانيـة، فقـد كـان ذلـك سـنة(1971)، للباحـث "عبـد الفتـاح كليطـو" قـد جـاءت مُعنونـة بـ:" موضـوعاتية القـدر في روايات فرانسواموریاك"، وقد نُوقشت باللغة الفرنسية في كلية الآداب بالرباط.

لا أودُ الخـوض فـي التفصـيل فـي هـذه الأعمـال بقـدر مـا أودُ أن أقـف عنـد نتيجـة يتوصـل إليهـا الناقـد "سـعيد علـوش"، ويُصـرّح بهـا وهـي أنّ المُقاربـة الموضـوعاتية فـي الـوطن العربـي لا تـزال تفتقـر للنظـرة الموحّـدة، وهـذا راجـع بطبيعـة الحـال لاخـتلاف الـرؤى والنظريـات والخلفيـات التـي تصـدر عنهـا، وعلـى إثـر هـذا يمكـن أن يُفهـم مـن كلامـه:« ومـع هـذا فـلا تتضـح الموضـوعاتية والنقـد الموضـوعاتي فـي المُقاربـات العربيّـة ــ عنـد عبـد الكـريم حسـن وجوزيـف شـريم وكيتـي سـالم ــ بالقـدر الكـافي... وتظـل المُقاربـات غيـر موحّـدة حتـى عنـد رائـدها "جـان بيـار ريشـار" الـذي ينتهـي إلـى صـعوبة إيجـاد طريقـة موحـدة لحصـر الموضـوعاتية، والتـي تُعبِّـر عـن نفسـها فـي شـكل طرائـق ذاتيـة وعليهـا أن تبقـى كـذلك، وهـذا التوجـه المبـدئي هـو مـا

يؤسّـــس ويُؤصِّـــل بالـــذات للمشـــروع النقـــدي الموضـــوعاتي »[1]. فهـــو بهـــذا القـــول يُقـــر بحقيقـــة أنّـــه لـــيس مـــن الســـهل الوصـــول إلـــى الماهيـــة الحقيقـــة للموضـــوعاتية وكـــذا النقـــد الموضـــوعاتي الـــذي هـــو عبـــارة عـــن مســـلك نقـــدي حـــديث يســـعى إلـــى إيجـــاد مكـــان مناســـب لـــه، وبســـط ســـلطانه فـــي حقـــل الدراســـات النقديـــة إلـــى جانـــب المنـــاهج النقديّـــة الحديثـــة، التـــي تســـعى إلـــى إحاطـــة النصـــوص الإبداعيـــة بالتحليـــل والتفســـير، والفهـــم، والتأويل.

وتكـــون للناقـــد "ســـعيد علـــوش" بعـــد هـــذه المحطـــات الســـابقة وقفـــة مـــع النقـــد الموضـــوعاتي فـــي علاقتـــه بالقصـــيدة الحديثـــة، فنجـــده يُســـلّط الضـــوء بالتحليـــل الموضـــوعاتي كدراســـة تطبيقيـــة علـــى قصـــيدة الحـــرب لصـــاحبها " ياســـين طـــه حـــافظ " ففـــي نهايـــة هـــذه المعالجـــة الموضـــوعاتية لهـــذه القصـــيدة، يصـــل الناقـــد إلـــى نتيجـــة مهمـــة مُلخّصـــها أنّ النقـــد الموضـــوعاتي يرتكـــز فـــي المهمـــة المنوطـــة بـــه علـــى الميـــزة المعماريـــة للموضـــوعاتية لا علـــى قيمتهـــا الإحصـــائية، وهـــذا مـــا يتجلـــى فـــي قولـــه:« وهكـــذا نســـتخلص الموضـــوعاتية مـــن ميزاتهـــا المعماريـــة لا مـــن قيمتهـــا الإحصـــائية، ممـــا يجعلهـــا تـــلازم الأنـــواع الأدبيّـــة والأشـــكال النقديّـــة، وتشـــدّد علـــى الرســـالة أو الفكـــرة المهيمنـــة علـــى العمـــل الأدبـــي، النثـــري أو الشـــعري علـــى الســـواء، إذ تلعـــب فيـــه دور القـــانون الأساســـي المـــنظم لعضـــويته»[2]. يســـعى الناقـــد بعـــد هـــذا فـــي ســـبعة ملاحـــقٍ إلـــى معالجـــة تحليليـــة لمقـــدمات مجموعـــة مـــن كتـــب "جـــان بيـــار ريشـــار" وهـــي كتـــاب (الشـــعر والأعمـــاق)، وكتـــاب (العـــالم التخييلـــي لمـــالارمي)، وكتـــاب (دراســـات حـــول الشـــعر المعاصـــر)، وكـــذا كتـــاب (القـــراءات المصـــغرة)، وتصـــدير حـــول كتـــاب (الأدب والحساســـية) لصـــاحبه "جورج بوليه"، ومقال حول (النقد الموضوعاتي) لـ"بيتر كريل".

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق ، ص 57.

[2] المرجع السابق، ص56.

يخـتم الناقـد "سـعيد علـوش" بـالقول:« إنّ كتابـه هـذا لا يُقـدم وصـفة جـاهزة للنقـد الموضـوعاتي قابلـة للتطبيـق بمجـرد الانتهـاء مـن قـراءة هـذا الكتـاب أو لأعمـال جـان بيـار ريشـار" ، وإنّمـا هـي عمليـة تركيبيـة لأجـزاء مـا كانـت لتجـد موقعهـا لـو لـم تتـدخل عوامـل عديـدة فـي القـراءة والكتابـة، والتجربـة، والمعرفـة»[1]. وهـذا الكتـاب مـا هـو إلاّ جـزء أول كـان الهـدف منـه التحسـيس بالنقـد الموضـوعاتي، وأنّـه يعِـدُ بجـزءٍ ثـانٍ يُحـاول مـن خلالـه تعميـق الـوعي بهـذا النقـد، الـذي كمـا ذكـر قـد تجاهلـه العـالم العربـي دونما سببٍ. وختامًا لكل ما سبق يقوم بعرضٍ بيبليوغرافيٍّ للنقد الموضوعاتي.

وعلـــى العمـــوم فـــإنّ الناقـــد " ســـعيد علـــوش " لا يـــدعي أنّ معرفتـــه بالنقـــد الموضـوعاتي وآلياتـه قـد اكتملـت، وهـو بـذلك لا يُقـدم المـنهج الموضـوعاتي فـي صـورته الحقيقيـة وإنّمـا هـو ــ كمـا قـال ــ تحسـيس بالنقـد الموضـوعاتي فقـط، لـذلك فهـو لا يقـدم لنـا مـن خـلال عملـه منجـزَه النقـدي هـذا منهجًـا نقـديًا واضـحًا كمـا أنّـه لا يعـرض كـذلك لنـا الخطـوات التـي يمكـن الاعتمـاد عليهـا فـي التحليـل الموضـوعاتي، فقـد قـام الناقـد "سعيد علوش" بعرضٍ لآراء ومنجزات بعض أعلام النقد الموضوعاتي.

[1] سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، مرجع سابق ، ص169.

3/2: حميد لحمداني

لقــي النقــد الموضــوعاتي اهتمــام الناقــد المغربــي "حميــد لحمــداني" حيــث ألّــف كتابًـا سـماه "سـحر الموضـوع"، صـدر هـذا المنجـز النقـدي سـنة 1990. وتمـت إعـادة طبعــه ســنة 2014، حيــث خضــعت هــذه الطبعــة لكثيــر مــن التعــديلات. وقــد ســعى الناقــد مــن خــلال مؤلفــه هــذا إلــى تبيــان حقيقــة مفادهــا وجــود ممارســة نقديــة عربيّــة تنضــوي تحــت مــا يــدعى بالموضــوعاتية، فقــد قــام بتعريــف المــنهج الموضــوعاتي وبأصــوله النظريــة والفلســفية، وكــذا باتجاهاتــه المختلفــة، وقــد بــيّن الحــدود التــي وصــلت إليها الممارسة الموضوعاتية في النقد العربي.

أشــار الناقــد فــي مقدمــة كتابــه هــذا أنّ المُبــدع لا يختــار موضــوعاته بملكاتــه الواعيــة وحــدها، وإنّمــا ينجــذب نحوهــا بقــوة خفيــة، لــذلك تجــده فــي كثيــرٍ مــن الأحيــان لا يــدرك أســرار إبداعــه، وعليــه تكــون مهمــة النقــد هنــا الكشــف عــن أســرار هــذا الانجــذاب الخفــي لــنصٍ مــا. فأشــار ضــمن ذلــك إلــى أنّ الناقــد الموضــوعاتي يتعــذر عليــه أحيانًــا الإمســاك بالموضــوعات فــي العمــل الأدبــي، حيــث يقــول:« وفــي مغــامرة النقــاد الموضــوعاتي الطموحــة إلــى اكتشــاف ســحر الموضــوع يتعــذر أحيانًــا الإمســاك بالموضــوعات بوســائل التعبيــر المنطقيــة أو العاديــة، هكــذا لــم يســتطع باشــلار Bachlard أن يجعلنــا نقــع تحــت ســحر الموضــوع وقوتــه الكونيــة المتصــلة بالطفولــة البشــرية وبــأحلام اليقظــة rêveries وبعناصــر الطبيعــة Substances de la nature (المــاء ــ الهــواء ــ النــار ــ التــراب)، إلا باســتخدام لغــة نقديــة ســاحرة. كــان باشــلار يُلاطــف ويــداور الــدلالات الإحتماليــة باللغــة الشــعرية، ويجعلنــا نلامــس ســحر الموضــوع بســحر الموضــوعاتية»[1]. وبحســب مــا أورده الناقــد " حميــد لحمــداني " فــي هــذا القــول يبــدو أنّــه كــذلك يســير فــي ركــاب مــن ســبقه، فهــو يــرى

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص3.

بـــأنّ المهمـــة الموكلـــة للنقـــد الموضـــوعاتي تتمثّـــل فـــي الإمســـاك بالموضـــوعات، وهـــذه الفكـرة تـوحي كـذلك بـأنّ مهمـة النقـد الموضـوعاتي لا تـزال غيـر واضـحة عنـد " حميـد لحمداني " كذلك.

قسّـم الناقـد كتابـه إلـى قسـمين. تطـرّق فـي القسـم الأول إلـى المنهجيـة العامـة لنقـد النقـد، وإلـى أصـول النقـد الموضـوعاتي " فعـرض لنـا الأصـول التـي انبثـق عنهـا هـذا المـنهج النقـدي المعـروف باسـم النقـد الموضـوعاتي، وضـمن هـذا المبحـث نـاقش الباحـث خمسـة مواضـيع تكتسـي قـدرًا كبيـرًا مـن الأهميـة، فكـان تركيـزه فـي البدايـة حـول الموضـوعاتية وحريـة الناقـد. وقـد وضـعنا الناقـد أمـام معضـلة لطالمـا صـرّح بهـا العديـد مـن النُقـاد، وتتمثـل فـي قضـية تحديـد مـا يُقصَـد بـالمنهج الموضـوعاتي، وهـي فـي حقيقـة الأمـر مُشـكلة قـد تحـدَّث عنهـا الكثيـر مـن النقـاد مـن المُهتمـين بهـذا المـنهج النقـدي، ولعـلّ ذلـك راجـع بالأسـاس إلـى تعـدّد النظريـات والـرؤى والزوايـا التـي يُنظُـر مـن خلالهـا النُقـاد إلـى هـذا المـنهج، فتجـد الكثيـر مـنهم لا يتفقـون علـى تسـمية واحـدة لـه، كمـا أنهـم يختلفـون كـذلك فـي تحديـد رواد هـذا الاتجـاه النقـدي، لـذلك تجـد الناقـد قـد بـدأ بتوضـيح هـذا المُشـكل قبـل أن ينتقـل إلـى إنجـازات هـذا النـوع مـن النقـد فـي مجـال دراسـة الروايـة والشعر عند النُقاد في الغرب.

يـــذهب "حميـــد لحمـــداني" إلـــى أنّ الناقـــد الموضـــوعاتي يتمتـــع بالحريـــة فـــي ممارســة التحليـل الموضـوعاتي:« والواقـع أنّ الناقـد الموضـوعاتي بحكـم توظيفـه لكثيـرٍ مـن خلاصـات المنـاهج الأخـرى يُحـاول دائمًـا أن ينفلـت مـن التحديـد، ويمكـن القـول بـــأنّ مبـــدأ الحريـــة الـــذي يتمتـــع بـــه ممـــارس النقـــد الموضـــوعاتي (critique thématique) هو الشيء الوحيد الثابت في هذا المنهج »[1] .

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق ، ص28.

ففـي هـذا القـول مـا يوضّـح أنّ الناقـد " حميـد لحمـداني " لا يـزال بعيـدًا عـن مفهـوم النقـد الموضـوعاتي وآلياتـه التـي يخـتص بهـا فـي دراسـة الأعمـال الأدبيّـة، فالناقـد الموضـوعاتي لا يتمتّـع بالحريـة فـي تحليلـه للأعمـال الأدبيّـة فـي كونـه يُوظـف الكثيـر مـن خلاصـات المنـاهج النقديّـة الأخـرى، فهـذا الـزعم يُشـير إلـى أنّ المـنهج الموضـوعاتي ليسـت لـه القـدرة الكافيـة علـى تحليـل النصـوص بمـا يمتلـك مـن أدوات وآليـات دون الاسـتعانة بغيـره مـن المنـاهج، وبالتـالي هـذا القـول يـوحي بوجـود ضـعف فـي الأدوات والآليـات التـي يوظّفهـا المـنهج الموضـوعاتي فـي دراسـته للأعمـال الإبداعيـة. وبعـد أن فصّـل الناقـد الحـديث فـي عنصـر الموضـوعاتية وحريـة الناقـد وجّـه اهتمامـه إلـى الأسـس الفلسـفية التـي يسـتند عليهـا النقـد الموضـوعاتي، فالمُتعـارف عليـه هـو أنّ لكـل اتجـاه نقـدي أسسًـا فلسـفية يصـدُر عنهـا، والنقـد الموضـوعاتي لا يحيـد عـن هـذه الحقيقـة، فمـن بـين الأسـس الفلسـفية التـي ذكرهـا الناقـد هـو أنّ المـنهج الموضـوعاتي يتكـئ علـى ظاهريـة " إدمـون هوسـرل"، والتـي تـرى أنّ الـوعي والعـالم الخـارجي يُمـثّلان حقيقـة ماثلـة، فـ " مـاجليولا " يعتبـر أنّ ظاهريـة "هوسـرل" جـاءت كرد فعل عن النزعة المثالية والتجريبيّة معًا[1].

الفكـرة الأساسـية التـي اهتـدى إليهـا الناقـد والتـي يمكـن استخلاصـها مـن البعـد الفلسـفي للنقـد الموضـوعاتي هـي أنّ الإبـداع يُمثّـل بشـكل مطـابق وعـيَ المبـدع. كمـا يبـدو كـذلك بشـكل غيـر واضـحٍ اسـتفادة النقـد الموضـوعاتي مـن التحليـل النفسـي، وهـذا يُبْـرِزُ بشـكل جلـيٍّ مـا ذهـب إليـه الناقـد وهـو يتحـدث عـن" مـاجليولا ":« وفـي إطـار إثبـات " مـاجليولا " اسـتفادة هـذا المـنهج مـن التحليـل النفسـي نـراه يسـجل فـي نفـس

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق ، ص30.

الوقـت تنـاقض الموضـوعاتية فـي هـذا مـع المبـدأ الأساسـي الـذي بُنيـت عليـه، وهـو الوعي وليس اللاوعي»[1].

وفـي ختـام هـذه الفكـرة يصـلُ الناقـد إلـى حقيقـة تتمثّـل فـي أنّ النقـد الموضـوعاتي لا يتكـئ علـى نظريـة "هوسـرل" الصـارمة فقـط، بـل تجـده يُسـخِّر كـل الآفـاق الممكنـة بغيـة تفسـير الإبـداع الأدبـي. وهـذا مـا يتفـق تمامًـا مـع قـول الـدكتور" يوسـف وغليسـي":« ... لـذلك يتبـدّى هـذا المـنهج ميـدانًا نقـديًّا هُلاميًـا بـلا هويـة منهجيـة واضـحة تتـداخل فيـه مختلـف الـرؤى الفلسـفية والاتجاهـات النقديّـة (الظاهراتيـة، الوجوديـة التأويليـة، البنيويـة، التحليـل النفسـي، ...) التـي تتضـافر فيمـا بينهـا، بغيـة التقـاط الموضـوعات المهيمنـة علـى النصـوص، فـي التحامهـا بالتراكيـب اللغويـة الحاملة لها»[2].

الحقيقـة أنّ مـا جـاء بـه " حميـد لحمـداني " وكـذا الـدكتور" يوسـف وغليسـي " فـي هـذه الفكـرة السـابقة يـوحي بعـد اتّضـاح الرؤيـة الموضـوعاتية لـديهما حينمـا يـذهبان إلـى أنّ النقـد الموضـوعاتي يقـوم برصـد وتتبـع الموضـوعات المهيمنـة علـى النصـوص، فـالمنهج الموضـوعاتي يبحـث عـن النـواة المُشـكِّلة للعمـل الأدبـي ويتتبّـع تعـديلاتها التـي تُساهم في بناء عالم النص الأدبي.

يقـف "حميـد لحمـداني" عنـد ثلاثـة رواد للنقـد الموضـوعاتي مـن خـلال عنصـر اختـار لـه عنـوان " الموضـوعاتية والتصـنيف المقـولاتي" مُستعرضًـا فيـه أهـم الأفكـار التـي جـاء بهـا هـؤلاء الـرواد، وذلـك لتوضـيح صـورة هـذا المـنهج والأسـس التـي يقـوم عليهـا، وهـم "غاسـتون باشـلار" فـي دراسـته للشـعر، و"جـان بييـر ريشـار" فـي دراسـته

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص31.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 19.

للشـعر والروايـة، و كـذا "جـورج بـولي" و"ستاروبنسـكين" لتكـون للناقـد بعـد ذلـك وقفـة مع الموضوعاتية البنيوية، وقد خصّها بالحديث عن " تودوروف " في الحكي.

أمـا القسـم الثـاني مـن هـذا الكتـاب فخصّـه الناقـد بالحـديث عـن النقـد الموضـوعاتي فـي العـالم العربـي، وقـد قسّـمه كـذلك إلـى قسـمين: الجانـب النظـري والجانـب التطبيقـي، ففـي الجانـب الأول جعـل حديثـه يـدور حـول الموضـوعاتية وغيـاب نظـام واضـح فـي الدراسـة النقديّـة سـواء مـا تعلّـق بنقـد الأعمـال الشـعرية أو النثريّـة، لـذلك تجـده فـي تعليقـه عـن النقـد الروائـي يُحيـل إلـى مـا سـبقت الإشـارة إليـه وهـو غيـاب مـنهج نقـدي واضـح لدراسـة الأعمـال الروائيـة:« إنّ أغلـب الدراسـات غيـر الأكاديميـة التـي كُتبـت فـي النقـد الروائـي تفتقـد إلـى الرؤيـة المنهجيـة الواضـحة، ولـذلك فهـي تختـار أبسط الوسائل " النقديّة " وهي التلخيص، والتفسير المبتسر للأعمال الروائية»[1].

فيمـا يتعلّـق بنقـد الشـعر فقـد فضّـل الناقـد حميـد لحمـداني أنّ يختـار فـي دراسـته للشـعر كتابـات "علـي شـلق" فركّـز اهتمامـه علـى كتابـه المعنـون بـ " المتنبـي، شـاعر ألفاظـه تتـوهج فرسـانًا تأسـر الـزمن، فيقـف بعـد ذلـك عنـد خلاصـة للأفكـار الباشـلارية، وصـولاً بعـد ذلـك إلـى نتيجـة مفادهـا أنّ النقـد الموضـوعاتي العربـي يختلـف عـن نظيـره الغربـي لتميـزه بـبعض الاسـتقلالية:« الفكـر النقـدي العربـي اهتـدى أحيانًـا إلـى الموضـوعاتية عـن طريـق قـراءة خلـيط مـن الفلسـفات القريبـة مـن المـنهج الموضـوعاتي كالهيجليـة والوجوديـة والفلسـفة الظاهراتيـة، وهـو مـا يجعـل النقـد الموضـوعاتي العربـي يتميّز ببعض الاستقلال في أغلب نماذجه عن طريق نظيره الغربي»[2].

يسـتمرُّ الناقـد فـي رحلتـه البحثيـة عـن نظـام موضـوعاتي، وفـي هـذه المـرّة ينتقـي لنـا كتـابين متميّـزَين للناقـد المصـري "غـالي شـكري"، وهـو يعتبـر أنّ المؤلفـات النقديّـة

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص 57.

[2] المرجع السابق، ص65.

لهـذا الناقـد تعتبـر حقيقـةً دراسـات نقديّـة موضـوعاتيّة بامتيـاز وأهـم هـذه المؤلفـات كتابـه الموسـوم بــ " المنتمـي، دراسـة فـي أدب نجيـب محفـوظ " والكتـاب الثـاني المُعنـون بــ " الروايـة العربيـة فـي رحلـة العـذاب ". فممّـا يتميّـز بـه الكتـاب الأول هـو أنّـه قـد جـاء خاليًـا مـن مقدمـة أو تمهيـدٍ، لكنـه خاضـع لنسـق موضـوعاتي، أمـا الكتـاب الثـاني فقـد حـوى مقدمـة لـم يُشـر فيهـا صـاحب الكتـاب إطلاقًـا إلـى النقـد الموضـوعاتي، و لكنهـا تُمثِّـل عرضًـا موضـوعاتيًا، بحيـث أنّهـا تشـكل صـورة مصـغرة لخطـوات الكتـاب تُجسّـدُ معالجـةً موضـوعاتية حقيقيّـة. كمـا اعتبـر الناقـد الدراسـة المطولـة لــ "سـمر روحـي الفيصـل" وهـي بعنـوان " ملامـح فـي الروايـة السـوريّة " تنويعًـا فـي إطـار مـا يُسـمّى البنيويّة الموضوعاتية.

فـي قسـمه الثـاني مـن كتابـه " سـحر الموضـوع لحميـد لحمـداني " وبالتحديـد فـي جانبـه التطبيقـي آثـر الناقـد أن يكـون اهتمامـه فـي النقـد الموضـوعاتي الروائـي متعلّقًـا بالكتـاب الـذي سـبق الإشـارة إليـه وهـو " المنتمـي، دراسـة فـي أدب نجيـب محفـوظ " لصـاحبه الـدكتور "غـالي شـكري"، وبعـد الدراسـة النقديّـة لهـذا الكتـاب توصـل الناقـد "حميد لحمداني" إلى مجموعة من الاستنتاجات ونذكر منها:

((ـ النقـد الموضـوعاتي الـذي مارسـه غـالي شـكري لـم يكـن نسـخة مطابقـة للنقـد الموضوعاتي الغربي.

ـ تلتقـي الممارسـة النقديـة الموضـوعاتية لــ"غالي شـكري" مـع النقـد الموضـوعاتي الغربـي فـي جعـل التيمـات محـورًا أساسـيًّا فـي تحليـل النصـوص الروائيـة، كمـا تلتقـي معه أيضًا في تطعيم الموضوعاتية بمناهج أخرى.

ـ ألغـت التعدديـة المنهجيـة التـي سـار عليهـا "غـالي شـكري" عمليًـا كـل وحـدة منهجيـة، كما غابت بسبب ذلك سلطة النظرية النقدية الواحدة، لصالح سلطة الموضوع.

ـ كانـت الممارسـة النقديّـة الموضـوعاتية لـ"غالي شـكري" علـى روايـات نجيـب محفـوظ تبحث عن نسق فكري عام يحتوي مجموع التجربة الإبداعية للكاتب.

ـ تَحَـوُّلُ الدراسـة الجماليـة مـن الشـكل إلـى شـكل المحتـوى، وذلـك لسـلطة التيمـات فـي الممارسة النقديّة الموضوعاتيّة.

ـ تنحصـر أهميـة النقـد الموضـوعاتي عنـد "غـالي شـكري" فـي جانـب البحـث الـدلالي وفـي أصـول التيمـات الروائيـة بنـوع مـن المبالغـة فـي الافتراضـات التأويليـة بسـبب تـدخل الحدس وغلبة الأسلوب السردي على حساب الربط المنطقي))[1].

فـي الجانـب التطبيقـي كانـت للناقـد وقفـة عنـد النقـد الموضـوعاتي للشـعر، وقـد اختـار لنـا كتـاب" الموضـوعاتية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السـيّاب" لصـاحبه "عبـد الكـريم حسـن" فأشـار إلـى أنّ الناقـد قـد إلتـزم التزامًـا كبيـرًا بـالمتن المـدروس المتمثِّـل فـي هـذه الـدواوين الشـعريّة، وقـد راعـى الترتيـب التـاريخي لصـدور هـذه الـدواوين، ممـا سـاعده فـي التعـرّف علـى الخـط التطـوري الـذي سـار فيـه الشـاعر العراقـي "بـدر شـاكر السـيّاب"، وهـذا مـن غيـر شـكٍ يُعطـي قيمـةً معرفيـةً للدراسـة النقديّـة الموضـوعاتية التـي قـام بهـا صـاحبها. كمـا أنّـه قـد أنكـر علـى الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" التزامـه فـي دراسـته الموضـوعاتية خطـة واحـدة فـي كـل الـدواوين، ممـا جعلـه يعـود إلـى موضـوعات مُحـددة عـدّة مـرات فـي كـل دراسـة جديـدة، وهـذا ممـا انتقـده فيـه بعض النُقاد.

ثـم أنّـه فـي تحليلـه لـديوان" أنشـودة المطـر" يقـول "حميـد لحمـداني": « لـم يسـتخدم عبـد الكـريم حسـن فـي ذلـك أيـة وسـيلة أو أداة إجرائيـة ذات طـابع بنيـوي للوصـول إلـى الشـبكة الموضـوعاتية، فقـد انطلـق منـذ البدايـة مـن موضـوع المـوت

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق، ص 107.

باعتبـاره محـورًا ثـم انتقـل إلـى تفريـع التيمـات المنضـوية تحتـه اعتمـادًا علـى حدسـه الخـاص»[1]. ثـم يُشـير كـذلك إلـى أنّ مـن بـين ملاحظاتـه لهـذا التحليـل هـو حضـور الموضـوعات وغيـاب مـا يتميّـز بـه شـعر السـياب كخصوصـية تعبيريـة وتصـويرية وجماليـة منفـردة. ويزيـد انتقـاد "حميـد لحمـداني" للـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" عنـدما يتّهمـه فـي دراسـته النقديّـة الموضـوعاتية بإضـافات دلاليـة لـم تشـتمل عليهـا أبيـات "بـدر شـاكر السـياب":« فـإلى جانـب إهمـال المسـتوى الشـعري فـي هـذه الأبيـات، هنـاك إضـافات دلاليـة فـي التحليـل يُقـدّمها الباحـث دون أن تكـون الأبيـات مُشـتملة عليهـا، وهو ما يُعطي للممارسة النقديّة وجهًا مُخالفًا لحقيقة الشعر المدروس.

يبـدو أنّ هـذا يُمثّـل مشـكلةً كبيـرةً إذا تعلّـق الأمـر بممارسـة نقديّـة تنتسـب للمجـال العلمـي الـذي يُفتـرَض أن يكـون حريصًـا علـى الصـرامة المعرفيّـة»[2]. ويـذكر لنـا كـذلك أنّ "عبـد الكـريم حسـن" يلجـأ إلـى التأويـل حينمـا يُصـادف بعـض الرمـوز، ثـم يُعلّـق علـى هـذا التأويـل بأنّـه يُحيـل مباشـرة إلـى مـا هـو خـارج الـنص، وهـذا يتنـافى مـع قولـه:« أنّـه سـوف يكـون بنيويًـا فـي تحليلـه وسـيتخلّى عـن أي تحليـل اجتمـاعي أو نفسـي»[3]. ويعلّـق إزاء ذلـك بقولـه:« إنّ خـروج الناقـد هنـا عـن الرؤيـة الداخليـة التـي يفرضـها المـنهج الموضـوعاتي البنيـوي، يؤكـد حقيقـة طالمـا لاحظناهـا بخصـوص التجربـة النقديّـة العربيّـة بشـكل عـام وهـي غلبـة الحـس الاجتمـاعي فـي الممارسـة النقديّـة العربيّة»[4].

ولعلّـه بملاحظـة عـابرة يُـدرك الـدارس لهـذا البحـث أنّنـا أفضـنا بكثيـرٍ مـن الإطالـة حـول الناقـد " حميـد لحمـداني "، ولـذلك سـببٌ، وهـو أنّـه يسـتعرض نظـرة غيـره

[1] حميد لحمداني، سحر الموضوع، مرجع سابق ، ص 117.

[2] المرجع السابق، ص 118.

[3] المرجع السابق، ص 119.

[4] المرجع السابق، ص 119.

مـن النُّقـاد فـي مجـال بحثنـا وهـو" المـنهج الموضـوعاتي"، فكأنّنـا نسـتعرض جملـة مـن النُقّـاد علـى لسـان ناقـدٍ واحـد وهـو "حميـد لحمـداني"، كمـا أنّـه ــ وهـذا مـن الأهميـة بمكـان ــ يُشـير إلـى الهفـوات والفجـوات التـي وقـع فيهـا مـن تصـدّوا للنقـد عبـر هـذا المـنهج، ونلاحـظ أنّ الناقـد كـان أميَـلَ إلـى الممارسـة الموضـوعاتية البنيويـة بـدعوى قـدرتها المتميـزة علـى سـبر أغـوار البنـى السـردية، ومـن خـلال هـذا الكتـاب نجـد أنّ رؤيـة الناقـد "حميـد لحمـداني" للنقـد الموضـوعاتي لـم تختلـف عـن نظـرة غيـره ممـن سـبقوه إلـى الإحاطـة بالدراسـة والتحليـل لهـذا المـنهج النقـدي، فهـو كـذلك ينحـو نحـو غيـره فـي جعـل النقـد الموضـوعاتي يهـتم بالموضـوعات المهيمنـة فـي النصـوص الأدبية، وهذه الرؤية كنّا قد بيّنا وجهة نظرنا إزاءها.

4/2: محمد السعيد عبدلي

لقـد جعـل الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي" النقـد الموضـوعاتي مـن أولـى اهتماماتـه البحثيّـة، وعلـى إثـر ذلـك فإنّنـا نقـف علـى عمـل كبيـر قـام بـه الناقـد، والـذي قلّمـا نجـد لـه نظيـرًا فـي هـذا الشـأن، حيـث راح الناقـد يسـتقي لنـا مبـادئ ومرتكـزات هـذا المـنهج النقـدي مـن منابعـه الأولـى، وبعـد أن أحـاط بهـذا المـنهج إحاطـة تامـة، حـاول أن يقـدّم صـورة واضـحة عـن أسـس ومرتكـزات المقاربـة الموضـوعاتية، وآلياتهـا التـي توظفها في معالجة الأعمال الأدبيّة بالدراسة والتحليل.

هـذا العمـل قـد قدّمـه الباحـث كأطروحـة دكتـوراه دولـة سـنة (2003) تحـت إشراف الدكتور " أحمد منور"، إذ يقع هذا البحث في 444 صفحة.

نجـد الباحـث قـد قسّـم بحثـه هـذا إلـى خمسـة فصـولٍ، يتعـرض الفصـلان الأول والثـاني إلـى الجانـب النظـري مـن هـذا البحـث فـي حـين أنّ الفصـول المُتبقيّـة تُمثّـل الجانـب التطبيقـي لممارسـة نقديّـة موضـوعاتية واضـحة المعـالم حـول روايـة (نجمـة)

لـــ" كاتـــب ياســـين"، ثـــم قـــام الباحـــث بتقســـيم أطروحتـــه إلـــى كتـــابين الأول جـــاء عـــدد صـــفحاته 261 صـــفحة وقـــد اختـــار لـــه عنـــوان " المـــنهج الموضـــوعاتي أسســـه وإجراءاتـــه " وهـــو يحـــوي الجانـــب النظـــري مـــن أطروحـــة الباحـــث ســـالفة الـــذكر تطـــرّق فيـــه الباحـــث إلـــى كـــل المفـــاهيم والأســـس المُتعلقـــة بـــالمنهج الموضـــوعاتي، وقـــد حـــدّد منطلقاتـــه ومجالاتـــه التـــي يعمـــل فيهـــا، كمـــا فصّـــل الحـــديث عـــن الأدوات والآليـــات التـــي يوظّفهـــا هـــذا المـــنهج فـــي تحليلـــه للنصـــوص، وقـــد أشـــار كـــذلك إلـــى روّاد هـــذا المـــنهج فـــي العـــالم الغربـــي ومُنجـــزاتهم النظريـــة والتطبيقيّـــة، هـــذا وقـــد تمـــت الطبعـــة الأولـــى لهـــذا المؤلَّـــف النقـــدي القـــيِّم بـــدار الجاحظيـــة بـــالجزائر العاصـــمة عـــام (2011). لتـــأتي طبعتـــه الثانيـــة بـــدار التنـــوير عـــام (2020) بـــالجزائر كـــذلك، لكـــن الناقـــد قـــد أجـــرى تعـــديلاً بســـيطاً علـــى عنـــوان الكتـــاب فـــي هـــذه الطبعـــة، حيـــث أصـــبح موســـومًا بـــالمنهج الموضـــوعاتي فـــي النقـــد الأدبي أسسه وإجراءاته.

أمـــا بالنســـبة للجانـــب التطبيقـــي لأطروحـــة الباحـــث فقـــد اختـــار لهـــا عنوانًـــا مميـــزًا وهـــو " عـــالم كاتـــب ياســـين الأدبـــي: دراســـة وفـــق المـــنهج الموضـــوعاتي " حيـــث قـــام الباحـــث فـــي هـــذا الكتـــاب بممارســـة موضـــوعاتية حقيقيـــة لروايـــة نجمـــة الشـــهيرة لكاتـــب ياســـين فـــي 303 صـــفحة، وقـــد تـــمّ طبـــع هـــذا الكتـــاب عـــام (2009) بـــدار القصـــبة للنشـــر بـــالجزائر. وكـــل هـــذا ســـيأتي تفصـــيله وبيانـــه لاحقًـــا حينمـــا نتحـــدّث عـــن التجربـــة النقديّـــة الموضـــوعاتية فـــي الخطـــاب النقـــدي الجزائـــري المُعاصـــر، ونُفـــرد لهـــذا الناقـــد مـــا هو أهله من استقصاء وبسط وتحليل.

5/2: يوسف وغليسي

يُعتبـر النقـد الموضـوعاتي بالنسـبة للـدكتور" يوسـف وغليسـي" مشـروعًا قـد أَسَّـس لـه منـذ زمـنٍ، حيـث قـام عـام (2007) بتجربـة موضـوعاتية بسـيطة تـوحي باهتمامـه بالنقـد الموضـوعاتي تتمثـل هـذه التجربـة فـي تـأليفٍ نقـديٍّ عنونـه الباحـث بـ " التحليـل الموضـوعاتي للخطـاب الشـعري: كـلام المـنهج .. فعـل الكـلام ". ويُعتبـر هـذا العمـل أول تـأليف خـصّ بـه الباحـث موضـوع المقاربـة الموضـوعاتية، حيـث قسّـم الباحـث عملـه هـذا إلـى قسـمين الأول نظـري، وقـد بسـط فيـه الباحـث مقدمـة حـول تـاريخ المـنهج الموضـوعاتي وتفصـيلاً حـول الموضـوع والموضـوعاتية فـي الممارسـة النقديـة العربيـة، فـي حـين أنّ القسـم الثـاني كـان عبـارة عـن دراسـة تطبيقيـة موضـوعاتية حـول الحلم الشعري والهاجس الإفريقي في ثلاثية الشاعر "محمد الفيتوري".

يقـدّم كـذلك الباحـث "يوسـف وغليسـي" فـي كتابـه "منـاهج النقـد الأدبـي" مـن الصـفحة 147 إلـى الصـفحة 167 مفـاهيم حـول النقـد الموضـوعاتي. هـذا وفـي سـنة(2017) يَصْـدُر للباحـث عـن مطبعـة جسـور للنشـر والتوزيـع كتـاب معنـون بـنفس العنـوان الـذي سـمى بـه مؤلَّفـه الأول فـي النقـد الموضـوعاتي لكنّـه عـدّل هـذا العنـوان بعـض الشـيء ليصـبح " التحليـل الموضـوعاتي للخطـاب الشـعري: بحـث فـي ثوابـت المـنهج، وتحوّلاتـه العربيـة، ومحـاولات لتطبيقيـه ". والملاحـظ عـن هـذا المصـنَّف النقدي الجديد أنّه أكثر نُضجًا من سابقه.

يمكـن القـول أنّنـا لا نتـوخى التفصـيل أكثـر فيمـا يتعلـق بعلاقـة الباحـث "يوسـف وغليسـي" بالنقـد الموضـوعاتي ومنجزاتـه فـي هـذا الاتجـاه النقـدي لأنّنـا سنُفصـل الحـديث فيـه فيمـا سـيأتي لاحقًـا فـي الفصـل الثالـث، مفـردين لهـذا الناقـد فصـلاً قائمًـا بذاته.

3/ المقاربــة النقديّة الموضوعـاتيّة في الجزائر:

حينما نستعرض التجربة النقديّة الموضوعاتيّة في الجزائر فإنّنا لا نجد هذه المقاربة النقديّة قد استوفت حظّها من الدراسة النظرية، والممارسات التطبيقيّة من طرف المُتخصصين في مجال الدراسات النقديّة كغيرها من المناهج النقدية المعروفة التي تُعنى بدراسة الأعمال الأدبية وتحليلها والكشف عن مكنوناتها، ولعلّ السبب في ذلك يرجع إلى عدم إقبال الكثير من النُقّاد على هذا المنهج بسبب الغموض الذي يكتنفه، وكذا صعوبة التعامل مع هذه المقاربــة النقديّـة، وعـدم إلمـام العديـد ممـن هـم مُشـتغلون بقضـايا الأدب ونقـده بالأسـس والمُرتكزات والآليات والأدوات التي يُسخّرها هذا الاتجاه النقدي الذي كما سبق وذكرنا إنّه لا يزال يُعاني الضبابية والغموض. ونحن هنا لا نُنكر فضل بعض النُقّاد الجزائريين الذين قدموا بحوثًا نظرية ودراسات تطبيقيّة حول هذا المنهج النقديّ، ونُحن هنا نقصد علَمين بارزين في الجزائر هما الدكتور والأكاديمي المعروف الناقد " محمد السعيد عبدلي " وكذا الدكتور "يوسف وغليسي"، حيث كان لهما اهتمام واسع بالنقد الموضوعاتي، فقد خَصّص الدكتور"عبدلي" الكثير من جهده لخدمة هذا المنهج، وتقديمه لجمهور القُراء والمُهتمين بقضايا الأدب ونقده في صورة واضحة، فألّف في هذا المجال كتابًا أطلق عليه تسمية " المنهج الموضوعاتي في النقد الأدبي: أسسه وإجراءاته "، يتضمن كل الجوانب النظريّة المُتعلقة بالمنهج الموضوعاتي، من أسس وأدوات وآليات إجرائية لهذا المنهج، حيث راح الباحث يستقي لنا هذه المفاهيم والمُرتكزات من منابعها الغربيّة الصِرفة. وقد ساعده في ذلك إتقانه للّغة الفرنسيّة على اعتبار أنّ هذا المنهج فرنسي المنشأ. كما كان للباحث أيضًا ممارسة موضوعاتيّة حقيقيّة على رواية نجمة لكاتب ياسين، والتي عنونها الناقد بـ" عالم كاتب ياسين الأدبي: دراسة وفق المنهج الموضوعاتي".

كما يُعَدُّ الدكتور" يوسف وغليسي" كذلك من النُقاد الجزائريين المُشتغلين كثيرًا بالكتابة والتأليف النقديّ حول المنهج الموضوعاتي، ويُعتبر كتابه الموسوم بـ " التحليل

الموضـوعاتي للخطـاب الشـعري: بحـث فـي ثوابـت المـنهج، وتحوّلاتـه العربيّـة، ومحـاولات لتطبيقه"، كتابًا اشتغل فيه الناقد "وغليسي" على قضايا عديدة متعلقة بالنقد الموضوعاتي، كما نجد للباحث " يوسف وغليسي " عدّة ممارسات نقديّة طبّق فيها المنهج الموضوعاتي على بعض الأعمال الإبداعية ضمن هذا الكتاب، وهي المُتعلقة بـ " قصيدة الأطفال " عند "محمد الأخضر السائحي"، و"الهاجس الإفريقي" في ثلاثية "محمد الفيتوري"، وكذا "عقدة جلجامش" (رُهاب الموت ورُغاب الحياة).

إلى جانب ذلك نجد الدكتور محمد مرتاض قد قام بممارسة موضوعاتيّة، حاول فيها تطبيق المنهج الموضوعاتي على أربعة دواوين شعريّة جزائريّة، حيث جاءت هذه الدراسة النقديّة موسومة بـ" الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائري "، تعرّض الباحث فيها موضوعاتيًّا إلى دواوين كلٍّ من الشعراء "مصطفى الغماري"، و"محمد ناصر"، و"حرز الله بوزيد"، وكذا "يحي مسعودي"، وقد توصّل الباحث في نهاية هذه الممارسة النقديّة الموضوعاتيّة إلى أنّ لهذه الدواوين الأربعة اهتمامات تكاد تكون مُتحدّة، وهذا في نظره يدخل في صميم المُقاربة الموضوعاتيّة.

كما لا يغيب العنصر النسوي الجزائري في التعاطي مع هذه المقاربة النقديّة، فنجد الناقدة " مسعودة لعريط "، وهي صاحبة الأعمال الثلاثة فيما يتعلق بالمقاربة النقديّة الموضوعاتية وهذه الأعمال: ـ قصص الأطفال في الجزائر ـ دراسة موضوعاتية.

ـ سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة.

ـ النقد الموضوعاتي.

وإلى جانب بعض البحوث الأكاديمية التي كانت تدور حول هذا المنهج النقدي وتطبيقاته على بعض الأعمال الأدبيّة كما هي الحال في بعض رسائل الماجستير والدكتوراه التي أنجزت من قبل باحثين جزائريين، على نحو:

ـ أطروحة دكتوراه دولة مخطوطة لصاحبها " بن عبد الله الأخضر" والموسومة بـ(موضوعة جان دارك في الأدب العالمي " فرنسي، انكليزي، ألماني " ـ دراسة تيماتولوجية مقارنة من

1429 إلى منتصف القرن العشرين ـ) تحت إشراف الدكتور "عبد الملك مرتاض" بمعهد اللغة العربية وثقافتها، جامعة وهران ـ السانية، 1992/1991.

ـ أطروحة دكتوراه دولة مخطوطة لصاحبها "علي بولنوار" والموسومة بـ(الشعر الشعبي في منطقة بوسعادة ـ دراسة موضوعاتية فنية ـ) تحت إشراف الدكتور" العربي دحو" بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، 2003/2002.

ـ أطروحة دكتوراه لصاحبتها "مسعودة لعريط" والموسومة بـ(الفضاء في الرواية النسائية المغاربية ـ دراسة موضوعاتية ـ) بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2009.

ـ أطروحة دكتوراه علوم لصاحبها "عز الدين جلاوجي" والموسومة بـ(التاريخي والمتخيل في المسرحية الشعرية المغاربية ـ دراسة في التيمات ـ) تحت إشراف الدكتور " رشيد قريبع" جامعة قسنطينة، 2014/2013.

ـ أطروحة دكتوراه علوم لصاحبها " بوزيد رحمون" والموسومة بـ(الأمثال الشعبيّة الجزائرية ـ دراسة موضوعاتية جمالية ـ) تحت إشراف الدكتور " عمار بن لقريشي" جامعة محمد بوضياف المسيلة، 2016/2015.

ـ رسالة ماجستير لصاحبتها "حفصة بوطالبي" والموسومة بـ(عالم أبو العيد دودو القصصي ـ دراسة موضوعاتية ـ) تحت إشراف الدكتور "عبد القادر بوزيدة" بقسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2004/2003.

ـ رسالة ماجستير لصاحبها "محمد جودي" والموسومة بـ(قصص غي دي موبسان ـ دراسة موضوعاتية ـ) تحت إشراف الدكتور " أمين الزاوي" جامعة الجزائر، 2004/2003.

ـ رسالة ماجستير لصاحبتها " نجاة بشير" والموسومة بـ(المنهج الموضوعاتي في نقود الجزائريين ـ محمد مرتاض ـ) تحت إشراف الدكتور " محمد عدلان بن جيلالي" جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، 2015/2014.

ـ رسالة ماجستير لصاحبتها " كريمة زيتوني" والموسومة بـ(المنهج الموضوعاتي في مقاربة الشعر العربي) تحت إشراف الدكتور " محمد قادة" جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.

ويُمكن القول بأنّ هذه المقاربة النقديّة لا يزال الاهتمام بها ضئيلاً في الجزائر وفي غيرها من الأقطار العربيّة نظرًا لما يكتنفها من ضبابية وغموضٍ، ورغم ذلك تظل الجهود مستمرة للحذو بهذه المقاربة إلى مصاف المناهج النقديّة الشهيرة والمعروفة كالمنهج البنيوي والأسلوبي والسيميائي وغير ذلك من المناهج النقديّة التي ذاع صيتها واتسعت شهرتها.

وفيما سيأتي نُحاول أنّ نقف عند جهود بعض الشخصيات الجزائرية المهتمة بقضايا النقد الأدبي ومناهجه، وبخاصة ما تعلّق بالمقاربة النقديّة الموضوعاتية وممارساتها التطبيقيّة، لنكشف بذلك عن التجربة النقديّة الموضوعاتيّة في الخطاب النقدي الجزائري. وفي هذا سنقف عند أعمال الناقد محمد السعيد عبدلي، والدراسة الموضوعاتية التي قام بها الأستاذ محمد مرتاض، وكذا الباحثة الأكاديمية مسعودة لعريط، ونبسط الحديث طويلاً عن الأعمال النقدية المعروفة التي أنجزها الناقد والأكاديمي يوسف وغليسي من خلال عمله الموسوم بـ" التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري بحث في ثوابت المنهج، وتحوّلاته العربية، ومحاولات لتطبيقه ". هذا على اعتبار أن بحثنا يرصد التجربة النقدية الموضوعاتية في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، وقد وقع اختيارنا للدكتور " يوسف وغليسي " كأنموذج للدراسة في هذه المقاربة النقديّة.

1/3 محمد السعيد عبدلي:

تُعتبـــر إســـهامات الـــدكتور "محمـــد الســـعيد عبـــدلي" فـــي مجـــال المقاربـــة الموضـوعاتيّة مـن الأعمـال الرائـدة التـي تُـزيح الكثيـر مـن الغمـوض عـن هـذه المقاربـة النقديّـة. والـدكتور "عبـدلي " يُعَـدُّ مـن البـاحثين القلائـل الـذين وقفـوا علـى حقيقـة النقـد الموضـوعاتي، حيـث أنّ للناقـد رؤيـة واضـحة اتجـاه هـذه المقاربـة، فقـد اسـتطاع الولـوج إلـى هـذا الاتجـاه النقـدي بفضـل اطّلاعـه علـى أعمـال رواده فـي العـالم الغربـي، ومـا زاده فهمًـا لهـذه المـنهج وإدراكًـا لأدواتـه وآلياتـه التـي يُوظفهـا فـي تحليلـه النقـدي الموضـوعاتي للأعمـال الإبداعيـة هـو إتقانـه للّغـة الفرنسـية، الأمـر الـذي سـاعده أن ينهـل مفهـوم هـذه المقاربـة النقديّـة مـن معينهـا الصـافي عنـد روادهـا الغـربيين مـن أمثـال "غاسـتون باشـلار" و"جـورج بـولي " و"جـان بيـار ريشـار" و"جـان بـول ويبـر" ولـذلك نجـد الناقـد " محمـد السـعيد عبـدلي " يُقـدم لنـا هـذه المقاربـة فـي صـورة واضـحة بسـيطة بعيدة عن كل تعقيدٍ أو غموضٍ.

فقـد جـاء فـي مقدمـة كتابـه الموسـوم بـ" المـنهج الموضـوعاتي أسسـه وإجراءاتـه " أنّ معرفتـه لهـذا المـنهج كانـت بفضـل اطلاعـه علـى كتـاب " النقـد الموضـوعاتي " لسـعيد علـوش، وكتـاب " الموضـوعية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السـياب " لعبـد الكـريم حسـن، وكـذا كتـاب " سـحر الموضـوع " لصـاحبه حميـد لحمـداني، وهـذا مـا صـرّح بـه الناقـد:« تعـود بدايـة اكتشـافي للمـنهج الموضـوعاتي إلـى اطلاعـي علـى كتـاب سـعيد علـوش " النقـد الموضـوعاتي" وكتـاب حميـد لحمـداني " سـحر الموضـوع " وكتـاب عبـد الكـريم حسـن " الموضـوعية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السـياب". فلقـد كانـت هـذه الكتـب هـي المراجـع الأولـى التـي قامـت عليهـا علاقتـي بهـذا المـنهج، إذ بفضـلها علمـت بوجـود مـنهج فـي النقـد الأدبـي يُعـرف باسـم المـنهج الموضـوعاتي. ولكـن المعلومـات التـي أمـدّتني بهـا تلـك المراجـع لـم تكـن كافيـة لبنـاء تصـور واضـح عـن هـذا المـنهج، بـل هـي

فـي بعـض الأحيـان تـدفع الباحـث للانصـراف عنـه والزهـد فيـه بسـبب الغمـوض الـذي عَرَضَتْهُ به»[1].

فالناقـد فـي هـذا القـول يُشـير إلـى أنّ هـذه المراجـع سـالفة الـذكر كـان لهـا الفضـل فـي معرفتـه بوجـود مـنهج نقـدي يسـمى " المـنهج الموضـوعاتي "، غيـر أنّهـا لـم تكـن كافيـة للإحاطـة التامـة بمفهـوم وآليـات هـذا المـنهج بشـكل واضـحٍ، لـذلك اتجـه الناقـد إلـى منبـع هـذا الاتجـاه النقـدي ومكـان ظهـوره فـي العـالم الغربـي. ومـن خـلال تلـك المفـاهيم التـي تُؤسـس لهـذا المـنهج لـدى أعلامـه الغـربيين والتـي رصـدها الناقـد بشـكل جيّـد تكوّنـت لـدى الناقـد صـورة للنقـد الموضـوعاتي غيـر الصـورة التـي ظهـرت عنـد غيـره فـي العـالم العربـي علـى نحـو مـا وجـدناه عنـد " عبـد الكـريم حسـن " و" سـعيد علـوش " و" حميـد لحمـداني" ومـن سـار فـي ركـابهم، فقـد وجـد الناقـد أنّ هـؤلاء الأعـلام تنقصـهم الرؤيـة الواضـحة لهـذا المـنهج فـي جانبـه النظـري، السـبب الـذي جعـل ممارسـاتهم التطبيقيـة الموضـوعاتية تنحـرف عـن مسـارها الصـحيح، فـأول خطـأ وقعـوا فيـه هـو الخلـط الواضـح بـين مصـطلحي الموضـوع والموضـوعاتية، لـذلك نجـد الناقـد " عبـدلي " قـد حـاول جاهـدًا فـي البدايـة أن يضـع الحـدود الفاصـلة بـين هـذين المصـطلحين، فَهُمَـا الركيـزة الأساسـية فـي بنـاء مقاربـة نقديـة موضـوعاتية حقيقيـة، لـذلك نجـده قـد تتبّـع بشـكلٍ دقيـقٍ مـدلول كلمـة " الموضـوع " لـدى المعـاجم العربيـة والفرنسـية فـي جانبـه اللغـوي والاصـطلاحي، كمـا وقـف أيضًـا عنـد مـدلول كلمـة " الغـرض " وذلـك لأنّ البعض يرَوْن بأنّ الغرض هو الموضوع، فهُم كذلك لا يُميّزون ما بينهما من فروقٍ.

يـرى الـدكتور "عبـدلي" أنّ منطلـق الدراسـة الموضـوعاتية هـي النـواة التـي انبثـق عنهـا العمـل الأدبـي، وهـذه النـواة مُتعـددة فـي صـورها، فقـد تكـون مشـهدًا مركبًـا، كمـا قـد تكـون صـورة واحـدة أو صـورًا مُتعـددة، كمـا قـد تكـون حـدثًا مـا، وغيـر ذلـك. ومهمـة الناقـد الموضـوعاتي هـي معرفـة هـذه النـواة والكشـف عـن تعـديلاتها، لـذلك نجـده يقـول:« أمـا الدقـة التـي نعنيهـا فتتمثّـلُ فـي انطـلاق الدراسـة الموضـوعاتية مـن "نـواة"، يمكـن أن تكـون مشـهدًا مركبًـا مـن عـدة صـورٍ، أو مـن صـورة واحـدة، أو مـن أي

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص3.

عنصـرٍ محـدد مـن العناصـر التـي تكـوّن عـالم الـنص. فتعمـل الدراسـة علـى الكشـف عـن العناصـر الخفيـة لتلـك النـواة التـي تمثّـل موضـوعاتية الـنص لتحديـدها، وتقـوم بعـد ذلـك بتتبـع تحـولات هـذه الموضـوعاتية أو تعـديلاتها عبـر كامـل الـنص. وهـو عمـل يتطلـب جهـدًا كبيـرًا ودقـة متناهيـة وصـبرًا متواصـلاً»[1]. والحقيقـة أنّ فكـرة انطـلاق الدراسـة الموضـوعاتية مـن البحـث عـن نـواة الـنص هـي فكـرة جـاء بهـا " جـان بيـار ريشـار" حيـث نجـد الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي" يقـول:« يوضـح هـذا النمـوذج طبيعـة القـراءة الموضـوعاتية التـي يُمارسـها "جـان بيـار ريشـار"، وهـي قـراءة تبـدأ بتحديـد موضـوعاتية الـنص، ثـم القيـام بتتبعهـا عبـر تعـديلاتها التـي تتجلـى فيهـا كـل مـرة محققة نمو النص وتقدمه حتى اكتماله »[2].

هنـا يُمكـن القـول إنّ مهمـة الناقـد الموضـوعاتي إزاء العمـل الأدبـي ليسـت بـالأمر السـهل، فهـي تتطلـب دربـة وحنكـة وطـول نفسٍ فـي الكشـف عـن النـواة التـي انبثـق عنهـا الـنص. ويُمكـن القـول كـذلك إنّ هـذا التحديـد الـذي جـاء بـه الـدكتور"عبـدلي" لمنطلـق الدراسـة الموضـوعاتية هـو التحديـد الـذي أخفـق فـي الوصـول إليـه غيـره مـن النقـاد الموضـوعاتيين حينمـا قَـدَّموا النقـد الموضـوعاتي علـى أنّـه: « الدراسة النقدية للموضوعات الثابتة في العمل الأدبي أو عند كاتب»[3].

فالناقـد " عبـدلي " يـرى بـأنّ مثـل هـذه الدراسـات لا تـدخل فـي صـميم عمـل المقاربـة الموضـوعاتية الـذي ذكرنـاه فيمـا سـبق، وعـن هـذا يقـول:« فدراسـة الموضـوعات سـواء كانـت " ثابتـة " أم " متغيّـرة "، ليسـت هـي مهمّـة النقـد الموضـوعاتي؛ كمـا أنّ الموضـوعاتية فـي النقـد الأدبـي ليسـت أبـدًا صـفة للموضـوع حسب ما ذهب إليه لاروس الصغير»[4].

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص5.

[2] المرجع السابق،ص 90 و 91 .

[3] المرجع السابق، ص47.

[4] المرجع السابق، ص48.

عنـدما نجـد الـبعض مـن النقّـاد يجعلـون منطلـقَ الدراسـة الموضـوعاتية عنـدهم هـو الكشـف عـن الموضـوعات الأكثـر تـرددًا فـي العمـل الإبـداعي وإزاء ذلـك يقومـون بإحصـاء الكلمـات التـي تكـرّرت فـي العمـل الأدبـي بشـكلٍ كبيـرٍ للكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي والموضـوعات الفرعيـة، فـإنّهم بهـذا العمـل يَصْـرِفون المقاربـة الموضـوعاتية عـن منهجهـا الصـحيح، وهـذا مـا ظهـر بشـكل واضـح فـي الأعمـال التـي أنجزهـا "عبـد الكـريم حسـن" و"حميـد لحمـداني" و"محمـد مرتـاض" و"يوسـف وغليسـي" و"مسـعودة لعـريط" ومـن سـار علـى نهجهـم، فجـاءت أعمـالهم دراسـة للموضـوع وليسـت دراسـة موضوعاتية.

حسـب قـول الـدكتور "عبـدلي" سـالف الـذكر والـذي يشـرح فيـه منطلـق الدراسـة الموضـوعاتية فهـو يـرى بـأنّ الموضـوعاتية هـي النـواة التـي انبثـق عنهـا العمـل الأدبـي، ومهمّـة الناقـد الموضـوعاتي هـي الكشـف عـن هـذه النـواة، والوقـوف عنـد تعـديلاتها المسـتمرة التـي تُشـكِّل عَـالَمَ الـنّص بكاملـه، فالسـؤال المطـروح الآن مـا هـي الطريقـة أو الآلية التي يتمّ بها الكشف عن هذه النواة؟

يُجيبنـا الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" عـن هـذا السـؤال مسـتعينًا فـي ذلـك بالخطوات التي جاء بها "جون بول ويبر" وهي:

((1/ البحـث فـي عـالم الطفولـة عـن الـذّكريات الواضـحة والدقيقـة، ثـم مقارنتهـا فيمـا بعـد بالأعمال المختلفة للمؤلف.

2/ البحث عن النصوص البسيطة التي تحمل دلالات رمزية أوّلية لموضوع ما.

3/ الكشـف عـن الإلحاحـات (hantises) اللسـانية (اللغويـة) والأسـلوبية للمؤلِّـف، ثـم السّـعي إلـى إرجـاع هـذه الإلحاحـات إلـى ذكـرى مـن ذكريـات الطفولـة التـي تـمّ التعـرّف عليها من قبل، أو ما تزال بعد في مستوى الافتراض.

4/ وفـي النهايـة يجـب القيـام بمسـح شـامل للعمـل ـــ أو الأعمـال ـــ فـي محاولـة لإرجاعه كله، إن أمكن، إلى الموضوعاتية المقترحة))[1].

فبهـذه الخطـوات يسـتطيع الناقـد الموضـوعاتي الكشـف عـن النـواة التـي شـكّلت عـالم الـنص، فالشـيء المُلاحَـظ فـي هـذه الخطـوات هـو تركيزهـا علـى عـالم الطفولـة فـي معرفـة موضـوعاتية الـنص، علـى اعتبـار أنّ تلـك الحـوادث التـي بقيـت راسـخة فـي ذهـن المبـدع منـذ طفولتـه هـي التـي تصـنع الأعمـال الإبداعيـة فيمـا بعـد، لكـن الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي " يـرى بـأنّ معرفـة طفولـة الأديـب ليسـت شـرطًا ضـروريًا لقيـام الدراسـة الموضـوعاتية، وهـذا مـا يتّضـح فـي قولـه:« ومـن جهتنـا نـرى أن ربـط نسـبة نجـاح العمـل بمـدى قدرتـه علـى تجميـع أجـزاء الـنص وعناصـره حـول الموضـوعاتية المقترحـة كـافٍ وحـده للحكـم علـى العمـل النقـدي بالنجـاح أو الفشـل، دون ضـرورة تقـديم مـا يؤكّـد أنّ تلـك الموضـوعاتية المقترَحـة تعـود إلـى حـادث متميّـز عاشـه المؤلِّـف فـي طفولتـه، لأنّ المطلـوب هـو تحليـل الـنص تحلـيلاً موضـوعاتيًا يـتمكّن الناقـد بفضـله الكشـف عـن موضـوعاتيته الأساسـية وعـن تعـديلاتها المتنوّعـة. ويبقـى دور اطّـلاع الناقـد علـى مرحلـة طفولـة الأديـب ـــ متـى تـوفّر لـه ذلـك ـــ هـو دور مسـاعد علـى اكتشـاف الموضـوعاتية ولـيس شـرطًا لقيـام الدراسـة الموضـوعاتية للـنص»[2]. فهـذا القـول الـذي جـاء بـه الـدكتور "عبـدلي" أقـرب إلـى الصـحّة لأنّـه لـيس مـن الضـروري أن يكـون لكـل عمـل أدبـي علاقـة بعـالم الطفولـة، فهنـاك أحـداث ومواقـف ومشـاعر وظـروف سياسـية أو اجتماعيـة وأخـرى ثقافيـة أو اقتصـادية قـد تـتحكّم فـي النتاجـات الأدبيّـة وتفـرض نفسـها علـى الحضـور فـي عمـل المبـدع، لـذلك تبقـى لمعرفـة عـالم الطفولـة ـ كمـا ذهـب إلـى ذلـك الـدكتور عبـدلي ـــ دورٌ مُهـمٌ ومُفيـدٌ فـي الكشـف عـن نـواة الـنص، ولكـنّ غيـاب هذه المعرفة لا يُلغي عمل المقاربة الموضوعاتية.

وبعـد الكشـف عـن هـذه النـواة المُشـكّلة للـنص ينبغـي دراسـة إمكانيـة إرجـاع كـل العمـل الإبـداعي إليهـا، فـإن لـم يـتم ذلـك فينبغـي إعـادة النظـر فـي هـذه النـواة، ومحاولـة

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص170.

[2] المرجع السابق، ص172.

إيجـاد نـواة أخـرى، فنجـاح عمـل الناقـد الموضـوعاتي مرهـون بإرجـاع العمـل الأدبـي كلّـه إلـى موضـوعاتية واحـدة، وعـن هـذه الفكـرة التـي جـاء بهـا " ويبـر" يقـول الـدكتور "عبـدلي":« يجـد ويبـر فـي مجموعـة مـن هـذه الشـهادات المسـتمدَّة مـن الواقـع الأدبـي ومـن أفـواه بعـض المبـدعين الكبـار، ويؤكّـدون فيهـا أنّ أعمـالهم الإبداعيـة ترجـع فـي مجملهـا أو فـي قسـم منهـا علـى الأقـل إلـى موضـوعاتية واحـدة. منهـا خرجـت إلـى الوجـود وحـول محورهـا تشـكّلت عوالمهـا، قاعـدةٌ قويـة أخـرى يقـف عليهـا منهجـه الموضـوعاتي»[1]، وهنـا تجـدر الإشـارة إلـى أنّ عمليـة إرجـاع كـل أعمـال المبـدع إلـى موضـوعاتية واحـدة ليسـت بـالأمر السـهل، لـذلك مـا يسـتوقفنا فـي هـذا القـول هـو عبـارة (يؤكـدون فيهـا أنّ أعمـالهم الإبداعيـة ترجـع فـي مجملهـا أو فـي قسـم منهـا علـى الأقـل، إلـى موضـوعاتية واحـدة)، فـي هـذه العبـارة بيـان أنّـه يوجـد احتمـال عـدم إرجـاع الأعمـال الإبداعيـة كلّهـا إلـى موضـوعاتية واحـدة، وهـذا يرمـي إلـى تعـدّد الموضـوعاتيات فـي أعمـال المبـدع الواحـد، لكـن الدكتور"عبـدلي" يأخـذ بـالقول الـذي جـاء بـه "ويبـر" وهـو أنّ الموضـوعاتية واحـدة، أمـا مـا بـدا للناقـد الموضـوعاتي أنّهـا موضـوعاتيات أخـرى للعمـل الأدبـي فهـي فـي الحقيقـة تعـديلات للموضـوعاتية الأساسـية، وعـن هـذه الفكـرة يقـول "عبـدلي":« وبـرغم كـل هـذه الاحتمـالات حـول وجـود عـدة موضـوعاتيات فـي نـص واحـد وفـي مجموعـة كاتـب معـين والتـي يفترضـها "ويبـر" هنـا، فهـو فـي النهايـة يُـرجِّح دائمًـا وجـود موضـوعاتية رئيسـية واحـدة فقـط، تنبثـق منهـا كـل النصـوص؛ أمـا مـا يبـدو للـدارس أنّهـا موضـوعاتيات أخـرى للـنص، فهـي ليسـت فـي حقيقـة الأمـر سـوى تعـديلات لتلـك الموضـوعاتية الأساسـية، منهـا تفرّعـت وإليهـا يعـود انبثاقهـا ووجودهـا فـي الـنص»[2]. ومـن هنـا يقودنـا الحـديث عـن فكـرة التعـديلات التـي خصّـها الـدكتور "عبدلي" بكثيرٍ من الاهتمام في مؤلَّفه سالف الذّكر.

يـرى الدكتور"عبـدلي" بـأنّ هـذه النـواة التـي شـكّلت الـنص تقـوم بتعـديلات حـول نفسـها، وهـي بـذلك تصـنع عـالم الـنص حيـث يقـول:« لـيس الـنص الإبـداعي بكاملـه

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص142.

[2] المرجع السابق، ص145.

إذن سـوى التعـديلات أو التحـوّلات التـي تُـدْخِلُها الموضـوعاتية الأساسـية علـى نفسـها، فتبـدو هـذه التعـديلات مختلفـة فـي مظهرهـا عـن بعضـها، ولكنهـا متقاربـة فـي جوهرهـا. بـل أكثـر مـن ذلـك، فهـي تشـترك فـي العناصـر التـي تكـوّن بنيتهـا الداخليـة، لأنهـا تعـود إلـى أصـلٍ واحـد هـو الموضـوعاتية الأساسـية»[1]. إذن بهـذا القـول يمكننـا أن نصـف بنيـة العمـل الأدبـي بأنّـه موضـوعاتية واحـدة ومجمـوع تعـديلاتها. ومهمـة الناقـد الموضـوعاتي هـي معرفـة هـذه الموضـوعاتية والكشـف عـن تعـديلاتها المُتكـررة فـي صـورٍ مختلفـة. وهنـا يستحضـر الـدكتور "عبـدلي" تقسـيم " فيبـر" الربـاعي لمسـتويات تعديل الموضوعاتية، والذي يتّضح في هذه العناصر التي يُوردها حسب الآتي:

1 / أحـد هـذه المسـتويات الأولـى هـو مسـتوى التـواتر "الإحصـائي"(degré zéro du théme): تـواتر كلمـة، مجموعـة سـيميائية، آفـاق دلاليـة (كتلـك الألفـاظ والتعـابير التـي تـرتبط بالعصـفور عنـد مـالارمي). هـذا المسـتوى هو مستوى الدرجة الصفر للموضوعاتية(degré zéro du théme).

2 / بدرجـة أكثـر تعقيـدًا مـن المسـتوى السـابق نجـد مسـتوى الصـور والاسـتعارات والالتقـاءات غيـر المتوقّعـة أو الكلمـات الخاصـة، حيـث تتجلّـى الـذكريات الموضـوعاتية. هـذا المسـتوى مـن التعـديلات هـو مسـتوى الدرجـة الأولـى (degré un (ou premier) du théme) .

3/ بعـد هـذا يـأتي مسـتوى أعقـد مـن المسـتويين السـابقين هـو مسـتوى الحـالات الجزئيـة، ويـتمّ الكشـف فيـه عـن هـذه الحـالات بطريقـة مباشـرة أو غيـر مباشـرة، إنّـه مسـتوى الدرجـة الثانيـة للتعـديلات الموضـوعاتية(degré deux du théme) (ou second) وكمثـال عنهـا:"الشـيطان فـي البفـروا" لـ" إدغـار آلان بـو"، حيـث أنّ

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص148.

الشـكل الـدائري للقريـة القائمـة علـى سـتّين منـزلاً لا تسـمح لنـا بسـهولة فـك رموزهـا علـى أنّها تعديل لميناء الساعة.

4/ بعـد هـذه المسـتويات الشـاملة: مسـتوى الشخصـيات ومسـتوى الأحـداث الكليـة والألغـاز، وكمثـال علـى هـذا أن الدلالـة الكليـة لـ "عفريـت الشـبه" (le démon de l'analogie) عنـد "مـالارمي" هـي مـأتم العصـافير الميتـة. ويمكـن أن نطلـق علـى سلسـلة هـذه المسـتويات المُعدَّلـة الدرجـة الثالثـة للتعـديلات، (degré trois (ou troisiéme) du théme).)[1]. وإلـى جانـب هـذه تحـدّث الـدكتور "عبـدلي" عـن أهميـة العنونـة فـي الكشـف عـن موضـوعاتية الـنص، حيـث يقـول:« وتوقّفْنـا عنـد العنونـة، فوضّـحنا أهميتهـا فـي الـنص الأدبـي وكشـفنا عـن المسـاعدة التـي يمكـن أن يقـدمها العنـوان للـدارس ليكشـف عـن الموضـوعاتية»[2]. فمـن خـلال مـا ورد فـي هـذا القـول يتبـيّن أنّ للعنـوان دور مهـم فـي الكشـف عـن الموضوعاتية المشكلة للعمل الأدبي.

يصـل الـدكتور "عبـدلي" فـي الأخيـر إلـى أنّ هـذه الخطـوات كفيلـة بالوصـول إلـى موضـوعاتية الـنص أو النـواة المشـكِّلة لعـالم الـنص والكشـف عـن تعـديلاتها، مـع أنّ فكـرة إمكانيـة إرجـاع كـل عمـل أدبـي إلـى موضـوعاتية واحـدة لهـا علاقـة بعـالَم طفولـة الأديـب وهـي الفكـرة التـي جـاء بهـا "ويبـر" لـم تلـقَ استحسـانا عنـد الـدكتور "عبـدلي" وهـذا مـا يظهـر فـي قولـه:« ومـن جهتنـا نـرى أن ربـط نسـبة نجـاح العمـل بمـدى قدرتـه علـى تجميـع أجـزاء الـنص وعناصـره حـول الموضـوعاتية المقترحـة كـافٍ وحـده للحكـم علـى العمـل النقـدي بالنجـاح أو الفشـل، دون ضـرورة تقـديم مـا يؤكّـد أنّ

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص152 و153.

[2] محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، 2003، ص430.

تلـك الموضـوعاتية المقترحـة تعـود إلـى حـادث متميّـز عاشـه المؤلـف فـي طفولتـه، لأنّ المطلـوب هـو تحليـل الـنص تحلـيلا موضـوعاتيا يـتمكّن الناقـد بفضـله الكشـف عـن موضـوعاتيته الأساسـية وعـن تعـديلاتها المتنوعـة. ويبقـى دور اطـلاع الناقـد علـى مرحلـة طفولـة الأديـب ـــ متـى تـوفر لـه ذلـك ـــ هـو دور مسـاعد علـى اكتشـاف الموضـوعاتية، ولـيس شـرطًا لقيـام الدراسـة الموضـوعاتية للـنص»[1]. فالواضـح مـن خـلال مـا جـاء فـي هـذا القـول هـو أنّ معرفـة طفولـة الأديـب تُسـاعد فـي الوصـول إلـى النواة التي انبثق عنها العمل الأدبي.

بعـد أن اتّضـحت لـدى الناقـد "عبـدلي" آليـات وأدوات المـنهج الموضـوعاتي راح يُطبّـق هـذه المقاربـة النقديـة علـى روايـة نجمـة لـ" كاتـب ياسـين "، وبعـد أن اسـتهوته هـذه المقاربـة قـام بتعمـيم دراسـته علـى كـل أعمـال "كاتـب ياسـين"، حيـث اختـار لمُنجَـزه هـذا عنوانًـا هـو "عـالَم كاتـب ياسـين الأدبـي: دراسـة وفـق المـنهج الموضـوعاتي" وهـو الكتـاب الصـادر عـن دار القصـبة بـالجزائر العاصـمة العـام 2009. وقـد قسّـم الناقـد كتابـه هـذا إلـى ثلاثـة فصـول، تطـرّق فـي الفصـل الأول إلـى عناصـر الموضـوعاتية حيـث توصّـل الناقـد مـن خـلال دراسـته لأعمـال "كاتـب ياسـين" ومنهـا (روايـة نجمـة، مناجـاة، الجثـة المطوّقـة، دائـرة الانتقـام، المضـلّع النجمـي، الرجـل ذو النعـل المطـاطي، وأعمـال أخـرى) إلـى أنّ هـذه الأعمـال كلّهـا تتّحـد فـي موضـوعاتية واحـدة وهـي "جريمـة النـاظور"، وعـن هـذه الحقيقـة يقـول الـدكتور "عبـدلي":« تمكّنـا فـي هـذه الدراسـة مـن تحديـد موضـوعاتية أعمـال " كاتـب ياسـين "، وهـي "جريمـة النـاظور" التـي وردت فـي روايـة نجمـة، ثـم قمنـا بتحليـل هـذه الأعمـال بمختلـف أجناسـها الأدبيـة

[1] محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، 2003، ص172.

وفـق المسـتويات التعديليـة الأربعـة التـي تتّخـذها هـذه الموضـوعاتية فيهـا؛ فبـيّن التحليـل أنها تولّدت من هذه الموضوعاتية وأنّها ترجع جميعا إليها»[1].

ثـم قـام فـي الفصـل الثـاني بدراسـة البنيـة الموضـوعاتية فـي روايـة نجمـة لكاتـب ياسـين، فكـان المنطلـق عنـده هـو البحـث فـي السـيرة الذاتيـة لــ"كاتب ياسـين". وممّـا اسـتوقف الناقـد فـي هـذه السـيرة هـو علاقـة "كاتـب ياسـين" بـالأدب العربـي القـديم، وبخاصـة القصـيدة الجاهليـة، فالأعمـال التـي أنجزهـا الكاتـب يظهـر فيهـا بشـكل واضـح تمامـا تـأثّره بـالأدب الجـاهلي، كمـا لا يمكـن أن نتجـاوز أثـر أحـداث الطفولـة للأديـب فـي نتاجاتـه الأدبيـة، وهـذا مـا عبّـر عنـه الكاتـب نفسـه بقولـه:« إنّ الرجـل طفـل أردنـا أم أبينـا؛ لقـد تحـدّدت نظرتنـا إلـى الأشـياء فـي إطـار اللغـة العربيـة، الشـفوية، أعبّـر باللغـة الفرنسـية عـن شـيء لـيس فرنسـيا، أكتـب باللغـة الفرنسـية، ولكنـي أملـك جـذوري العربيـة والأمازيغية التي مازالت حيّة»[2].

قـام الناقـد بتتبّـع مسـتويات التعـديلات الموضـوعاتية التـي كوّنـت العـالم الفنـي لهـذه الروايـة وقـد توصّـل الناقـد إلـى تحديـد مجموعـة كبيـرة مـن التعـديلات فـي هـذه الروايـة. حيـث توزّعـت تعـديلات الدرجـة الثانيـة حـول: مقتـل ريكـار، الخادمـة اللطيفـة، عائلـة السـيد ريكـار، نـوى التمـر، رافـق ابنتـي يـا مـراد، سـوزي فـي الحقـل، رشـيد والـرتيلاء، رشـيد والسـائق، مارسـيل صـاحبة المحـل الشـهير، الأخضـر فـي الحظيـرة، قتيـل المغـارة، الزنجـي، مـراد يخطـف نجمـة، اختطـاف زهـرة، اختطـاف أوديـل، العجـوز الإيطاليـة. أمـا مـا يتعلـق بتعـديلات الدرجـة الأولـى فهـي سـبعة مشـاهد ومنهـا: مسـجد كبلـوت والسـكين والاختطـاف والاغتصـاب والقتـل والجثـة الملفوفـة فـي أسـمال، أمـا عنـد تعـديلات الدرجـة الصـفر مـن الموضـوعاتية فهـي الـدائرة والسـكين والعـدد سـتة. هكـذا

[1] محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين ، مرجع سابق، ص430.

[2] المرجع السابق، ص258.

أخضـع الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي" روايـة نجمـة لممارسـة نقديـة موضـوعاتية مقتفيـا بذلك أثر الناقد "جون بول ويبر".

أمـا الفصـل الثالـث مـن هـذه الدراسـة التطبيقيـة الموضـوعاتية فقـد عنونـه الناقـد بـــ" البنيـة الموضـوعاتية فـي عـوالم نجمـة " حيـث قـام بدراسـة بقيـة أعمـال "كاتـب ياسـين" ومنهـا مسـرحيات "دائـرة الانتقـام"، ومسـرحية "الرجـل ذو النعـل المطـاطي"، وكـذا قصـيدة "العقـاب"، ومجموعـة "الأعمـال المتفّرقـة". وقـد آثـر أن يكـون ترتيـب تنـاول هـذه الأعمـال وفـق تـواريخ نشـرها وبحسـب جنسـها الأدبـي. وقـد اسـتعان الناقـد فـي دراسـته الموضـوعاتية لأعمـال "كاتـب ياسـين" بموضـوعاتية "جـان بـول ويبـر" الراميـة إلـى معرفـة النـواة المشـكلة للعمـل الأدبـي والكشـف عـن تعـديلاتها المتنوعـة، الأمـر الـذي سـاعده فـي الوصـول إلـى أنّ أعمـال "كاتـب ياسـين" تصـدر عـن موضـوعاتية "جريمة الناظور".

وعلـى العمـوم يمكـن القـول إنّ الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي" اسـتطاع بفضـل تحكُّمـه فـي آليـات المـنهج الموضـوعاتي وأدواتـه الخاصـة والتـي اسـتمدّها مـن معينهـا الصـافي فـي العـالم الغربـي، ومنابعـه الصِـرفة التـي كانـت سـببًا فـي بـروزه فـي السـاحة النقديّـة المعاصـرة أن يرسـم لنـا صـورة واضـحة عـن هـذا المـنهج النقـدي فـأزاح الكثيـر مـــن الغمـــوض عـــن هـــذا المـــنهج النقـــدي الـــذي لا يـــزال العديـــد مـــن البـــاحثين و الدارســـين يجهلـــون حقيقتـــه، ولا يعرفـــون أسســـه وآلياتـــه التـــي يوظفهـــا لتحليـــل النصـــوص الأدبيـــة وســـبر أغوارهـــا. كمـــا قـــام الناقـــد بممارســـة تطبيقيـــة موضـــوعاتية حقيقيـة علـى عـالم كاتـب ياسـين الأدبـي فتوصّـل بـذلك إلـى النـواة التـي انبثقـت عنهـا أعمـال "كاتـب ياسـين"وهي (جريمـة النـاظور)،ثـم حـاول الكشـف عـن التعـديلات المختلفـة لهـذه الموضـوعاتية، وهـو بـذلك سـار علـى خطـى الناقـد الفرنسـي"جون بـول ويبر".

2/3 محمد مرتاض:

قـام الناقـد الجزائـري "محمـد مرتـاض" بدراسـة تطبيقيّـة يقـول فيهـا بأنّـه تبنـى المـنهج الموضـوعاتي، وقـد اختـار لهـا صـاحبها عنـوان " الموضـوعاتية فـي شـعر الطفولـة الجزائـري " وحـاول فيهـا تطبيـق آليـات وأدوات المقاربـة الموضـوعاتية علـى مدوّنـة تضـم 61 أنشـودة مـن أناشـيد الأطفـال. وتعتبـر هـذه الدراسـة أوّل ممارسـة موضـوعاتية جزائريـة فـي النقـد الأدبـي، ولا نقـول أوضـح تجربـة، فالوضـوح وتيسـير المقاربـة ينفـرد بهـا مـن وجهـة نظرنـا الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي " كمّـا تقـدّم تبيانـه. وعـن هـذا السـبق يقـول الـدكتور يوسـف وغليسـي:« يعـد كتـاب (الموضـوعاتية فـي شـعر الطفولـة الجزائـري) للـدكتور محمـد مرتـاض، أوّل ممارسـة جزائريـة تصـدع بالانتمـاء إلـى أبجـديات هـذا المـنهج، وتسـلّم نفسـها إلـى المفـاتيح الموضـوعاتية»[1]. ويمكننـا أن نستشـفّ مـن هـذا القـول أنّ "محمـد مرتـاض" لـه حـقّ السّـبق ولـيس حـقّ البسـط والإيضاح والتيسير.

فـي مقدمـة هـذا العمـل يُصـرّح الناقـد "محمـد مرتـاض" بتوظيفـه للمـنهج الموضـوعاتي فـي هـذه الدراسـة حينمـا يقـول فـي مقدمـة هـذه الكتـاب:«... فإننـا ارتأينـا أن نطبّـق هـذا المـنهج أو هـذه المحاولـة التـي لّمـا تتبلـور بعـد، ولكـن ذلـك لا يمنعنـا مـن تطبيقهـا فـي هـذه الدراسـة التـي أفـادت مـن محـاولات السـابقين، والتـي هـي مدينـةٌ لهـم بفضـل السـبْقِ بطبيعـة الحـال. ولـيس مـن نافلـة القـول أن أذكـر فـي هـذا الصّـدد مجلـة (دراسات سيميائية) التي تعرّضت للموضوعاتية في عددها الثاني والثالث»[2].

ورغـم هـذا التصـريح البَـيِّنِ بتبنّـي هـذا المـنهج إلاّ أنّ الناقـد لـم يُوفَّـق كثيـرًا فـي الالتـزام التـام بآليـات هـذه المقاربـة الموضـوعاتية، لـذلك نجـد الناقـد " يوسـف وغليسـي" يُعلّـق علـى هـذه الدراسـة فيقـول:« وتتعثّـر الدراسـة ــ أول مـا تتعثـر ــ فـي تحديـد مفاتيحهـا المنهجيـة، حـين تقـدّم (الموضـوعاتية) علـى أنّهـا " مجموعـة مـن الموضـوعات يُلتـأم شـملها وتُصَـرف معانيهـا وتُحصـى أفكارهـا ضـمن موضـوع واحـد، ومـن المفـروض

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص150.

[2] المرجع السابق، ص7 و8.

أو المرغـوب أن تقتصـر علـى غـرض معـيّن كالوصـف أو الغـزل وغيرهمـا..."[1]، وفـي ذلـك خَلْـطٌ واضـح بـين الموضـوع والموضـوعاتية؛ فهـو تعريـف للموضـوع، لا تعريـف للموضـوعاتية التـي كـان ينبغـي أن تؤخـذ علـى أنّهـا مـنهج دراسـة الموضـوع، لا الموضـوع النصـي فـي حـدّ ذاتـه»[2]. وأرى فـي تصـوّري أنّ دراسـة الموضـوع يمكـن أن تجمـع إليهـا أكثـر مـن كاتـب، بينمـا الدراسـة الموضـوعاتية لا يمكـن أن تكـون لأكثـر مـن كاتـبٍ، لأنّ كـل كاتـبٍ لـه موضـوعاتيته الخاصـة، وهـي النـواة أو الخليـة الواحـدة التـي انبثقـت منهـا أعمالـه جميعًـا عـن طريـق تعـديلات تـتم علـى تلـك النـواة الواحـدة، وبذلك نقول أنّ الدراسة الموضوعاتية تختلف تمامًا عن دراسة الموضوع.

قسّم الناقد عمله هذا إلى أربعة فصولٍ وقد جاءت عناوينها كالآتي:

الفصل الأول: الدراسة الموضوعاتية.
الفصل الثاني: الصورة الفنيّة وخصائصها.
الفصل الثالث: خصائص الفضاء والزمن الأدبي في شعر الطفولة.
الفصل الرابع: خصائص المعجم والبنية التركيبية في الخطاب الشعري.

وينتقـي لنـا "محمـد مرتـاض" فـي هـذه الدراسـة أربـع مجموعـات شـعريّة وهـي: المجموعـة الأولـى (الفرحـة الخضـراء) لصـاحبها مصـطفي الغمـاري، والمجموعـة الثانيـة (البـراعم النديّـة) لمحمـد ناصـر، والمجموعـة الثالثـة (حـديث الفصـول) لحـرز الله بوزيـد، أمـا المجموعـة الرابعـة فهـي (بسـمات) لصـاحبها يحـي مسـعودي. وفـي دراسـته الموضـوعاتية لهـذه المجموعـات الشـعريّة قـام الناقـد بتصـنيف هـذه القصـائد المُنتقـاة ضـمن محـور واحـد وقـد اتّضـح لـه أنّ هـذه المجموعـات الأربـع تصُـبّ فـي قالـب واحـد، وبناءً على ذلك فقد حصرها الناقد في أربعة موضوعات فرعية وهي:

ـ محبة الله والرسول صلى الله عليه وسلّم والاستمساك بالدين الإسلامي.

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2014، ص08.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص150.

ـ حب الوطن وتخليد الثورة، وتمجيد الشهداء.

ـ حب الطبيعة بكل مكوناتها من متحرّك وجامد.

ـ حب البيئة المدرسية وما في حُكْمِها.

ومن خلال هذا التقسيم الذي جاء به الناقد يمكن القول كذلك إنّ هذا العمل هو دراسة للموضوع وليست دراسة موضوعاتية.

يبـدأ الناقـد فـي دراسـة كـل محـور موضـوعاتي علـى حـدة، بحيـث يضـع لكـل محـور نصوصـه الخاصـة بـه، مـع شـرحٍ مبسَّـطٍ لـبعض هـذه النصـوص المدروسـة، وفـي الأخيـر يتوصّـل إلـى أنّ هـؤلاء الشـعراء الأربعـة تمكّنـوا مـن« أن يُوصِـلوا إلـى الطفـل مـا يتسـلّح بـه فـي حياتـه مـن خـلال الموضـوعاتية المشـتركة لهـم، والتـي دارت حـول محـور كبيرٍ أو موضوع كبير هو(الحب) لله وللوطن وللطبيعة، والبيئة المدرسية...»[1].

عـالج الناقـد فـي الفصـل الأول مـن هـذا العمـل ــ وهـو الفصـل المُعنـون بـ " الدّراسـة الموضـوعاتية " ــ المحـاور الأربعـة الرئيسـيّة سـالفة الـذكر، فـذلك نجـده فـي المحـور الأول وهـو الموسـوم بـ" محبـة الرسـول (صـلى الله عليـه وسـلم)، والاستمسـاك بالـدين الإسـلامي " قـد قـام بدراسـة قصـيدة (مولـد الرسـول) لصـاحبها يحـي مسـعودي، وقصـيدة (الفتـى المسـلم) للشـاعر حـرز الله بوزيـد، وكـذا قصـيدتَي (إلهـي، وعهـدي) لمحمد ناصر، وقصيدة (حديث المسجد) لمصطفى الغماري.

فـي نهايـة الدراسـة اتّضـح للناقـد أنّ هـذه القصـائد الأربـع كلّهـا تربطهـا علاقـة بالـدين الإسـلامي، كمـا لاحـظ أيضًـا أنّهـا تلتقـي جميعهـا فـي المبنـى العـام المشـترك. يقـول الناقد"محمـد مرتـاض":« واضـح أنّ الموضـوعات التـي تناولهـا الشّـعراء لهـا علاقـة وطيـدة بالـدّين الإسـلاميّ، وهـي تلتقـي فـي المبنـى العـام المشـترك، فالحـديث عـن الله سـبحانه وتعـالى يُفضـي بصـاحبه إلـى الحـديث عـن الرسـول (صـلى الله عليـه وسـلّم)، والرسـول يكـون أصـحابُه معمّـرين بيـوت الله، محـافظين علـى الميثـاق الـذي

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق، ص33.

عاهـدوا الله عليـه، وهـذه القصـائد تطفـح بالكلمـات الإسـلاميّة التـي تُكَـوِّنُ فـي مجموعهـا توقُّـدًا إيمانيًّـا، وتـزرع فـي نفوسـهم محبّـة الله والرسـول والإسـلام بعامّـة»[1]. ثـم قـام الناقـد بعرض مجموعة من الأبيات الشعرية بُغية الاستشهاد بها فيما ذهب إليه.

وفـي المحـور الثـاني الـذي جـاء موسـومًا بـــ " حـب الـوطن، تخليـد الثـورة، وتمجيـد الشـهداء " قـام الناقـد بعمليـة إحصـاء للقصـائد التـي لهـا علاقـة بـالوطن والثـورة الجزائريـة فـي كـل ديـوان، وأثبـت بعـد هـذه العمليـة أنّ الشـعراء الأربعـة سـالفي الـذكر قـد أَوْلَـوا عنايـة فائقـة لـوطنهم الجزائـر، وتغنّـوا بعَلَمهـم الـوطني وثـورة التحريـر المباركـة، وخَلّـدُوا شـهر المعجـزات " نـوفمبر" المجيـد. ولا يحيـد الناقـد عـن طريقتـه التـي اتّبعهـا فـي المحـور الثـاني فنجـده كـذلك فـي المحـور الثالـث "حـبّ الطّبيعـة بكـلّ مكوّناتهـا مـن متحـرّك وجامـد"، يقـوم بإحصـاء القصـائد المُتعلقـة بالطبيعـة وجمالهـا عنـد كـل شـاعرٍ مـن الشـعراء الأربعـة، ويـذكر لنـا الناقـد بيتًـا شـعريًا للشـاعر " محمـد ناصـر" مـن قصيدته (بين النخيل) حيث يقول:

« والورد يميل، مع النّسيم العليل بين النخيل، فوق الخميل»[2]

ثـم يزيـد الناقـد هـذا البيـت جمـالاً بـذكر مـا يحملـه هـذا البيـت مـن معـانٍ جميلـة حينمـا يقـول:« إنّهـا نظـرة الشـاعر إلـى مـا تكـون الأرض حبلـى بـه مـن خيـرات دفينـة تجعلهـا تلـد هـذه النخيـل المتواجـدة فـوق الخمائـل، وكـأنّ الـورد يسـتجيب للنسـائم، فيطفـق معهـا فـي الـرقص والاهتـزاز بمـوازاة النخيـل، وهـي صـورة موفقـة تنقـل إلينـا عالمًـا متحركـا بالحيـاة، ونابضًـا بالـذوبان فـي هـذه الطبيعـة نفسـها، فَتَـزَاوَجَ هـذا بـذاك، والتحمـت هـذه بتلـك»[3]. ثـم يـذكر الناقـد أبيـات مـن قصـيدة " الطبيعـة فـي بـلادي " لصاحبها " مصطفى الغماري " وهي:

« أطيارها تغنّي في الروض ألف لحنٍ
وزهرها البديع يزهى به الربيـــع

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق ، ص17.
[2] محمد ناصر، البراعم النديّة، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1985، ص25.
[3] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق، ص 26.

أنْسامه اللّطيفة وروحـــه الخفيفـة
تغدو مع الطّيور فرحـانة بالنّــور»[1]

فـالمُلاحَظ هنـا أنّ الناقـد يجمـع بـين عناصـر الطبيعـة فـي جمالهـا البـديع، بـين الزهـور الجميلـة والطيـور المُنشـدة لأعـذب الألحـان، والنسـيم العليـل، إلاّ أنّ الناقـد ينبغـي أن يقـف عنـد أمـر هـو أنّ " محمـد مرتـاض " لا يلتـزم هنـا بآليـات النقـد الموضوعاتي في تحليله هذا، وإنّما هو مجرّد وصف لا غير.

وفـي المحـور الرابـع الموسـوم بـ " حـب البيئـة المدرسـية ومـا فـي حُكْمِهـا " كـذلك يقـوم الناقـد بعمليـة إحصـاء للقصـائد التـي لهـا اهتمـام بالبيئـة المدرسـيّة، فوجـد أنّ كـل مـن قصـيدة (مدرسـتي) مـن ديـوان البـراعم النديّـة، وقصـيدة (يـا خيـر اللغـات) مـن ديـوان الفرحـة الخضـراء، وقصـيدتي (سـلاحنا بـالعلم، وحـوار بـين المجتهـد والكسـول) مـن ديـوان نسـمات، كلهـا تتحـدث عـن المدرسـة ومـا فـي حُكْمِهـا، بخـلاف ديـوان حـرز الله بوزيد الذي لم يجد له أي قصيدة تتحدث عن المدرسة.

فـي نهايـة هـذا الفصـل نجـد الناقـد "محمـد مرتـاض" قـد توصّـل إلـى هـذه الملاحظـة المُهمـة وهـي:« قـد اسـتطاع الشـعراء الأربعـة أن يوصـلوا إلـى الطفـل مـا يتسـلّح بـه فـي حياتـه مـن خـلال الموضـوعاتية المشـتركة لهـم، والتـي دارت حـول محـورٍ كبيـرٍ هـو (الحـب) لله، وللـوطن وللطبيعـة، وللبيئـة المدرسـية، ...»[2]. فهـو بـذلك يُريـد أن يُوصـل إلينـا حقيقـة مفادهـا أنّ هـؤلاء الشـعراء الأربعـة يشـتركون فـي موضـوعاتية واحـدة وهـي " الحـب " لله ورسـوله (صـلى الله عليـه وسـلّم)، وكـذا للـوطن وللمدرسـة وللطبيعـة. أمـا فـي الفصـل الثـاني مـن هـذا الكتـاب ــ والحـديث دائمًـا عـن كتـاب " الموضـوعاتية فـي شـعر الطفولـة الجزائـري " لمحمـد مرتـاض ــ وهـو الـذي عنونـه بـ" الصّـورة الفنّيّـة وخصائصـها المشـتركة لـدى الرّبـاعيّ " وقـد قسّـمه إلـى قسـمين: القسـم الأول عـرض فيـه الناقـد الصـور الفنيّـة فـي شـعر الطفولـة، بحيـث حـاول فـي البدايـة أن يُبرز خصائص الصورة في دواوين الشعراء الأربعة.

[1] مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1985، ص19.
[2] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق، ص 33.

لقـد سـجّل غيـاب هـذه الصـورة الفنيّـة التـي كـان يرتضـي وجودهـا فـي هـذه الـدواوين، إلاّ الشـيء القليـل، وإزاء ذلـك نجـده يقـول:«... ومـع هـذا المفهـوم الـذي ارتضـيناه، فـإنّ الصـورة الفنيّـة التـي كنـا نـودُّ أن تتحقـق فـي هـذه الـدواوين مـع ذلـك لا تكـاد توجـد، والسـبب بسـيط، وهـو أنّ هـذه الصـورة يكـون مجالهـا أرحـب فـي شـعر الكبـار، باعتبـار أنّ شـعر الطفولـة إن التجـأ فيـه الشـعراء إلـى التّعمـق فـي أفكـارهم والتّغلغـل فـي تخـيّلاتهم، فإنّـه يعسـر علـيهم تحقيـق نتـائجهم التـي يرمـون التوصّـل إليهـا، وذلكـم مـا جعـل استشـهادنا ينحصـر فـي جُمـلٍ قليلـة»[1]. أمـا بخصـوص القسـم الثـاني مـن هـذا الفصـل فقـد ذكـر فيـه الخصـائص المشـتركة للصـورة الفنيّـة لـدى الرُّبـاعيّ بحيث نجده قد حصرها فيما يلي:

أ ـ الورد وما في حُكْمِه ممّا له صفة الشّذى.

ب ـ الماء وما في حُكْمِه.

ج ـ التّشجير وما يندرج تحته من صفات الاخضرار.

د ـ الثّورة وما يدخل تحتها.

هـ ـ الحيوانات والطّيور وغيرها.

ومـن بـين الملاحظـات التـي يُمكـن أن نُسـجلها علـى الناقـد هنـا، أنّـه قـد اعتمـد فـي هـذا التصـنيف علـى عنصـر الإحصـاء فـي رصـده للمعـاجم التـي تُـدرج ضـمن هـذه الخصـائص، كمـا أنّـه لـم يتعمّـق فـي كـوامن التأويـل، أمّـا عـن أسـلوبه فهـو سـهلٌ واضـحٌ، هـذا دون أن ننسـى تأكيـده علـى التفريـق بـين الموضـوع والموضـوعاتية، وهـو رأي الـدكتور "عبـدلي" كمـا سـبق، ومـن جملـة مآخـذه علـى النقّـاد الـذين تصـدّوا للبحـث في هذا المنهج النقدي.

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق ، ص 36 و37.

فـي "خصـائص الفضـاء والـزّمن الأدبـيّ فـي شـعر الطّفولـة " وهـو عنـوان الفصـل الثالـث، عـالج الناقـد خصـائص الفضـاء والـزّمن الأدبـي، حيـث قسّـم الفضـاء إلـى: فضـاء لامتنـاهي، والتّضـايق بالفضـاء، وفضـاء متحـرّك، وفضـاء مغلـق، وفضـاء مُحـاط بالمهـاول، وفضـاء مُتعـدّدٍ. وعـن هـذا التقسـيم يقـول الناقـد:«... ولكـن هـذا لا يمنعنـا مـن الإشـارة إلـى أنّ الفضـاء تعـدّد فـي الخطـاب الشـعريّ للطفولـة فلـم يأخـذ سـبيلاً واحـدًا، ولـم ينـهج طريقًـا آليًـا، بـل تعـدّد تبعًـا للموضـوع والصـورة وللوصـف المـراد التوصّـل إليـه»[1]. أمّـا عـن الـزمن الأدبـي فقـد قسّـمه الناقـد كـذلك إلـى: الـزّمن المعتـزّ بنفسـه وزمـن الاسـتهزاء والـتّهكم، فقصـد بـالأول ذلـك الاعتـزاز الـذي يحملـه الشـاعر فـي قلبـه، ويعبّـر عنـه فـي خطابـه الشّـعريّ وهـو اعتـزاز بـالوطن والشـهداء الـذين ضـحوا مـن أجله بالنفس والنفيس.

أمـا عـن الـزمن الثـاني فقـد حمـل فـي طياتـه سـخرية وتهكّمًـا مـن كـل السـاخطين على الدين الإسلامي، وممن هم منغمسون في الإعجاب بما يخدم الضّلال.

ويخـتم الناقـد "محمـد مرتـاض" كتابـه بفصـلٍ رابـعٍ ذكـر فيـه خصـائص المعجـم والبنيـة التّركيبيّـة فـي الخطـاب الشّـعريّ للرّبـاعيّ. فبالنسـبة لخصـائص المعجـم الفنـي فقـد لخّصـها فـي سـتة محـاورٍ وهـي: الـوطن، العلـم الـوطنيّ، الثّـورة ومـا فـي حُكْمِهـا، الشـهداء والتضـحيّة، الجهـاد والتضـحية، الـدم والعـذاب والقتـل والشّـقاء والـدّموع والألـم والنّـار ومـا فـي حُكْمِهمـا، ليقـف بعـدها عنـد مـدى تـلاؤم هـذا الخطـاب الشّـعري مـع مسـتوى الأطفـال ومـدركاتهم. ومـن خـلال قـراءة الناقـد النقديّـة لهـذه الـدواوين الشـعريّة تبـيّن لـه أنّ الشـعراء الأربعـة حـاولوا أنّ يُراعـوا قـدر المسـتطاع مـدارك الأطفـال ومسـتواهم اللغـوي، وبـذلك فهـو يـرى بتفـاوت الشـعراء فيمـا بيـنهم، وهـو مـا يُفهَـم مـن قولـه:« إنّ قـراءة متأنيّـة إلـى هـذه المجـاميع الشـعريّة الأربـع تجعلنـا نتوصـل إلـى حكـم واضـحٍ دقيـقٍ علـى مسـتوى هـذا الخطـاب الشـعريّ ومـا يختزنـه الأطفـال مـن مفـردات وعبـارات أميـة (نسـبة إلـى الأم) وأسـريّة ومدرسـية، وتـدعونا إلـى الخـوض فـي مـدى مراعـاة الشّـعراء فـي دواويـنهم لمـدارك الأطفـال وقاموسـهم اللّغـويّ، وقـد اسـتبان لنـا أنّ

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق ، ص77.

الأمـر كـان متفاوتًـا لـديهم، فبعضـهم حقّـق الهـدف المرجـوّ مـن قريضـه، وبعضـهم الآخر كان دون ذلك»[1].

فـي نهايـة هـذا الفصـل، حـاول الناقـد اسـتنباط الأدوات التـي تُكـوّن البنيـة التّركيبيـة فـي المجـامع المدروسـة، حيـث قـام باسـتنتاج هـذه الأدوات فـي جـدول تفصـيلي، ثـم وضّـحه وعلّـق عليـه. لـيخلُص فـي النهايـة إلـى أنّ:« هـذه الـدّواوين قـد أخـذت علـى نفسـها عهـدًا بتصـحيح الاعوجـاج، ونشـر المبـادئ المثلـى والقـيم، وزرع الخيـر والأمـل والسّـرور، وتشـجيع الطفـل علـى العمـل والجـدّ والمثـابرة، ودفعـه إلـى احترام الكبير، وتقدير الجهد الإنسانيّ، وغير ذلك من الصفات الحسنة»[2].

وختامًـا لهـذه القـراءة النقديّـة فـي مدوّنـة الناقـد "محمـد مرتـاض" والتـي جـاءت موسـومة بــ " الموضـوعاتيّة فـي شـعر الطّفولـة الجزائـري "، نخلُـصُ إلـى أنّ إجـراءات النقـد الموضـوعاتي فـي هـذه الممارسـة النقديّـة قـد جـاءت فـي صـورة محـدودة، ذلـك أنّ الناقـد قـد حصـرها فـي مصـطلح الموضـوع، ونظريـة الحقـول الدلاليّـة. كمـا أننّـا نسـجل محاكاتـه فـي عملـه هـذا لموضـوعاتية الناقـد السـوري "عيـد الكـريم حسـن". إلاّ أنّ هـذا العمـل حسْـبُهُ أنّـه أول ممارسـة نقديّـة جزائريـة، فـي وقـتٍ نـرى فيـه أنّ هـذا المـنهج النقـدي ــ والحـديث دائمًـا عـن المـنهج الموضـوعاتي ــ لا يـزال فـي بداياتـه، كمـا أنّ التعامـل معـه وتطبيقـه علـى الأعمـال الإبداعيـة لا يـزال قلـيلاً فـي سـاحتنا النقديـة الجزائريـة بصـفة خاصـة، وفـي السـاحة العربيـة بصـفة عامـة. وبـالرغم مـن أنّ روّاد هـذا المـنهج حـاولوا أن يجعلـوا منـه منهجًـا مسـتقلاً بذاتـه، لكـنهم لـم يتمكنـوا مـن ذلـك، وقـد تعثروا في تقديم نظرية متكاملة سواء ما تعلّق بالجانب النظري منه أو التطبيقي.

[1] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، مرجع سابق ، ص100.

[2] المرجع السابق، ص101 و 111.

3/3 مسعودة لعـريط:

قامت الباحثة "مسعودة لعريط" بدراسة نقديّة تُحاكي فيها التوجه النقدي الذي سار وفقه الدكتور"عبد الكريم حسن"، وهو العمل الموسوم بـ" قصص الأطفال في الجزائر ـ دراسة موضوعاتية "، حيث تُطبق الباحثة المُقاربة الموضوعاتيّة ـ من منظورها . على ما يُقارب ثلاثين قصة مُخصصة للأطفال لمجموعة من الكُتّاب، فتَعْمَدُ الباحثة وفق هذه المُقاربة النقديّة إلى دراسة المفردات وتجميعها ثم تصنيفها في حقول دلاليّة. وهذا ما يتجلّى في المبحث الذي عنونته بـ" موضوعاتية المتن ".

كما تقوم الباحثة بتفكيك القاموس اللغوي للمُدونّة القصصية. وعن هذا الانتماء المنهجي يتحدث الدكتور" يوسف وغليسي":« من الجليّ أنّ الجهاز الاصطلاحي الذي تصطنعه الباحثة يكشف عن مرجعيتها ببساطة، ويُحدّدُ انتماءَها المنهجي إلى موضوعاتية "عبد الكريم حسن"، فالأشكال اللفظية في علاقتها الإحصائية بـ "مجموع الألفاظ " المدوّنة، عند لعريط، هي نفسها ظهورات العائلة اللغوية عند "عبد الكريم حسن"، والتيمة الرئيسية وتيماتها الجزئية ـ عندها ـ هي نفسها الموضوع الرئيسي وفروعه عنده، و"ترسيمتها " هي ترسيمته وشبكتُه الموضوعاتيّة، و" الفكر المحرّك " ـ عندها ـ هو " الفعل المحرك " عنده، وهلمّ جرًّا»[1].

ورغم هذا الانتماء إلاّ أنّ الباحثة تضع لنفسها بصمتها الخاصة التي تُميّزها عن غيرها في أعمالٍ أخرى لها، فنجد الباحثة في مُؤَلَّفها "سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة " والمُؤلَّفُ هذا في حقيقة الأمر هو عبارة عن أطروحة دكتوراه للباحثة "مسعودة لعريط" أنجزتها وقدّمتها أمام لجنة المناقشة بجامعة الجزائر أواخر عام 2009، وقد كانت هذه الأطروحة موسومة بـ" الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة ـ دراسة موضوعاتية ". وهي في هذا العمل« تُصرّح باختيارها للمنهج الموضوعاتي» [2]. ويظهر هذا الانتماء

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص126.

[2] مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص7.

المنهجي كذلك من خلال عنوان الأطروحة. تناولت في هذا البحث الأكاديمي من خلال التحليل الموضوعاتي أربع روايات من بلدان عربيّة مختلفة، وهي رواية " ذاكرة الجسد " لأحلام مستغانمي من الجزائر، ورواية "نخب الحياة" لأمال مختار من تونس، ورواية "عام الفيل" لليلى أبو زيد من المغرب، ورواية "رجل لرواية واحدة " لفوزية شلابي من ليبيا، وتهدف هذه الدراسة إلى إبراز تجليّات سردية الفضاء في الروايات المذكورة. وما يهُمنا في هذا العمل أنّ الباحثة تتبنى التحليل الموضوعاتي في هذه الدراسة.

إلى جانب هذين المُؤَلفين نجد للباحثة أيضًا عملاً ثالثًا اختارت له عنوان"النقد الموضوعاتي" وهو عبارة عن كتاب صغير يتضمن فصلين، الفصل الأول نظري والثاني تطبيقي، قامت الباحثة في الجانب التطبيقي بدراسة نقديّة موضوعاتية لما يُقارب أربعة أعمال مختلفة، غير أنّ الباحثة ـ فيما يبدو لناـ قد ابتعدت شيئًا ما عن الآليات الإجرائية التي يُسخّرها المنهج الموضوعاتي لدراسة الأعمال الأدبيّة، وهذا ما أشار إليه " يوسف وغليسي " بقوله:« أمّا كتابها الصغير الآخر(النقد الموضوعاتي)، وبغضّ النظر عن فصله النظري الأول الذي لا شكّ في أهميته المعرفية، فإنّ فصله التطبيقي(الذي يقارب أربعة أعمال مختلفة ضمن ما لا يتجاوز أربعين صفحة فقط من القطع الصغير) يكاد يغيّب الأبجديات الإجرائية الموضوعاتية، وبخاصة حين يقارب الشعر؛ حيث يتحول إلى مجرد احتفاء شاعري موازٍ بالجسد والأنوثة في ديوان (خجل الياقوت) لآمال موسى، وإلى تجريد فكري عام لثلاثة أنماطٍ جسدية (الجسد المستلب، الجسد الجميل، الجسد الأثيري) في ديوان (عشق الشعراء) للشريف منصور بن سلطان»[1]. كما نذكر للباحثة بعض المقالات في مجلات أكاديمية ومنها:

ـ إشكاليات الموضوعاتية في الخطاب النقدي الغربي والعربي.

ـ البنية الموضوعاتية السردية لقصص الأطفال في الجزائر.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص126 و127.

ـ مفهوم المنهج الموضوعاتي في المقاربات الغربية الحديثة.

سـارت الناقـدة مسـعودة لعـريط فـي ركـاب الناقـد "عبـد الكـريم حسـن" فـي عملهـا المعنـون بــ" قصـص الأطفـال فـي الجزائـر ــ دراسـة موضـوعاتية "، حينمـا قامـت بدراسـة المفـردات وتجميعهـا ثـم تصـنيفها فـي حقـول دلاليّـة سـاعية مـن خـلال عملهـا هـذا إلـى الكشـف عـن الموضـوعات الرئيسـية فـي الأعمـال المنـوّه بهـا آنفًـا، وبالتـالي جـاءت دراستها للموضوع وليس للموضوعاتية التي هي النواة المشكّلة للعمل الأدبي.

وهنـا يبـرز التأكيـد كضـرورة ملحّـة إلـى المرجـع فـي وضـع الفيصـل بـين "الموضـوع" و"الموضـوعاتية" والـذي نبّـه إليـه الناقـد "عبـدلي" فـي غيـر مـا موضـعٍ، تحـذيرًا منـه أنّ إدغـام الموضـوع بالموضـوعاتية وتناولهمـا نمطيًـا علـى أنّهمـا مصـطلح واحـد يفضـي إلـى تعريـة المـنهج الموضـوعاتي مـن أخـصّ خصائصـه ويجعلـه مجـرّد إحالة فرعية للمناهج النقديّة الأخرى.

الفصـــــل الثـــالث

الفصل الثالث

التجربة النقديّة الموضوعاتية عند الناقد يوسف وغليسي

* تمهيد.

1 / الجهود النقدية النظرية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي

2 / الجهود النقدية التطبيقية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي

3 / مقارنة بين تجربة الناقد يوسف وغليسي الموضوعاتية والنماذج العربيّة الأخرى.

4 / رؤيــة نقديّــة في تطبيق المنهج الموضوعــاتي عند يوسف وغليسي.

*** تمهيد:**

يحظـى المـنهج الموضـوعاتي بأهميـة بالغـة عنـد الناقـد الجزائـري " يوسـف وغليسـي"، ويعتبـر هـذا المـنهج مشـروعًا نقـديًّا أسّـس لـه الناقـد منـذ زمـنٍ بعيـدٍ، وحـاول أنّ يُـزيح الغمـوض عـن هـذا المـنهج ويُوضّـح أسسـه ومرتكزاتـه والآليـات التـي يُسـخّرها فـي دراسـة وتحليـل الأعمـال الإبداعيـة. وعـن هـذا الاهتمـام يقـول "يوسـف وغليسـي": « ووفقًـا لهـذه القناعـات المتأصّـلة، اشـتغلنا نقـديًا علـى نصـوصٍ إبداعيـة مـن شـتى الأجنـاس والأنـواع (رغـم كثـرة الاشـتغال علـى الشـعر)، بوسـائل منهجيـة مختلفـة، حتـى اسـتقرّ بنـا الأمـر عنـد المـنهج الموضـوعاتي الـذي حوّلنـاه إلـى مشـروع منهجـي طويـل المدى النقدي نسبيًا؛ استغرق زُهاء عشرين سنة من تجربتنا المتواضعة»[1].

ومـن بـين الجهـود النقديّـة التـي أنجزهـا "يوسـف وغليسـي" حـول هـذه المقاربـة النقديّـة الموضـوعاتية، مـا ضـمّنه مـن التنظيـر لهـذا المـنهج فـي كتبـه: " منـاهج النقـد الأدبـي " و" النقـد الجزائـري المعاصـر مـن اللانسـونية إلـى الألسـنية " و" إشـكالية المصـطلح فـي الخطـاب النقـدي العربـي ". هـذا إلـى جانـب كتابـه الموسـوم بـ"التحليـل الموضـوعاتي للخطـاب الشـعري بحـث فـي ثوابـت المـنهج، وتحولاتـه العربيـة، ومحـاولات لتطبيقـه"، حيـث قـام الناقـد فـي هـذا الكتـاب بمحاولـة إثـراء المـنهج الموضـوعاتي بـبعض المفـاهيم الجديـدة التـي يقـول باسـتحداثها، « كمفهـوم (المعادلـة الموضـوعاتية) الـذي ارتأينـا تقديمـه صـياغةً شـاملة لبنيـة الموضـوع، مُدعَّمـةً بعصـارة الإنجـازات المنهجيـة الغربيـة والعربيـة فـي هـذا الشـأن. ومفهـوم (الجملـة الموضـوعاتية) الـذي جعلنـاه بـديلاً لمفهـوم (الـنص الكاشـف: texte révélateur) لـدى ج. ب. فيبـر، ومفهـوم (عقـدة جلجـامش) الـذي نـزعُم ابتكـاره»[2] . كمـا حـوى هـذا الكتـاب أيضًـا

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص10.

[2] المرجع السابق، ص12.

جانبًـا مـن الممارسـات التطبيقيـة لهـذا المـنهج النقـدي. فقـد قـام الناقـد عـام 2007 بمحـاولات تطبيقيـة لهـذا المـنهج علـى بعـض الـدواوين الشـعرية. المحاولـة التطبيقيـة الأولـى كانـت علـى مجموعـة " أناشـيد النصـر" لمحمـد الأخضـر السـائحي عـام 2006، والثانيـة حـول الهـاجس الإفريقـي فـي شـعر محمـد الفيتـوري عـام 1999، أمـا الثالثـة فقـد كانـت حـول عقـدة جلجـامش: رُهـاب المـوت ورُغـاب الحيـاة فـي جداريـة محمود درويش العام 2016.

سـنحاول فـي هـذا الفصـل الوقـوف بالتحليـل والدراسـة عنـد مجموعـة مـن المباحـث. أوّلهـا الجهـود النقديـة النظريـة الموضـوعاتية عنـد "يوسـف وغليسـي"، لنقـف عنـد مفهـوم النقـد الموضـوعاتي لديـه، ثـم سـنذكر المرجعيـات المعرفيّـة التـي اسـتند عليهـا الناقـد فـي تطبيـق هـذا المـنهج. أمـا بالنسـبة للمبحـث الثـاني فسـنقوم بمقارنـة بـين تجربـة " يوسـف وغليسـي " الموضـوعاتية والنمـاذج العربيـة الأخـرى. وفـي الأخيـر ستكون لنا رؤية نقديّة في تطبيق المنهج الموضوعاتي عند هذا الناقد.

1/ الجهود النقدية النظرية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي.

1/1 قراءة نقدية في كتابه " مناهج النقد الأدبي":

قـام الناقـد " يوسـف وغليسـي " فـي كتابـه الموسـوم بـ " منـاهج النقـد الأدبـي" الـذي تـم إصـداره سـنة 2007 بعـرض للمنـاهج النقديّـة الأدبيّـة المعروفـة فـي السـاحة النقديّـة، وفـي ذلـك يقـول:« ... ولكننـي أزعـم أنّنـي اجتهـدت قلـيلاً فـي سـبيل تقـديم عمـل يشـمل مجمـل المنـاهج التـي تَنـتظم الفعـلَ النقـديَّ العربـي؛ إذ قـدّمتُ أحـد عشـر منهجًـا (عسـى أن أردفهـا بمنـاهج أخـرى: الأسـطوري، النسـائي، الثقـافي)»[1]. وقـد كـان للمـنهج الموضـوعاتي نصـيب مـن الاهتمـام فـي هـذا الكتـاب، فأشـار فـي البدايـة إلـى كثـرة مُسـميات هـذا المـنهج النقـدي فـي العـالم العربـي:« تعـدّدت تسـميات هـذا المـنهج،

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص6.

فتتـــراوح بـــين (الموضـــوعاتية) و(التيميـــة) و(الظاهراتيـــة) و(الغرضـــية) و(الأغراضـــية) و(الجذريـــة) و(المداريـــة) ...، وقـد تَـرِدُ تسـميتُه مردفـةً بوصـف منهجـي آخـر، فيُقـال (الموضـوعية البنيويـة)»[1]. والكـلام عـن تعـدد تسـميات المـنهج الموضـوعاتي فـي عالمنـا العربـي، يُبـرز "وغليسـي" بشـكل واضـحٍ أزمـةً تتخـبّط فيهـا منظومتنـا النقديّـة العربيـة وهـي أزمـة المصـطلح التـي تُشـكّل عائقًـا كبيـرًا فـي التعـاطي مـع المصـطلحات الجديـدة الوافدة إلينا من العالم الغربي.

نحـن هنـا لا نُقـرّ بوجـود فقـر لغـوي عنـدنا وإنّمـا نـرى بعـدم وجـود اتفـاق مـن طـرف المُتخصصـين فـي مجـال الدراسـات النقديّـة علـى التسـمية الصـحيحة والترجمـة المناسـبة لهـذه المصـطلحات النقديّـة. لـذلك نجـد الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي مؤلَّفـه "منـاهج النقـد الأدبـي" قـد قـام بعمليـة إحصـائية شـملت كـل التسـميات التـي أتـى بهـا النقّـاد العـرب كمقابـل لمصـطلح "الموضـوعاتية"، الأمـر الـذي يُبـيّن وجـود تضـارب بيـنهم فـي ترجمـة هـذا المصـطلح، فـذكر لنـا أنّ كـل مـن ("عبـد الكـريم حسـن" فـي كتابـه الموسـوم بـ "الموضـوعاتية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السـياب"، و"محمـد مرتـاض" فـي كتابـه " الموضـوعاتية فـي شـعر الطفولـة الجزائـري " يـذهبان إلـى أنّ مـا يقابـل هـذا المصـطلح هـو مصـطلح " الموضـوع ". فـي حـين يـراه كـلّ مـن "حميـد لحمـداني" فـي كتابـه "سـحر الموضـوع"، و" محمـد عنـاني" فـي كتابـه "المصـطلحات الأدبيـة الحديثـة"، و" يُمنـى العيـد" فـي مؤلَّفهـا "فـن الروايـة العربيـة" يُقابـل مصـطلح "التيمة".

لقـد ذهـب أيضًـا كـلٌّ مـن "عبـد السـلام المسـدي" فـي كتابـه " قـاموس اللسـانيات" إلـى مقابلتـه بمصـطلح "المضـمون"، فـي حـين نجـد هـذا المصـطلح يقابـل مصـطلح "الموضـوعة" عنـد كـل مـن "عبـد الفتـاح كيليطـو" فـي مؤلَّفـه " الغائـب" و" لطيفـة زيتـوني" فـي كتابهـا "معجـم مصـطلحات الروايـة")[2]. وعلـى إثـر هـذا التضـارب بـين النُقـاد فـي إيجـاد مقابـل لمصـطلح " الموضـوعاتية " يُقـرّ الناقـد " يوسـف

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص147.

[2] المرجع السابق، ص152 و153.

وغليسـي" بوجـود تعثّـر فـي تلقـي هـذه المُقاربـة النقديّـة فـي مرحلتهـا الأولـى فـي السـاحة النقديّـة العربيّـة:« المؤكّـد، فـي البـدء، أنّ هـذا الخطـاب قـد تعثّـر فـي العتبـة الأولـى، وأخفـق فـي العثـور علـى المصـطلح المفتـاحي(المتفق عليـه) الـذي يُتـيح لـه الولـوج المنظم إلى أعماق المنهج النقدي»[1].

يُحـاول الناقـد "يوسـف وغليسـي" أنّ يجمـع بـين المـنهج البنيـوي والمـنهج الموضـوعاتي فـي مقاربـة نقديـة واحـدة عنـدما يقـول:« إنّ المُشـكلة الجوهريـة التـي ينبغـي أنّ تجابـه التأويـل الموضـوعاتي هـي إمكانيـة النجـاح فـي الكـلام عـن الموضـوعات أو الأفكـار ضـمن الأدب دون اختـزال خصوصـية الأدب، أي دون أن نحيلـه إلـى مجـرد نظـام بسـيط مـن الترجمـة، وهـي نفسـها مشـكلة أحقيـة الموضـوعاتية بالانتماء إلى البنيوية في تقديرنا»[2].

ومـن منظورنـا أنّ مـا ذهـب إليـه " يوسـف وغليسـي" بـالقول أنّ الموضـوعاتية كمـنهج نقـدي تنتمـي إلـى المـنهج البنيـوي، فهـذا اسـتنباط غيـر وارد حتـى عنـد أعـلام المـنهج الموضـوعاتي فـي العـالم الغربـي. ثـم أنّ هـذه المزاوجـة بـين المنهجين بهـذا الشـكل تـوحي بوجـود قصـور فـي المـنهج، الأمـر الـذي يجعـل منـه يتكـئ علـى مـنهجٍ آخـر فـي دراسـة الأعمـال الأدبيّـة، مـع أنّ هـذه الفكـرة قـد تبلـورت لـدى "عبـد الكـريم حسـن" ((فهـو يـرى أنّ منهجَـه موضـوعاتيٌّ لأنّـه بحـث فـي الموضـوع، وهـو بنيـوي لأنّـه يكتشـف البنيـة التـي تتشـابك فيهـا هـذه الموضـوعات الشـعرية))[3]. مـع أنّ هـذه الفكـرة كُنـا قـد بيّنـا فيهـا وجهـة نظرنـا فيمـا سـبق، فـالمنهج الموضـوعاتي مـنهج قـائم بذاتـه، لـه مـن الأدوات والآليـات مـا يسـمح لـه بدراسـة الأعمـال الإبداعيـة، دراسـةً موضوعاتية.

[1] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق ، ص 151.

[2] المرجع السابق، ص148.

[3] المرجع السابق، ص160.

2/1 قراءة نقدية في كتابه " النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية":

إلـى جانـب المُؤَلَـف المشـار إليـه سـابقًا، نجـد للناقـد "يوسـف وغليسـي" كتابًـا آخـر وهـو الكتـاب الموسـوم بــ" النقـد الجزائـري المعاصـر مـن اللانسـونية إلـى الألسـنية ". وقـد تعـرّض الناقـد فيـه كـذلك إلـى المنـاهج النقديـة، حيـث قسّـمها إلـى منـاهج سـياقية وأخـرى نصّـانية، فصـنّف المـنهج الموضـوعاتي ضـمن المنـاهج النصّـانية، ثـم راح يتحـدّث عـن علاقـة هـذا المـنهج بالفلسـفة الظواهريـة وعـن ذلـك يقـول:« إنّ صـلة الـرحم قويـة بـين الفلسـفة الظواهريـة والنقـد الموضـوعاتي، فـلا عجـب أن يـرد " المـنهج " موسـومًا باسـم فلسـفته فـي بعـض التنظيـرات النقديّـة. حيـث نعثـر علـى مثـل هـذا التـزاوج عنـد كـل مـن "ميجـان الرويلـي" و"سـعد البـازغي" فـي كتابيهـا المشـترك " دليـل الناقـد الأدبـــي" اللـــذين يصـــطلحان عليـــه باســـم "النقـــد الظـــاهراتي/ الفينومينولـــوجي Criticism Phenomenological»[1].

قـام الناقـد بتحديـد اتجـاهين مختلفـين للمـنهج الموضـوعاتي، اتجـاه موضـوعاتي بنيـوي، وآخـر موضـوعاتي جـذري، وقـد عبَّـرَ عـن ذلـك بقولـه:« وسـعيًا وراء تحديـد المسـاحة (الهيوليـة) الفضفاضـة التـي يحتلّهـا النقـد الموضـوعاتي، يجـدر بنـا أن نقتـرح التمييز ـ في نطاقه ـ بين اتجاهين أساسيين:

أـــ اتجـــاه أول: يمكـــن تســـميته بالموضـــوعاتية البنيويـــة، ويرفـــد ممارســـات "ج. ب. ريشـار" بصـورة خاصـة، والتـي تنحـو نحـوًا بنيويًـا ظـاهرًا، إذ يسـعى إلـى اقتنـاص تفرّعـات (الموضـوع) مـن خـلال الإلمـام بتواترهـا فـي بنيـة الـنص والتعويـل ــ فـي سـبيل ذلـك ــ علـى الإحصـاء تعـويلاً كبيـرًا ... وسـنرى أنّ الناقـد عبـد الكـريم حسن هو رائد هذا الاتجاه في الوطن العربي.

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة الثقافة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، ص170.

ب ـــ واتجـــاه ثـــانٍ: يمكـــن تســـميته بالموضـــوعاتية الجذريـــة لعـــلّ ممارســـات "ج. ب. ويبـر" أن تعطـي صـورة جليّـة لـه، وهـو اتجـاه بعيـد الغـور فـي مدرسـة التحليـل النفســي، حيـث يغـدو الاصـطلاح الموضـوعاتي ضـمنه، وفـي منظـور "ج. ب. ويبـر" عبـارة عـن حـدث ينـتج مـن جـراء صـدمة تعـود إلـى الشـباب ـ إن لـم نقـل طفولـة الكاتب ـ »[1].

فبمثـل هـذا القـول يمكـن أنّ نسـجّل منهجـين ضـمن مـنهجٍ واحـدٍ، ونعتقـد أنّ الناقـد "يوسـف وغليسـي" يرمـي بالاتجـاه الثـاني (الموضـوعاتية الجذريـة) إلـى المـنهج النفسـاني الـذي يصـنَّف ضـمن المنـاهج النقديّـة السـياقية، وعلـى هـذا الأسـاس يبـدو الناقـد ميـالاً إلـى الاتجـاه الأول(الموضـوعاتية البنيويـة) القـائم علـى تتبـع الموضـوعات وتفرعاتهـا فـي العمـل الإبـداعي، وهـي طريقـة عمـل الناقـد "عبـد الكـريم حسـن". ولعـلّ هـذا مـا يتّضـح فـي قولـه:« فـي الواقـع إنّ الخطـاب النقـدي العربـي ظـلّ خلـوًا مـن الموضـوعاتية (التـي تتحـرز بعـض الشـيئ فـي إطـلاق صـفة المـنهج عليهـا) بالشـكل الـذي كنّـا نخـوض فيـه، إلاّ مـع بدايـة الثمانينيـات مـن هـذا القـرن، ولعـلّ كتـاب (الموضـوعاتية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السـيّاب) للـدكتور عبـد الكـريم حسـن هـو فاتحة عهدنا الرسمية بهذا الشأن»[2].

ثـم نجـد الناقـد "يوسـف وغليسـي" يقـف عنـد عمـل الناقـد "محمـد مرتـاض" الموسـوم بـ " الموضـوعاتية فـي شـعر الطفولـة الجزائـري". فأشـار إلـى أنّ هـذا العمـل يُعتبـر« أول ممارسـة جزائريـة تفصـح عـن انتمائهـا المنهجـي إلـى الموضـوعاتية، وتسـلّم نفسـها إلـى مفـاتيح مثـل هـذه الممارسـات البكـر، فصـاحبها يُفصـح ـ فـي المقدمـة ـ عـن هويتـه المنهجيـة الموضـوعاتية»[3]. وهـذا مـا يتجلـى فـي مثـل قولـه:« ونظـرًا إلـى تعـدد القصـائد التـي تحتـوي عليهـا كـلّ مجموعـة شـعرية، فقـد ارتأينـا أنّ تكـون دراسـتنا لهـذه الـدّواوين موضـوعاتية، وذلـك برصـد القصـائد التـي تنضـوي تحـت محـور واحـد»[4].

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق ، ص170 و 171.

[2] المرجع السابق، ص171.

[3] المرجع السابق، ص175.

[4] محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة، مرجع سابق، ص11.

فالناقـد "محمـد مرتـاض" إذًا تبنـى المـنهج الموضـوعاتي فـي دراسـته لمجموعـة مـن الـدووين الشـعرية الموجَّهـة للأطفـال وهـي الـدواوين الأربعـة، (الفرحـة الخضـراء) لصـاحبها مصـطفي الغمـاري، و(البـراعم النديّـة) لمحمـد ناصـر، و(حـديث الفصـول) لحـرز الله بوزيـد، و(بسـمات) لصـاحبها يحـي مسـعودي. وقـد أشـار الناقـد إلـى أن "محمـد مرتـاض" قـد اعتمـد فـي عملـه هـذا علـى إجـراءات المنهجـين الإحصـائي والبنيـوي، لكـنّ توظيفـه لآليـات المـنهج الموضـوعاتي كانـت محـدودة:« وإذا كـان المؤلـف قـد أفـاد مـن بعـض الإجـراءات المنهجيـة الإحصـائية والبنيويـة التـي اسـتوحاها ــ بصـورة خاصـة ــ مـن كتـاب شـقيقه عبـد الملـك مرتـاض (بنيـة الخطـاب السـردي)، فـإنّ إفادتـه مـن مرجعيـات النقـد الموضـوعاتي كانـت محـدودة جـدًّا ولا تكـاد تـذكر»[1]. والجـدير بالـذكر هنـا أنّ الناقـد " يوسـف وغليسـي" هـو نفسـه سـار علـى هـذا الـنهج فـي محاولاتـه التطبيقيـة للمـنهج الموضـوعاتي علـى دواويـن كـل مـن الشـاعر محمـد الأخضـر السـائحي، ومحمـد الفيتـوري، وكـذا الشـاعر محمـود درويـش. وسـيأتي بيـان ذلك في الحديث عن جهوده التطبيقية الموضوعاتية.

3/1 قراءة نقدية في كتابه " التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري":

يُعـد كتـاب" التحليـل الموضـوعاتي للخطـاب الشـعري: بحـث فـي ثوابـت المـنهج، وتحولاتـه العربيـة، ومحـاولات لتطبيقـه للناقـد " يوسـف وغليسـي" عمـلاً يجمـع بـين التنظيـر للمـنهج الموضـوعاتي، ويكشـف عـن بعـض الممارسـات التطبيقيـة التـي قـام بهـا الناقـد علـى هـذا المـنهج. وسـنقف هنـا عنـد القسـم النظـري فقـط، أمـا القسـم التطبيقـي فسـيأتي حـديث عنـه فيمـا بعـد. خـصّ الناقـد كتابـه هـذا فـي المقدمـة بالحـديث عـن قلـة تنـاول هـذا المـنهج فـي الدراسـات النقديّـة العربيـة. وقـد أكّـد الناقـد أنّ هـذا المـنهج قليـل الحـظ والحضـور، حيـث يصـرّح:« يبـدو المـنهج الموضـوعاتي واحـدًا مـن أنـدر المنـاهج حظـوة وحضـورًا، وأقلّهـا اسـتعمالاً فـي الممارسـات النقديـة العربيـة، وأكثرهـا التباسًـا واستعصـاءً لـدى جمهـور البـاحثين العـرب، مثلمـا يبـدو النقـد العربـي المعاصـر حـديث العهـد بهـذا المـنهج، سـيّئ الحـظ منـه؛ إلـى درجـة أنّ سـائر المنـاهج

[1] يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، مرجع سابق، ص178.

يصـطفّ بعضـها وراء بعـضٍ فـي عمـوم الكتـب العربيـة التـي تُمـنهج النقـد وتنظّـر لمفاهيمـه وتـؤرّخ لـرواده وتعـرّف بمناهجـه وتستحضـر تطبيقاتهـا وتحـاول تيسـير كيفيـات اسـتعمالها وتعليمهـا؛ فتشـير إلـى جـلّ مـا يـروج فـي صـندوق النقـد الأدبـي مـن منـاهج نقديـة متعـددة، لكنهـا لا تكـاد تتـبسُ ببنـت شـفة منهجيـة موضـوعاتية، حيـث لا مكـان لهـذا المـنهج حتـى فـي أهـم كتـب المنـاهج النقديّـة وأشـهر مـدوّنات نقـد النقـد العربيـة وأشـدّها رواجًـا وأغناهـا معرفـة »[1]. يحـاول الناقـد " يوسـف وغليسـي" فـي هـذا القـول أنّ يُقـر بحقيقـة مفادهـا أنّ المـنهج الموضـوعاتي لـم يصـل إلـى مصـاف المنـاهج النقديّـة الشـهيرة فـي السـاحة النقديـة، فهـو لا يـزال يُعـاني التجاهـل وصـرف النظـر عنـه، لمـا يتميّـز بـه مـن ضـبابية وغمـوض، والحقيقـة أنّ الدراسـات النظريـة والتطبيقيـة التـي أنجـزت فـي مجـال النقـد الموضـوعاتي غيـر كافيـة للإحاطـة بـه إحاطـة شـاملة، كمـا أنّ الـبعض منهـا ينحـرف عـن الاتجـاه الصـحيح لهـذا المـنهج النقـدي فيجعلـه يـتلامس مـع المناهج التي سبقته سيّما المنهجَين البنيوي والسايكولوجي.

لقـد جعـل الناقـد مُؤَلَفـه هـذا فـي ثلاثـة أقسـام، حيـث خـصّ القسـم الأول بالحـديث عـن المفـاهيم والأعـلام المتعلقـة بـالمنهج الموضـوعاتي، فـي حـين قـام فـي القسـم الثـاني بالكشـف عـن تحـوّلات الموضـوعاتية فـي النقـد العربـي المُعاصـر، أمـا القسـم الثالـث فقـد كـان للجانـب التطبيقـي. وسـنقف هنـا بالدراسـة والتحليـل عنـد القسـمين الأول والثـاني، أمـا الحـديث عـن القسـم الثالـث فسـتكون لنـا وقفـة عنـده فـي المبحـث الثـاني الـذي خصصناه للحديث عن الجهود التطبيقية للناقد " يوسف وغليسي".

للناقـد " يوسـف وغليسـي" تصـّور للمـنهج الموضـوعاتي لا يبتعـد كثيـرًا عـن المفهـوم الـذي يُقدمـه الـدكتور " عبـد الكـريم حسـن "، مـع اخـتلافٍ بسـيط بينهمـا، حيـث يُفصـح القسـم الأول مـن هـذا الكتـاب الـذي يبحـث فـي الثوابـت المفاهيميـة للمـنهج الموضـوعاتي وخصائصـه عـن هـذا التصـوّر الـذي تجلّـى للناقـد مـن خـلال قراءاتـه للمفـاهيم الغربيـة والعربيـة لهـذا المـنهج، حيـث تبـدّى لـه أنّ:« المـنهج الموضـوعاتي، عمومًـا مـنهج يُلاحـق موضـوعات الأثـر الأدبـي وتفرعاتهـا الموضـوعاتية، بطرائـق

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص7.

إجرائيــة مختلفــة مــن ناقــد لآخــر، لإدراك العــالم التخيّلــي للأديــب فــي اتصــاله بوعيــه الـذاتي»[1]. فـي حـين يـرى غيـرُه مـن النُقـاد أنّ المـنهج الموضـوعاتي هـو بحـث عـن النـواة المُشـكلة للـنص، والكشـف عـن تعـديلاتها المسـتمرة، وهـذا مـا ظهـر عنـد الناقـد " محمـد السـعيد عبـدلي" وقـد سـبق الحـديث عـن ذلـك فـي معـرض حـديثنا عـن الجهـود النظريـة والتطبيقيـة لهـذا الناقـد، ولابـد أن نُشـير إلـى أنّ الناقـد " يوسـف وغليسـي" قـد حـدد سـلفًا هــذا المســار الثــاني الــذي يســلكه النقــد الموضــوعاتي والــذي أطلــق عليــه تســمية " الموضـوعاتية الجذريـة "، لكنـه مـن الواضـح أنّـه لـم يقتنـع بهـذا المسـار، لـذلك نجـده قـد ســلك المســار الموضــوعاتي الأول الــذي جــاء بــه " عبــد الكــريم حســن " وهــو " الموضوعاتية البنيوية ".

ثــم يخــتم " يوســف وغليســي" تحديــده لمفهــوم الموضــوعاتية كمــنهج نقــديٍّ بخلاصــة نجتــزئ منهــا:« الموضــوعاتية مــنهج متغيّــر، ثابتُــهُ المركــزيُّ الانطــلاقُ مــن مفهـوم معـيّن للموضـوع، واتّخـاذه مرتكـزًا إجرائيـا للتحليـل الموضـوعاتي»[2]. ولـذلك جمـع لنــا الناقــد " يوســف وغليســي" بعــض المفــاهيم المتعــددة التــي جــاء بهــا النقــاد لكلمــة الموضــوع فــذكر أنّ "جــان بيــار ريشــار" يصــف الموضــوع بأنّــه:« مبــدأ تنظيمــي محسـوس، تصـوّر أو شـيء ثابـت، ينـزع العـالم ــ مـن حولـه ــ إلـى التشـكل والامتـداد. والأهـم فيـه هـو هـذه (القرابـة السـرية)، بتعبيـر "مالارميـه"، أي هـذه الهويـة الخفيـة (Identité cachée) التــي تتجلــى فــي مظــاهر متنوعــة»[3]. فــي حــين يــرى " جــان بـول ويبـر" أنّ الموضـوع هـو:« الأثـر الـذي تتركـه ذكـرى مـن ذكريـات الطفولـة فـي ذاكـرة الكاتـب »[4]. ولعـلّ هـذا التعريـف الأخيـر الـذي جـاء بـه "جـان بـول ويبـر" هـو المفهـوم الـذي دفـع بالناقـد " يوسـف وغليسـي" إلـى استحضـار المـنهج النفسـي فـي الدراسـة الموضـوعاتية، بحيـث أنّـه يـرى بوجـود عقـد نفسـية تكوّنـت لـدى المبـدع فـي

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص18.

[2] المرجع السابق، ص20.

[3] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، المرجع السابق، ص23

[4] يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، مرجع سابق، ص149.

مرحلـة الطفولـة، وهـي التـي تدفعـه إلـى الكتابـة فـي مواضـيع محـددة، بمعنـى أنّهـا تقيّـد عملية الإبداع ضمن زاوية مُعيّنة دون أخرى.

1/ 4 مفهوم النقد الموضوعاتي عند يوسف وغليسي.

فـي بدايـة حديثـه عـن المقاربـة النقديـة الموضـوعاتية، أشـار الناقـد " يوسـف وغليسـي" إلـى أنّ المـنهج الموضـوعاتي لـم ينـل القسـط الـوافي مـن الدراسـة النظريـة ولا حتـى الممارسـات التطبيقيـة لـه علـى الأعمـال الإبداعيـة، لـذلك نجـده يقـول:« يبـدو المـنهج الموضـوعاتي واحـدًا مـن أنـدر المنـاهج حظـوة وحضـورًا، وأقلّهـا اسـتعمالاً فـي الممارسـات النقديّـة العربيـة، وأكثرهـا التباسًـا واستعصـاءً لـدى جمهـور البـاحثين العـرب، مثلمـا يبـدو النقـد العربـي المُعاصـر حـديث العهـد بهـذا المـنهج، سـيّء الحـظّ منـه؛ إلـى درجـة أنّ سـائر المنـاهج يصـطفّ بعضـها وراء بعـضٍ فـي عمـوم الكتـب العربيـة التـي تُمـنهج النقـد وتنظّـر لمفاهيمـه وتـؤرّخ لـرواده وتعـرّف بمناهجـه وتستحضـر تطبيقاتهـا وتحاول تيسير كيفيات استعمالها وتعليمها.

إنّهـا تشـير إلـى جـلّ مـا يـروج فـي صـندوق النقـد الأدبـي مـن منـاهج نقديّـة مُتعـددة، لكنهـا لا تكـاد تنـبسُ ببنـت شـفة منهجيـة موضـوعاتية»[1]. وفـي هـذا القـول إقـرار بحقيقـة التنـاول القليـل لهـذه المقاربـة النقديّـة فـي الدراسـات النقديّـة الأدبيّـة النظريـة منهـا والتطبيقيـة، ولعـلّ السـبب فـي ذلـك علـى حـدٍّ قولـه يعـود إلـى مـا يتميّـزُ بـه هـذا المـنهج مـن غمـوضٍ واستعصـاءٍ عنـد أغلـب المتخصصـين فـي مجـال الدراسـات النقديّـة الأدبيّة.

تعـرّض الناقـد " يوسـف وغليسـي" أيضًـا إلـى نشـأة هـذا المـنهج، فصـرّح بـأنّ: « المـنهج الموضـوعاتي نشـأ فـي أحضـان الفلسـفة الظواهريـة، وتغـذى علـى أفكـار الفيلسـوف الفرنسـي" غاسـتون باشـلار(Gaston Bachelard)" (1884 ــ 1962) ونمـا وتطـوّر ابتـداء مـن سـتنيات القـرن العشـرين فـي بيئـة نقديـة فرنسـية أساسًـا، حملـت لـواءه جماعـة نقديـة سـمّت نفسـها مدرسـة جنيـف (Ecole DE Généve)، آمنـت

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص7.

بـــأنّ الـــنص الأدبـــي عـــالم تخييلـــي(Univers Imaginaire) مســـتقل عـــن الواقـــع المعيش يُجسد وعي النص»[1].

قـام الناقـد " يوسـف وغليسـي " كغيـره مـن النُقـاد بمحاولـة لتحديـد مفهـوم للنقـد الموضــوعاتي، وقــد خصّــه بــالمفهوم الآتــي:« المــنهج الموضــوعاتي، عمومًــا مــنهج يُلاحـق موضـوعات الأثـر الأدبـي وتفرعاتهـا الموضـوعاتية، بطرائـق إجرائيـة مختلفـة مـن ناقـد لآخـر، لإدراك العـالم التخيلـي للأديـب فـي اتصـاله بوعيـه الـذاتي»[2]. والحقيقـة أنّ هـذا المفهـوم الـذي قدّمـه الناقـد " يوسـف وغليسـي" يصـرف المـنهج الموضـوعاتي عـن مسـاره الصـحيح فـي اعتقادنـا، لأنّـه يـرى بـأنّ مهمـة النقـد الموضـوعاتي هـي ملاحقـة موضـوعات الأثـر الأدبـي، وقـد تجلّـت هـذه الفكـرة لـدى " يوسـف وغليسـي" كـذلك فـي معـرض حديثـه عـن جهـود الناقـد الجزائـري " شـريبط محمـد " حينمـا قـال: « وقـد حـاول الناقـد الجزائـري الآخـر "شـريبط أحمـد" فـي دراسـته " شـعرية الطفولـة فـي الشـعر الجزائـري المعاصـر" ضـمن كتابـه (مباحـث فـي الأدب الجزائـري المعاصـر)، أن يُحـاكي مـنهج "محمـد مرتـاض"، فوُفّـق فـي الإحاطـة بـأبرز موضـوعات النصـوص الشـعرية، لكنـه أخفـق فـي القـبض علـى شـعريتها، بـل لـم يكلّـف نفسـه شـيئًا مـن ذلـك، فكان الإخفاق ـ بالقياس إلى دراسة مرتاض ـ مضاعفًا»[3].

الحقيقـة أنّ روّاد هـذا المـنهج فـي العـالم الغربـي لا يُقـرون بهـذا المفهـوم الـذي جـاء بـه " يوسـف وغليسـي "، فـالمنهج الموضـوعاتي هـو بحـث عـن النـواة المُشـكّلة للعمـل الإبـداعي، أو بتعبيـر آخـر هـو رحلـة بحـثٍ فـي عـالم الـنص لمعرفـة نواتـه التـي انبثـق عنهـا، والكشـف عـن تعـديلاتها المسـتمرّة، وهـذا مـا يُفهـم مـن قـول" جـان بـول ويبـر": « إنّنـا نقصـد بالتحليـل الموضـوعاتي، المسـار الـذي يأخـذه البحـث لاكتشـاف الموضـوعاتية، وكـذا الكشـف عـن التجليـات التـي تتخـذها هـذه الموضـوعاتية فـي جميـع

[1] يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008، ص 152 و153.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص18.

[3] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ط1، 2007، ص13.

تفرعاتهـا فـي العمـل الأدبـي. إنّ القيـام بالتحليـل الموضـوعاتي للعمـل الأدبـي يعنـي إذن التوصّـل إلـى تجميـع هـذا العمـل حـول حـادث مـا يعـود إلـى مرحلـة الطفولـة، مـع إبـراز كيـف ينتشـر هـذا الحـادث فـي النصـوص الأخـرى للكاتـب»[1]. ومـع أنّ "ويبـر" يـرى بضـرورة إرجـاع كـل العمـل الإبـداعي إلـى حـادث وقـع للمبـدع فـي مرحلـة طفولتـه إلـى أنّ هـذه الفكـرة فيهـا وجهـة نظـر مختلفـة لـدى بعـض النُقـاد، وإلـى جانـب هـذا القـول نجـد الناقـد "محمـد السـعيد عبـدلي" يتحـدث عـن الرؤيـة المفهوميـة للنقـد الموضـوعاتي التـي جـاء بهـا "جـان بيـار ريشـار" فيقـول:« يوضـح هـذا النمـوذج طبيعـة القـراءة الموضـوعاتية التـي يمارسـها "ج. ب. ويبـر" وهـي قـراءة تبـدأ بتحديـد موضـوعاتية الـنص، ثـم القيـام بتتبعهـا عبـر تعـديلاتها التـي تتجلـى فيهـا فـي كـل مـرة، محققـة نمـو الـنص وتقدمـه حتـى اكتمالـه»[2]. ومـن خـلال هـذه التعـاريف حـدّد لنـا الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" طبيعـة الدراسـة النقديّـة الموضـوعاتية بقولـه:« أمـا الدقـة التـي نعنيهـا فتتمثّـلُ فـي انطـلاق الدراسـة الموضـوعاتية مـن "نـواة"، يمكـن أن تكـون مشـهدًا مركّبًـا مـن عـدة صـورٍ، أو مـن صـورة واحـدة، أو مـن أي عنصـرٍ محـدد مـن العناصـر التـي تكـوّن عـالم الـنص. فتعمـل الدراسـة علـى الكشـف عـن العناصـر الخفيـة لتلـك النـواة التـي تمثّل موضوعاتية النص لتحديدها.

نراهـا تقـوم بعـد ذلـك بتتبـع تحـولات هـذه الموضـوعاتية أو تعـديلاتها عبـر كامـل الـنص. وهـو عمـل يتطلـب جهـدًا كبيـرًا ودقـة متناهيـة وصـبرًا متواصـلاً»[3]. ففـي مثـل هـذه التعـاريف لا نجـد مـا يُـوحي بـأنّ النقـد الموضـوعاتي هـو تتبـعٌ واكتشـاف للموضـوعات الرئيسـية فـي النتاجـات الأدبيّـة. ومـن هنـا تبـدو صـورة المـنهج الموضـوعاتي غيـر واضـحة لـدى الناقـد "يوسـف وغليسـي" وهـذا مـا يُفهـم كـذلك مـن قولـه:« يتبـدى هـذا المـنهج ميـدانًا نقـديا هلاميًـا، بـلا هويـة منهجيـة واضـحة، تتـداخل فيـه مختلـف الـرؤى الفلسـفية والاتجاهـات النقديـة(الظاهراتيـة، الوجوديـة، التأويليـة، البنيويـة، التحليـل النفسـي،...) التـي تتضـافر فيمـا بينهـا، بغيـة التقـاط الموضـوعات

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 168.

[2] المرجع السابق، ص90 و 91.

[3] المرجع السابق، ص5.

المهيمنـة علـى النصـوص، فـي التحامهـا بالتراكيـب اللغويـة الحاملـة لهـا»[1]. فقـد تضـمن هــذا القــول وجــود ضــبابية وغمــوض لــدى الناقــد فــي معرفــة حقيقــة المــنهج الموضــوعاتي، وبخاصــة حينمــا يحصــر مهمــة النقــد الموضــوعاتي فــي الكشــف عــن الموضــوعات الرئيســية المهيمنــة فــي الأعمــال الإبداعيــة، وهــو عمــل يتنــافى وطبيعــة وظيفـة النقـد الموضـوعاتي. ويبـدو أنّ الناقـد "يوسـف وغليسـي" لـم يتعـرف علـى حقيقـة هـذه المقاربـة النقديّـة مـن معينهـا الأول، فهـو بحسـب مـا ورد فـي بعـض مؤلفاتـه التـي تتضـمن الحـديث عـن هـذا المـنهج النقـدي، قـد اعتمـد علـى مقاربـة الـدكتور " عبـد الكـريم حسـن " الموضـوعاتية والتـي تميّـزت بكثيـرٍ مـن العثـرات، وهـذا مـا سنكشـف عنـه في المبحث الموالي.

5/1 المرجعيات المعرفيّة في تطبيق المنهج الموضوعاتي عند يوسف وغليسي.

لكـل ناقـد أدبـي مرجعياتـه الفكريـة التـي ينهـل منهـا ويعتمـد عليهـا فـي بنـاء تصـوره النقـدي، والناقـد " يوسـف وغليسـي " كغيـره مـن هـؤلاء النُقـاد، فالحـديث عـن المرجعيـات الفكريـة التـي كـان لهـا تأثيرهـا فـي الفكـر النقـدي الموضـوعاتي (الوغليسـي) يقودنـا إلـى الحـديث عـن تـأثره بموضـوعاتية " عبـد الكـريم حسـن ". ويظهـر تـأثر الناقـد " يوسـف وغليسـي" بـالفكر النقـدي الموضـوعاتي للـدكتور " عبـد الكـريم حسـن" كبيـرًا، وقـد ظهـر ذلـك فـي العديـد مـن المواضـع فـي كتبـه التـي خصـها بالحـديث عـن هـذا المـنهج النقـدي، حيـث يقـول:« أمـا المجهـود الاسـتثنائي الجبـار الـذي قدمـه "عبـد الكـريم حسـن" فـي دراسـته لشـعر السّـياب فيحتـاج إلـى وقفـة متأنيـة، ذلـك أنّـه مجهـود ضـخم فـي حجمـه، رائـد فـي منهجيتـه، دقيـق فـي آلياتـه، متميـز فـي مسـلكه العـام»[2]. كمـا جـاء فـي معـرض حديثـه عـن حداثـة هـذا المـنهج فـي النقـد العربـي، بعـض مـا يُحيلنـا إلـى أنّـه يُشـيد بعمـل الناقـد "عبـد الكـريم حسـن"، والمعنـون بــ(الموضوعية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السّـياب) مـن قولـه:« لاشـك إذًا فـي أنّ الخطـاب النقـدي العربـي حـديث العهـد بــالمنهج الموضــوعاتي، ولعــل أول محاولــة عربيــة تصــدع بانتمائهــا إلــى أبجــديات

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص19.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام، مرجع سابق، ص32.

القـراءة الموضـوعاتية، ويُقـر لهـا عامـة نقـاد النقـد بـذلك، أن تكـون محاولـة الناقـد السـوري "عبـد الكـريم حسـن"، الموسـومة بـ(الموضوعية البنيويـة: دراسـة فـي شـعر السّـياب، الصـادرة سـنة 1983.)»[1]، كمـا أنّ " يوسـف وغليسـي " نفسـه لا يجـد حرجًـا فـي التصـريح بهـذه الحقيقـة، حيـث يقـول:« فـي سـنة 1999، أنجزنـا محاولـة موضـوعاتية ثانيـة حـول الهـاجس الإفريقـي فـي شـعر محمـد الفيتـوري، نشـرنا نسـختها الأولـى فـي مجلـة عـالم الفكـر الكويتيـة، سـنة 2003، ثـم عاودنـا نشـرها فـي هـذا الكتـاب بعـد كثيـرٍ مـن الزيـادة والتنقـيح. حاولنـا خلالهـا أن نمفصـل التيمـة الإفريقيـة الفيتوريـة إلـى جـزءين اثنـين متكـاملين: (موضـوع) معجمـي المظهـر، و(جـذر) سـيكولوجي المخبـر، محـاولين الاسـتفادة مـن موضـوعاتية عبـد الكـريم حسـن (كمـا فـي المحاولـة الأولى أيضًا)، مع رغبة صريحة في تجاوز عثراته المنهجية»[2].

نُلاحـظ فـي هـذا القـول تصـريحًا مـن الناقـد بإتباعـه لمسـلك " عبـد الكـريم حسـن" فـي الدراسـة النقديّـة الموضـوعاتية، القائمـة علـى الجانـب الإحصـائي للكلمـات المتـواترة بشـكل كبيـر فـي العمـل الأدبـي بغيـة الكشـف عـن الموضـوعات الرئيسـية والموضـوعات الفرعيـة الأخـرى. كمـا يُقـر الناقـد كـذلك بوجـود عثـرات منهجيـة فـي موضـوعاتية "عبـد الكـريم حسـن" ورغـم ذلـك يتّبعـه، ويتضـمن هـذا القـول كـذلك تصـريحًا بتجـاوز هـذه العثـرات ولكـن لا وجـود لـذلك التجـاوز فـي دراسـاته التطبيقيـة، فهـي محاكـاة موضـوعاتية مطابقـة تمامًـا لمـا جـاء عنـد الناقـد السـوري " عبـد الكـريم حسـن" وهـذا مـا سنكشـف عنـه لاحقًـا فـي دراسـتنا لمحـاولات " يوسـف وغليسـي" التطبيقيـة الموضـوعاتية علـى بعـض الأعمـال الأدبيـة، غيـر أنّـه يعيـب علـى "عبـد الكـريم حسـن" تسـميته لهـذا المـنهج بـ" المـنهج الموضـوعي":«... ولاسـيما أنّ (المـنهج الموضـوعي) الـذي يصـطنعه عبـد الكـريم حسـن كثيـرًا مـا يلتبس بمـا هـو غيـر ذاتـي، فيخـتلط الأمـر علينـا بـين هـذا المـنهج الـذي يـدرس الموضـوعات، وبـين ثنائيـة (الموضـوعي:Objectif) و(الـذاتي:Subjectif) التـي كثيـرًا مـا تواجهنـا فـي الفكـر

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام، مرجع سابق ، ص11.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص11.

الفلسـفي والاجتمـاعي»[1]. فـرغم إصـرار "يوسـف وغليسـي" علـى أنّ هـذا المـنهج يـدرس الموضـوعات، تكـون ملاحظتـه لهـذا التـداخل فـي هـذه التسـمية التـي جـاء بهـا " عبـد الكـريم حسـن" صـائبة ــ علـى حـد تقـديرنا ــ، غيـر أنّ اعتمـاده علـى مـنهج "عبـد الكـريم حسـن" فـي الجانـب الإحصـائي للموضـوعات الرئيسـية يبعـد المـنهج الموضـوعاتي عـن مساره الصحيح.

2/ الجهود النقدية التطبيقية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي:

قـام الناقـد "يوسـف وغليسـي" بـثلاث محـاولات تطبيقيـة للمـنهج الموضـوعاتي، المحاولـة الأولـى علـى قصـيدة الأطفـال عنـد الشـاعر محمـد الأخضـر السـائحي(تربوية الموضـوع وتقنياتـه البنيويـة)، أمـا الثانيـة فقـد كانـت علـى الهـاجس الإفريقـي فـي ثلاثيـة محمـد الفيتـوري، وقـد كانـت المحاولـة الثالثـة علـى عقـدة جلجـامش: رُهـاب المـوت ورُغـاب الحيـاة فـي جداريـة محمـود درويـش. وسـنقوم فيمـا يلـي بقـراءة نقديـة فـي محاولاته الثلاث.

1/2 قراءة في محاولته الأولى: قصيدة الأطفال عند الشاعر محمد الأخضر السائحي (تربوية الموضوع وتقنياته البنيوية).

1/1/2 هيمنـة موضـوع "الـوطن" فـي ديـوان (أناشـيد النصـر) عنـد محمـد الأخضـر السائحي:

يقـوم النقـد الموضـوعاتي عنـد الناقـد "يوسـف وغليسـي" بالكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي فـي العمـل الأدبـي، وهـي الطريقـة التـي اتّبعهـا فـي محاولتـه الأولـى والمتمثلـة فـي دراسـة موضـوعاتية لقصـيدة الأطفـال عنـد الشـاعر محمـد الأخضـر السـائحي تربويـة الموضـوع وتقنياتـه البنيويـة، حيـث توصّـل الناقـد مـن خـلال هـذه الدراسـة إلـى أنّ تيمـة (الـوطن) تُعـد كهـاجس مُهـيمن علـى نصـوص " السـائحي "، وفـي هـذا يقـول "يوسـف وغليسـي":« تـراءى لنـا أنّ (الـوطن) و(الطبيعـة) و(الأم) و(المدرسـة) هـي

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام، مرجع سابق، ص29.

التيمـات الأساسـية التـي تحـرك فضـاء الكتابـة الشـعرية الجزائريـة للأطفـال، وتكـاد تسـتبد بـــه وتشُـــده إليهـــا فـــي هيئـــة جـــذر تربـــوي أو هـــاجس نفســـي، فيمـــا تنفـــرد مجموعـــة (أناشـيد النصـر) للأسـتاذ السـائحي بموضـوع (الـوطن) هاجسًـا مُهيمنًـا علـى نصوصـها التســعة عشــر طاغيًــا عليهــا ســطحًا وباطنًــا، طافيًــا علــى مســاماتها المعجميــة ومسـاحاتها التركيبيـة»[1]. ثـم يتّضـح للناقـد "يوسـف وغليسـي" مـن خـلال فكـرة يسـتمدُّها مـــن الدكتور"عبـــد الكـــريم حســـن" مفادهـــا:« أنّ مـــن الوظـــائف البنيويـــة للموضـــوع الرئيسـي أنّـه هـو الـذي يفـرز بقيـة الموضـوعات ويولـدها بشـكل آلـي»[2]. وهـو يُشـير بهـذا القـول إلـى الموضـوعات الفرعيـة التـي تنبثـق عـن الموضـوع الرئيسـي، وعلـى إثـر ذلـك اهتـدى "يوسـف وغليسـي" إلـى أنّ (الثـورة) و(الطبيعـة) همـا موضـوعان تفرعـا عـن الموضـــوع الرئيســـي المتمثـــل فـــي تيمـــة (الـــوطن)، ثـــم أضـــاف إلـــى أنّ ثمـــة فُـــروع للموضـــوعات الفرعيـــة، فموضـــوع (ثـــورة التحريـــر) و(ثـــورة البنـــاء والتشـــييد) هـــي فـــروع للموضـــوعات الفرعيـــة تـــأتي فـــي الدرجـــة الثالثـــة، وهنـــاك فـــروع أخـــرى لفـــروع الفـــروع، وهكذا.

ولا يحيـد الناقـد " يوسـف وغليسـي" عـن طريقـة التشـجير للموضـوعات فـي دراسـته لـديوان الأطفـال للشـاعر السـائحي مـرة ثانيـة فـي جعـل الـوطن هـو الموضـوع الرئيســي فــي هــذا الــديوان، والكشــف كــذلك عمّــا يتفــرع عنــه مــن موضــوعات، ومــن خـلال هـذا العمـل الـذي قـام بـه الناقـد، اتّضـح لنـا أنّـه اقتفـى أثـر الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" فـي مقاربتـه الموضـوعاتية، والتـي تعتمـد علـى عنصـر الإحصـاء المعجمـي فـي حصـــر الموضـــوعات الرئيســـية وتحديـــد فروعهـــا. يقـــول الناقـــد:« وقـــد قادنـــا الجـــرد الإحصـائي لمعجـم المجموعـة الأولـى إلـى أنّ كلمـة (وطنـي) تتكـرر علـى امتـداد جميـع النصـوص إحـدى وسـبعين مـرة كاملـة، وهـي أعلـى نسـبة تـواتر معجمـي، فـإذا أضـفنا

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص162.

[2] عبد الكريم حسن، الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السياب، مرجع سابق، ص197.

إليهـا مفـردات أخـرى مـن العائلـة اللغويـة نفسـها (بـلادي، الأرض، الجزائـر، ...) بلغـت معدلاً ساحقًا»[1].

2/1/2 جماليات الوسيط وحضور المنهج السيميائي:

بعـد عمليـة التشـجير للموضـوعات مـن طـرف الناقـد "يوسـف وغليسـي" ينتقـل إلـى دراسـة سـيميائية لجماليـات الوسـيط، ويعنـي بـذلك دراسـة للكتـاب الـذي هـو عبـارة عـن الـديوان الشـعري للسـائحي، فتسـتهدف دراسـته مـثلاً جـودة الطبعـة ولـون الغـلاف، وغيـر ذلـك، فاسـتعمال الألـوان الأخضـر والأحمـر والأبـيض فـي الغـلاف الخـارجي للـديوان لهـا دلالتهـا فـي نظـر الناقـد، فهـذه الألـوان تُحيـل إلـى الرايـة الوطنيـة، وهـذا مـا يؤكـد حـب الـوطن، وهـو التيمـة المُهيمنـة علـى كافـة أناشـيد النصـر عنـد السـائحي. يقـول الـدكتور "يوسـف وغليسـي":« والوسـيط الـذي نحـن بصـدد الحـديث عنـه، فـي هـذا المقـام، هـو الكتـاب. فقـد صـدرت "أناشـيد النصـر"، ضـمن سلسـلة "شـموع"، فـي طبعـة أنيقـة جذابـة؛ غلافهـا الخـارجي مـن الـورق المقـوى المصـقول والملـون، مكتـوب عليـه اسـم المؤلِّـف "محمـد الأخضـر السـائحي" بخـط ديـواني أخضـر اللـون، وعنـوان المجموعـة "أناشـيد النصـر" بخـط ثلثـي أحمـر اللـون، سـابح فـي فضـاء أبـيض اللـون، فضـلا عـن زخرفـة فاتنـة خضـراء اللـون موزعـة علـى زوايـا الإطـار. ولـيس هـذا التشـكيل الـذكي اعتبـاطي الدلالـة، بـل لـه سـيميائيته الخاصـة التـي تحيـل علـى البنيـة الموضـوعاتية المتحـدَّث عنهـا قبـل قليـل؛ ذلـك أن هـذه الألـوان الثلاثـة (الأخضـر والأحمـر والأبـيض) هـي نفسـها ألـوان الرايـة الوطنيـة (العلـم الجزائـري)، وهـي علامـة مفتاحيـة دالـة علـى موضـوع "الـوطن" المهـيمن علـى كافـة الأناشـيد، وهـي فـي خدمتـه طبعًـا»[2]. والملاحـظ هنـا أنّ الناقـد " يوسـف وغليسـي" فـي هـذه الدراسـة الموضـوعاتية (بمفهومـه الخـاص لآليـات المـنهج الموضـوعاتي) قـد اسـتعان بـالمنهج السـيميائي، وهـو عمـل مقبـول لأنّ المـنهج الموضـوعاتي لا يقصـي غيـره مـن المنـاهج الأخـرى، بـل يستفيد منها متى أتيح له ذلك.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص162.

[2] المرجع السابق، ص166 و167.

كمـا يـولي الـدكتور "يوسـف وغليسـي" كـذلك فـي دراسـته النقديـة الموضـوعاتية لـديوان "السـائحي " جانبًـا آخـر وهـو المتعلـق بالبنيـة اللغويـة فهـو يـرى أنّـه لابـدّ أنّ تكـون اللغـة فـي مسـتوى القـارئ الـذي وُجهـت لـه هـذه الأناشـيد، ويقصـد بـذلك فئـة الأطفـال. فينبغـي الأخـذ فـي الحسـبان أنّ هـذه الفئـة ذات قـاموس لغـوي محـدود، لـذلك نجـد الناقـد يقـف عنـد البنيـة المعجميـة وحقولهـا الدلاليـة فـي لغـة " أناشـيد النصـر"، فقـد قسّـمها إلـى ثلاثـة حقـول دلاليـة، حقـل وطنـي وآخـر ثـوري وثالـث طبيعـي. أحصـى الناقـد مـثلاً فـي الحقـل الـوطني تكـرار كلمـة "وطنـي " فوجـدها قـد تكـرّرت إحـدى وسـبعين مـرة، فـي حـين تكـرّرت فـي الحقـل الثـوري كلمـة " ثـورة " باشـتقاقاتها اللغويـة اثنتـين وعشـرين مـرة، وفـي الحقـل الطبيعـي ركـزّ الناقـد اهتمامـه علـى جملـة مـن المفردات المستمدة من مرجعية الطبيعة الجزائرية، وجمالياتها الساحرة.

فـي هـذا العمـل نجـد الناقـد قـد اعتمـد علـى الجانـب الإحصـائي فـي حصـر المفـردات الأكثـر تـرددًا فـي مجموعـة أناشـيد النصـر للسـائحي مـن خـلال حقولهـا الثلاثـة، وهـو إجـراء غيـر فعّـال، لأنّ المفـردة الواحـدة مُتغيـرة الدلالـة مـن سـياق لآخـر. ثـم يصـف الناقـد لغـة "السـائحي" بهـذا الوصـف:« لغـة السـائحي، مـن منظـور تركيبـي، لغـة سـهلة منسـابة، لا تكـاد تتميّـز عـن اللغـة العاديـة إلاّ بوقعهـا المـنغَّم المـريح، تتكـئ علـى تراكيـب منطقيـة الإسـناد، يسـتقل كـلُّ بيـتٍ فيهـا (وأحيانًـا كـل شـطر) بجملـة مفيـدة: اسـمية الطـابع، أو فعليتـه، أو شـبه جملـة أحيانًـا»[1]، فهـذا الوصـف اللغـوي ـ فـي رأينـا ـ لا يـدخل فـي صـميم الدراسـة الموضـوعاتية، بقـدر مـا يمكـن إدراجـه ضـمن الدراسـة الأسـلوبية. وبعـد حديثـه عـن البنيـة اللغويـة، ينتقـل الناقـد "يوسـف وغليسـي" إلـى دراسـة البنية الإيقاعية في أناشيد "السائحي".

نـراه بعـدها يقـف عنـد البحـور الخليليـة التـي نظـم الشـاعر قصـائده علـى أوزانهـا، وذكـر منهـا الأوزان الصـافية التـي تقـوم وحـدتها التكراريـة علـى تفعيلـة مفـردة تتكـرر فـي كـل الأبيـات، ويسـتعين الناقـد فـي هـذه الدراسـة بالإحصـاء والنسـب المئويـة حيـث يـرى أنّ اثنتـين وأربعـين قصـيدة جـاءت منظومـة علـى البحـر الطويـل، فـي حـين نجـد سـتًّا

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص173.

وثلاثـين قصـيدة جـاءت علـى البحـر الخفيـف، وجـاءت ثلاثـون قصـيدة علـى بحـر المتقـارب. وهكـذا يقـوم الناقـد "يوسـف وغليسـي" بتصـنيف قصـائد "السـائحي" بحسـب أوزانهـا الخليليـة، ثـم يـرى بـأنّ مـا يُميّـز أناشـيد "السـائحي" أنّهـا لا تلتـزم القافيـة الواحـدة:« مـن المعـالم الإيقاعيـة الواضـحة فـي أناشـيد السـائحي، تلـك الحريـة المطلقـة التـي يتمتـع بهـا الشـاعر فـي تعاملـه مـع القافيـة التـي تظـل مولّـدًا إيقاعيًـا أساسـيًا فـي أناشـيد الأطفـال، حتـى إننـا لـم نعثـر، ضـمن (أناشـيد النصـر) كلهـا، علـى نشـيد واحـد ملتـزم بنظـام القافيـة المطـردة الموحـدة»[1]. ولازلنـا نـرى بـأنّ مثـل هـذه الدراسـة ليسـت مـن اختصـاص النقـد الموضـوعاتي، بـل تنـدرج ضـمن الدراسـة الأسـلوبية التـي لـم تظهـر لهـا أية إضافة إلى الدراسة الموضوعاتية.

3/1/2 جذور الموضوع في سيكولوجية السائحي:

يفـتّش الناقـد ضـمن هـذا المبحـث عـن تجلـي الأحـداث الطفوليـة فـي النتـاج الأدبـي للشـاعر محمـد الأخضـر السـائحي، لـذلك نجـد الناقـد يطـرح هـذا التسـاؤل:« مـا الـذي يجعـل السـائحي الشـيخ، وهـو فـي أرذل عمـره الشـعري، يرتـدّ إلـى طفولتـه، فـيخصّ الأطفـال بهـذا الفـيض مـن الأناشـيد، بعـد عمـرٍ شـعري مـع الكبـار؟»[2]. فالناقـد مـن خـلال هـذا التسـاؤل يُحـاول أن يكشـف عـن الـدواعي التـي جعلـت الشـاعر يكتـب للأطفـال الصـغار، و لعـلّ هـذا الأمـر يعـود بنـا إلـى طفولـة الشـاعر، حيـث نسـتذكر هنـا أنّ السائحي قد طُعن في وطنيته حينما انضم إلى مجلة "هنا الجزائر".

وقـد كانـت هـذه المجلـة تلقـى الـدعم والتمويـل مـن طـرف السّـلطة الاسـتعمارية، لـذلك يـرى الناقـد "يوسـف وغليسـي" أنّ هـذه الـذكرى هـي المحـرك الرئيسـي لموضـوع الـوطن فـي شـعر السـائحي، كمـا نجـد الشـاعر ـ بحسـب مـا ذهـب إليـه الناقـد وغليسـي ـ يرجـع إلـى الطفولـة التـي تمثّـل بالنسـبة إليـه عـالم البـراءة قصـد الهـروب مـن تهمـة الانـدماج، ولـذلك يعتبـر الناقـد "وغليسـي" هـذا الفعـل نكـوص وهـروب مـن الحاضـر حينمـا يقـول:« لعـلّ عـودة السـائحي إلـى طفولتـه وتغنّيـه بالموضـوع الـوطني فـي ماضـيه

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص179.

[2] المرجع السابق، ص 184.

الثـوري، بـل لعـلّ العـودة إلـى الطفولـة بصـورة مطلقـة، والتخصّـص فـي الكتابـة الشـعرية للأطفـال (وهـو فـي شـيخوخته)، نكـوص (regression) بمفهـوم يجعلـه يـرتبط ارتباطـا نفسـيا وثيقـا بمـا يسـمى "التثبيـت" (fixation)؛ حيـث يحـاول العُصـابي الارتـداد إلـى ماضـيه، فـرارًا مـن حاضـره، فيتوقـف عنـد حياتـه الطفوليـة البريئـة ويسـعى إلـى تثبيتهـا، كمـا يفعـل السـائحي حـين يعـود إلـى زمنـه النضـالي الـوطني البعيـد ويحـاول إيقافـه وتثبيتـه، فـرارًا مـن زمـن الصـدمة/التهمة، ولأنّ "التثبيـت هـو مصـدر الكبـت" فـإنّ ذلـك يعنـي رغبـة السـائحي فـي "كبـت" التهمـة»[1]. وهنـا لابـدّ لنـا أن نُشـير كـذلك إلـى أنّ هـذا البحـث النقـدي الموضـوعاتي الـذي مـسّ عـالم طفولـة السـائحي مـن طـرف الناقـد "وغليسـي" هـو فـي الحقيقـة المـنهج الـذي جـاء بـه "جـون بـول ويبـر" فيمـا يسـمى "الـذكرى الموضـوعاتية" حيـث يسـتعرض الناقـد الموضـوعاتي طفولـة الأديـب ومـدى حضـورها فـي نتاجاتـه الأدبيـة، فـالمنهج الموضـوعاتي يهـتم بطفولـة بعـالم الطفولـة ليتعـرف علـى الموضـوعاتية فقـط، ولـيس لكـي يـدرس هـذه الطفولـة فـي حـدّ ذاتهـا، علـى اعتبـار أنّ الموضـوعاتية تتكـوّن فـي مرحلـة الطفولـة، ولعـلّ الناقـد "وغليسـي" قـد ذهـب بعيـدًا فـي تعليـل اهتمـام "السـائحي" بأشـعار الطفولـة بحيـث يمكـن أن يكـون مـردّ هـذا الاهتمـام إلـى الرغبـة فـي الاسـتحواذ علـى جمهـور جديـد وفئـة عمريـة جديـدة تضـمن لشعره البقاء والانتشار كدأب "شوقي" و"سليمان العيسى" في أواخر عُمريهما.

يمكـن القـول فـي ختـام هـذه القـراءة النقديـة أن نُشـير إلـى أنّ الناقـد " يوسـف وغليسـي" فـي محاولتـه الأولـى هـذه والمتمثلـة فـي دراسـة موضـوعية وليسـت دراسـة موضـوعاتية لقصـيدة الأطفـال عنـد محمـد الأخضـر السـائحي (تربويـة الموضـوع وتقنياتـه البنيويـة) قـد حـاول تطبيـق المـنهج الموضـوعاتي فـي ضـوء مـا نقلـه عـن تجربـة الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" الموضـوعاتية، حيـث تغـدو الدراسـة الموضـوعاتية عنـده كشـفًا عـن الموضـوع الرئيسـي المهـيمن فـي العمـل الأدبـي، كمـا نجـد للإحصـاء دورًا هامًـا فـي الكشـف عـن الوحـدات المعجميـة الأكثـر تـرددًا فـي الـنص، وهـي طريقـة عمـل قـد تجانـب الصـواب أحيانًـا لتغيّـر مـدلول الوحـدات المعجميـة مـن سـياق إلـى آخـر،

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص187.

لـذلك فقـد جـاءت هـذه الدراسـة للموضـوع ولـيس للموضـوعاتية، التـي هـي النـواة المشـكّلة للعمـل الأدبـي، كمـا أنّ الناقـد قـد اسـتعان بآليـات منـاهج أخـرى كـالمنهج البنيـوي والنفسـاني، حينمـا حـاول ربـط شـعرية الـنص بالموضـوع الرئيسـي أو المهـيمن، فقـد أراد إثبـات جماليـة الـنص، كمـا حـاول الناقـد أنّ يجـد تفسـيرًا لحضـور موضـوع دون آخـر فـي العمـل الأدبـي مـن خـلال دراسـته لطفولـة الشـاعر، فتحوّلـت الـذكريات الطفوليـة الجميلـة إلـى مواضـيع مهيمنـة فـي النصـوص الشـعرية التـي خـصّ السـائحي بهـا الأطفال.

وهنـا يبـدو أنّ الناقـد "يوسـف وغليسـي" أراد أن يسـير فـي ركـاب "جـون بـول ويبـر" غيـر أن الرؤيـة النقديـة الموضـوعاتية لـدى "جـون بـول ويبـر" مـن ناحيـة الحـدث الطفـولي كونـه هـو المحـرك للعمـل الأدبـي، لـم تتضـح بشـكل جلـي لـدى الناقـد "يوسـف وغليسـي" بحيـث يبحـث هـذا الأخيـر عـن الحـدث الطفـولي باعتبـاره عقـدة نفسـية، وهـذا مـا جعـل دراسـة الناقـد "وغليسـي" تميـل إلـى التحليـل النفسـاني لا إلـى التحليـل الموضـوعاتي ودليلنـا فـي ذلـك تبريـر نـزوع الشـاعر فـي أواخـر عمـره إلـى بـواكير هـذا العمر وماغَمره من غمزات.

2/2 قراءة في محاولته الثانية: الهاجس الإفريقي في ثلاثية محمد الفيتوري.

قـام الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي محاولتـه الثانيـة بتطبيـق آليـات المـنهج الموضـوعاتي علـى المدونـة الشـعرية للشـاعر "محمـد الفيتـوري" سـاعيًا فـي ذلـك إلـى إبـراز هـوس الشـاعر بالموضـوع الإفريقـي، وفـي ذلـك يقـول:« فمـن (أغـاني إفريقيـا) إلـى (أحـزان إفريقيـا)، مـرورًا بـ(عاشق مـن إفريقيـا) و(أذكرينـي يـا إفريقيـا) تمتـد الأزمنـة وتتعـدّد الأمكنـة، ولكـن "الهـاجس الإفريقـي" يظـل واحـدًا، يُلاحـق الشـاعر ويطـارده كظله ولا يزيده تطور التجربة الشعرية إلاّ ثباتًا ورسوخًا»[1].

هـذه إشـارة إلـى أنّ الشـاعر "محمـد الفيتـوري" قـد جعـل مـن أفريقيـا موضـوعًا رئيسـيًا مُهيمنًـا فـي كـل نصوصـه الشـعرية. وقـد أورد فـي بدايـة دراسـته التطبيقيـة هنـا قـولاً نصّـه: «المـنهج الموضـوعاتي مـنهج مركـب ــ بطبيعتـه ــ مـن مرجعيـات متعـددة (أبرزهـا البنيويـة والنفسـانية)، كمـا تشـهد علـى ذلـك الممارسـات النقديـة المختلفـة لأقطـاب هـذا المـنهج (جـون بيـار ريشـار وجـون بـول فيبـر فـي فرنسـا) وعبـد الكـريم حسـن فـي الـوطن العربـي»[2] وبـالرجوع إلـى بعـض المفـاهيم التـي جـاء بهـا كـل مـن "جـون بـول ويبـر" و"جـان بيـار ريشـار" نجـد أنّهمـا يسـتبعدان هـذه الفكـرة التـي يُصِـرُّ عليهـا الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي كـون المـنهج الموضـوعاتي هـو تركيـب بنيـوي نفسـاني، وهـذا مـا يُفهـم مـن قـول الدكتور"محمـد السـعيد عبـدلي" الـذي نصـه:« يتبـين لنـا خـلال هـذه الآراء التـي استعرضـناها لـرواد المـنهج الموضـوعاتي: باشـلار، مـورون، ريشـار، ويبـر، حـرص هـؤلاء الدارسـين علـى التمييـز بـين مـنهجهم ومـنهج التحليـل النفسي»[3].

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص 189.

[2] المرجع السابق، ص 189.

[3] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص234.

هنـا يُمكننـا القـول: « إنّ كـلاًّ مـن المـنهج البنيـوي والمـنهج الموضـوعاتي يشـتركان فـي فكـرة دراسـة الـنص مـن الـداخل، مسـتبعدين فـي ذلـك كـل الظـروف الخارجـة عـن الـنص بمـا فـي ذلـك التحليـل النفسـي لأنّـه دراسـة لشخصـية المبـدع». وهـو العمـل الـذي قـام بـه الناقـد "يوسـف وغليسـي" حينمـا راح يسـتعرض لنـا السـيرة الذاتيـة للشـاعر "محمـد الفيتـوري" وعقـده النفسـية التـي جعلهـا الناقـد فـي صـميم دراسـته الموضـوعاتية، كمـا سـنرى لاحقًـا. لـذلك نجـد الناقـد" يوسـف وغليسـي" يُوضّـح لنـا الطريقـة التـي اعتمـدها فـي دراسـته الموضـوعاتية لثلاثيـة الفيتـوري عنـدما يقـول:« فقـد ارتأينـا أن نُمفصـل دراسـة الهـاجس الإفريقـي فـي نصـوص الفيتوريـة علـى محـورين أساسـيين؛ بتفصـيل الهـاجس إلـى موضـوع وجـذر، رغـم أنّ كليهمـا يتـرادف عنـد جمهـور النقـاد العـرب المعاصـرين أمـام المصـطلح الأجنبـي (Théme)»[1]، ثـم نجـده فيمـا بعـد يُفـرّق بـين مفهـومي الموضـوع والجـذر، فهـو يـرى بـأنّ:« الموضـوع يتمظهـر علـى السـطح المعجمـي للـنص، وهـو يقتضـي دراسـة بنيويـة محايثـة(Immanente) لا يتعـدى مجالهـا الحيـوي ظـاهر الـنص، أمـا الجـذر، فهـو رحـم الموضـوع ونواتـه السـيكولوجية التـي يرتـد إليهـا، فهو- إذن ــ موغـل الامتـداد فـي بـاطن المؤلـف، لـذلك لا منـاص مـن دراسـته دراسـة سـياقية (Contextuelle) وفقًـا لأبجـديات التحليـل النفسي»[2].

الملاحـظ فـي هـذا التقسـيم أنّـه يجـزّئ الدراسـة الموضـوعاتية وهـو تقسـيم لـم يـأتِ بـه رواد النقـد الموضـوعاتي الأوائـل فـي دراسـاتهم الموضـوعاتية التطبيقيـة، كمـا أنّهـم لـم يُنظِّـروا لهـذا التشـطير فـي الدراسـة الموضـوعاتية. فـالمحور الأول يسـعى إلـى الكشـف عـن الموضـوع المهـيمن فـي ثلاثيـة الفيتـوري، والمحـور الثـاني يقـوم بالبحـث فـي الجـذر، أي:« البيئـة الداخليـة التـي ينشـأ الموضـوع فيهـا، هـو البنيـة التحتيـة للموضـوع ... نواتـه الأولـى هـو الامتـداد القَصِـي للموضـوع الموغـل فـي أعمـاق نفسـية بهيمـة، هـو القـانون السـيكولوجي الـذي يحكـم الظـاهرة الموضـوعاتية،، وهـو ــ أخيـرًا ــ الـنص فـي ارتباطـه

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 189.

[2] المرجع السابق، ص 189.

بالجهـاز النفســي لصــاحبه»[1]. إذن بهـذا التوضـيح لطريقــة العمـل النقـدي فــي المحـور الثــاني عنــد الناقــد "يوســف وغليســي" نــراه ينحــرف عــن الدراســة وفــق المــنهج الموضـوعاتي إلـى التحليـل وفـق المـنهج النفسـاني، وهـو ـ فـي تقـديرنا ـ خلـط منهجـي مـن قبـل الناقـد. ونُحـاول الآن البسـط فـي قراءتنـا لهـذه المحاولـة التطبيقيـة الموضـوعاتية للهـاجس الإفريقـي فـي ثلاثيـة "محمـد الفيتـوري" للناقـد الجزائـري "يوسـف وغليسـي" مـن خلال مباحثها التي وضعها الناقد نفسه:

1/2/2 دراسة الموضوع:

أ/ ماهية الموضوع:

ضـمن هـذا المبحـث حـاول الناقـد أنّ يبـرز الهـاجس الإفريقـي كموضـوع مهـيمن فـي ثلاثيــة الفيتــوري، علــى اعتبــار أنّ الناقــد "يوســف وغليســي" يــرى ســليقة أنّ مهمــة التحليـل الموضـوعاتي تكمـن فـي الكشـف عـن الموضـوعات الرئيسـية المُهيمنـة فـي الأعمـال الأدبيّـة، وهـي الفكـرة التـي أخـذها عـن الـدكتور" عبـد الكـريم حسـن"، لـذلك نجـده يصـرّح بهـذا الانتمـاء:« تقـوم الموضـوعاتية لـدى عبـد الكـريم حسـن علـى مفهـوم دقيـق وواضــح للموضــوع (ســنحاول أن نأخــذ بــه فــي هــذه الدراســة)، مــن حيــث إنّــه "مجموعـة المفـردات التـي تنتمـي إلـى عائلـة لغويـة واحـدة" وبغـض النظـر عـن الأصـول المرجعيــة لمصــطلح (العائلــة اللغويــة) فــي المعجميــة الفرنســية(Famille de Mots) والتــي لا يــومئ إليهــا الناقــد، فــإنّ العائلــة اللغويــة ـ عنــده ــ تســتند كمــا رأينــا ســابقًا إلــى ثلاثــة مبــادئ: الأول وهــو الاشــتقاق والثــاني وهــو التــرادف، والثالــث وهــو القرابــة المعنوية»[2].

هنـا تبـدو الصـورة واضـحة فـي أنّ الناقـد "يوسـف وغليسـي" قـد سـار فـي ركـاب الدكتور"عبــد الكــريم حســن". إذن فهــو يعتمــد علــى عمليــة الإحصــاء المعجمــي للمفـردات المتـواترة بشـكل كبيـر عـن طريـق الاشـتقاق أو التـرادف أو مـا يـدخل فيمـا

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص 83.

[2] المرجع السابق، ص 50.

يُسـمَّى بالقرابـة المعنويـة ، وذلـك للكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي فـي العمـل الأدبـي، وهـي الطريقـة التـي يتبناهـا الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" فـي مقاربتـه النقديـة الموضـوعاتية للأعمـال الإبداعيـة، كمـا فعـل فـي دراسـته لشـعر السّـياب، ولكـن ينبغـي أن نُشـير إلـى أنّ هـذه المقاربـة النقديّـة الموضـوعاتية القائمـة علـى عنصـر الإحصـاء المعجمـي، كثيـرًا مـا تقـع فـي بعـض المغـالط، وذلـك بسـبب أنّ المفـردات يتغيـر مـدلولها مـن سـياق إلـى آخـر، فيخفـق الناقـد بهـذه الطريقـة فـي الكشـف عـن الموضـوعات الرئيسية في الأعمال الأدبية.

ب/هيمنة الموضوع الإفريقي في ثلاثية الفيتوري:

تبـيّن للناقـد "يوسـف وغليسـي" مـن خـلال قراءتـه النقديّـة الموضـوعاتية للمدوّنـة النقديّـة للشـاعر "محمـد الفيتـوري" أنّ الموضـوع الإفريقـي هـو المهـيمن فـي هـذه المدوّنـة، وعـن هـذه الحقيقـة يقـول:« ولعـلّ قـراءة عـابرة لهـذه المدوّنـة، تبـرز لنـا الموضـوع الإفريقـي موضـوعًا مهيمنًـا (أو موضـوعًا رئيسـيًا بلغـة عبـد الكـريم حسـن) هـو بمثابـة مركـز الثقـل الموضـوعاتي فـي أشـعار الفيتـوري»[1]. وإذا تتبعنـا المنهجيـة التـي اعتمـد عليهـا الناقـد فـي الكشـف عـن هيمنـة الموضـوع الإفريقـي فـي ثلاثيـة الفيتـوري، نجـد أنّـه قـد اعتمـد علـى موضـوعاتية الـدكتور "عيـد الكـريم حسـن" القائمـة علـى الإحصـاء المعجمـي للمفـردات الأكثـر تـواترًا فـي العمـل الأدبـي، لـذلك نجـده قـد لاحـظ بعـد قراءتـه لثلاثيـة الشـاعر "محمـد الفيتـوري" أنّ كلمـة (إفريقيـا) قـد تكـرّرت فـي هـذه المدوّنـة 42 مـرة، حيـث يصـرّح قـائلاً:«... وعليـه فـإنّ كلمـة (إفريقيـا) هـي الكلمـة الموضـوع فـي هـذه المدوّنـة الفيتوريـة؛ علـى أسـاس أنّهـا الكلمـة الأكثـر تـواترًا فـي معجمـه الشـعري، حيـث تكـرّرت (42 مـرة كاملـة)، وهـي أعلـى نسـبة تـواتر، تبعًـا للمسودة الإحصائية التي أجريناها على المستوى المعجمي للمدوّنة»[2].

إذن هكـذا يُحـاول الناقـد الوصـول إلـى الكشـف عـن الموضـوع المهـيمن أو الرئيسـي بلغـة "عبـد الكـريم حسـن" مـن خـلال الإحصـاء المُعجمـي للكلمـات المتـواترة

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص51.

[2] المرجع السابق، ص 52.

بشـكل كبيـر، وقـد ذكـر الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" أنّ "جـان بيـار ريشـار" لـم يكـن يثـق كثيـرًا فـي هـذا الإجـراء، حيـث يقـول:« لـم يكـن جـان بيـار ريشـار مـن الـذين يثقـون كثيـرًا فـي الإمكانيـات التـي يمكـن للتـواتر أن يُقـدّمها للـدارس الموضـوعاتي لأنّـه أدرك مبكـرًا أن دلالات الوحـدات النصـية المتـواترة ليسـت ثابتـة مـن سـياق لآخـر حسـب مـا رأينـا مـع بـارت وغريمـاس أيضًـا، وبالتـالي فـإنّ قيـام الـدارس بعـدِّ هـذه التـواترات بـرغم أهميتهـا، لا يُعطـي نتـائج دقيقـة»[1]. هـذه إشـارة مـن الدكتور"محمـد السـعيد عبـدلي" إلـى أنّ عمليـة الإحصـاء للكلمـات الأكثـر تـرددًا فـي العمـل الإبـداعي لا تقـود الـدارس الموضوعاتي دائمًا إلى نتائج حقيقية.

ويُحـاول الناقـد "يوسـف وغليسـي" كـذلك فـي إثبـات هيمنـة الموضـوع الإفريقـي فـي ثلاثيـة الفيتـوري، إقحـام كـل الكلمـات الأخـرى التـي تـدخل فـي نفـس العائلـة اللغويـة، إلـى جانـب بعـض الضـمائر الظـاهرة والمسـتترة والتـي تعـود علـى كلمـة (إفريقيـا):« ... وتـزداد أهميتهـا الموضـوعاتية جـلاءً، إذا أضـفنا إليهـا كلمـات أخـرى مـن نفـس (العائلـة اللغويـة) ككلمـة "الأسـود" (41 مـرة)، و"الزنجـي" (20 مـرة) أو كلمـات أخـرى تقـوم مقامهـا، مـن طـراز (وطنـي، أرضـي، بـلادي، أمـي، القـارة، ...) إلـى جانـب الضـمائر الظـاهرة والمسـتترة (بشـتى أشـكالها) التـي تعـود عليهـا، والتـي يصـعب حصـرها إحصـائيًا؛ حيـث أحصـينا ــ علـى سـبيل التمثيـل ــ سـتة وثلاثـين ضـميرًا عائـدًا علـى إفريقيـا فـي قصـيدة واحـدة هـي (البعـث الإفريقـي)»[2]. وقـد تبـيّن لنـا أنّ الناقـد يُحـاول قـدر المُستطاع أن يبرز هيمنة الموضوع الإفريقي في مدونة الشاعر"محمد الفيتوري".

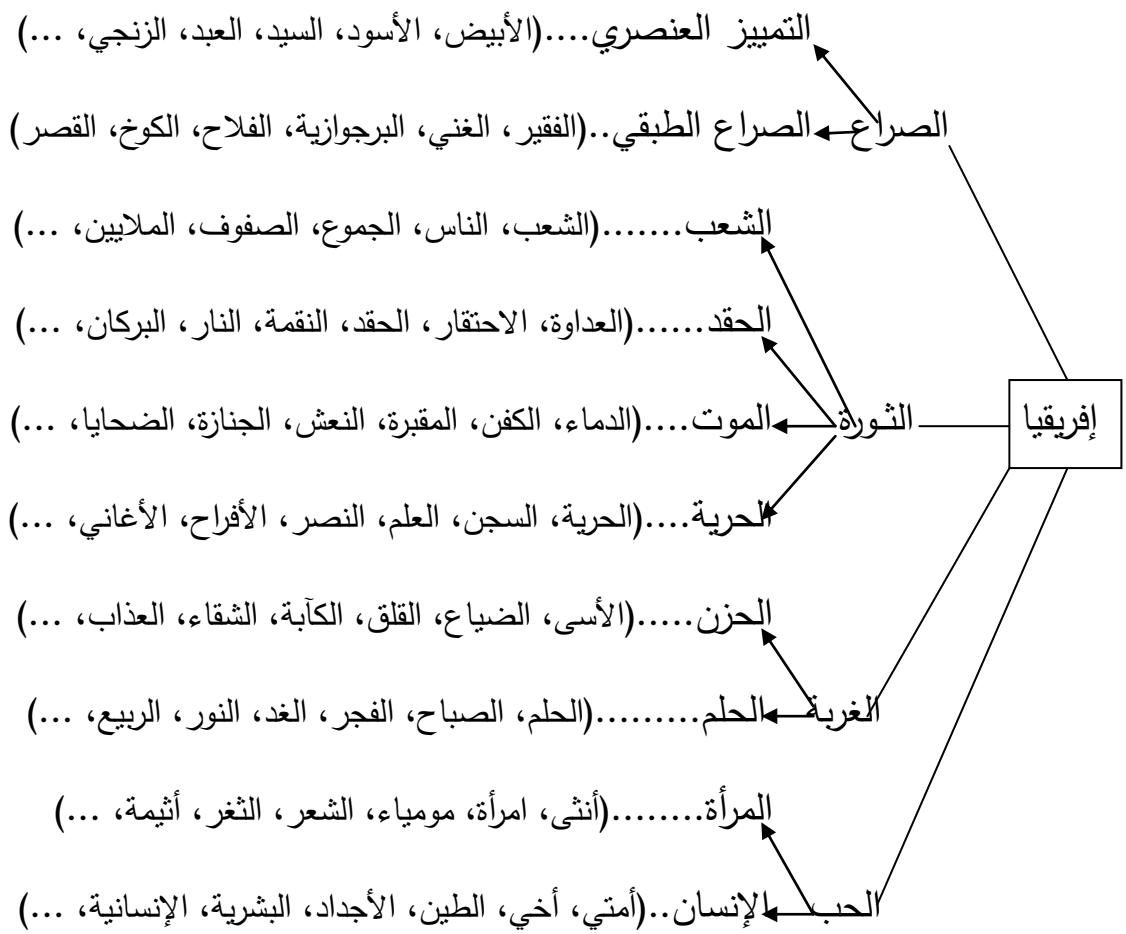
ج/ شجرة الموضوع:

بعـد أن كشـف الناقـد "يوسـف وغليسـي" عـن الموضـوع المُهـيمن أو الموضـوع الرئيسـي بلغـة الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" وهـو موضـوع (إفريقيـا) جعـل مـن هـذا الموضـوع جـذعًا تتفـرّع عنـه بعـض الموضـوعات الأخـرى كموضـوع الصـراع، والثـورة، والغربـة، والحـب، وتـأتي بعـد هـذه فـروعٌ للفـروع كـالتمييز العنصـري، والصـراع الطبقـي،

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص128.

[2] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري كلام المنهج.. فعل الكلام، مرجع سابق ، ص 52.

وهـي المتفرّعـة عـن موضـوع الصـراع، ثـم الشـعب والحقـد والمـوت والحريـة وهـي كـذلك موضـوعات متفرّعـة عـن الثـورة. أمـا موضـوع الغربـة فنجـد لـه فروعًـا كـالحزن والحلـم، وموضـــوع الحـــب تتفـــرع عنـــه المـــرأة والإنســـان، وعليـــه تكـــون صـــورة التشـــجير الموضـوعاتي للهـاجس الإفريقـي فـي ثلاثيـة الفيتـوري علـى النحـو كمـا وضـعها يوسـف وغليس " كالآتي:«



مفتاح الشجرة:

	الموضوع المهيمن (الرئيسي).
———	موضوع فرعي.
←———	فرع الموضوع الفرعي.
.....	الوحدات المعجمية المجسدة للموضوع»[1].

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص 68.

فـالملاحظ مـن خـلال هـذا المخطـط التوضـيحي للموضـوع الرئيسـي وفروعـه وفـروع فروعـه، أنّ الـدارس قـد جعـل كـل قصـائد الشـاعر "محمـد الفيتـوري" تعـود إلـى موضـوع رئيسـي واحـد وهـو (إفريقيـا) ثـم قـام بالكشـف عـن الموضـوعات التـي تفرعـت عـن الموضـوع الرئيسـي، ليكمـل عملـه كـذلك بـإبراز فـروع الفـروع، وهكـذا، وقـد اعتمـد فـي عمليـة التشـجير الموضـوعاتي للهـاجس الإفريقـي فـي ثلاثيـة الفيتـوري علـى مقاربـة الدكتور "عبد الكريم حسن" التي تعتمد على عملية الإحصاء المعجمي.

د/ البنية الإيقاعية وعلاقتها بالشبكة الموضوعاتية:

للبنيـة الإيقاعيـة عنـد "يوسـف وغليسـي" علاقـة متينـة بالشـبكة الموضـوعاتية، حيـث يُحـاول الـدارس مخالفـة الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" فـي الكشـف عـن هـذه العلاقـة، وفـي هـذا البـاب يُصـرّح:« خلافًـا لمـنهج عبـد الكـريم حسـن الـذي يقصـر الممارسـة الموضـوعاتية علـى السـطح المعجمـي للـنص، (معتقـدًا أن ذلـك كفيـل بالـدخول إلـى البنيويـة مـن بابهـا الواسـع)، مـع تغييـب معيـب للبنـى الفنيـة التـي ينسـجها الـنص فـي تركيبـه البـديع بـين القطـع المعجميـة المنفـردة وهـو أمـر كثيـر مـا يعـاب علـى هـذا الناقـد»[1]. فحينمـا نُركـز ملاحظاتنـا فـي هـذا القـول نُسـجّل بكـل وضـوحٍ أنّ الـدارس يلـوم الدكتور"عبـد الكـريم حسـن" فـي كونـه لا يُعيـر اهتمامًـا للبنـى الفنيـة، واقتصـاره فـي تحليلـه الموضـوعاتي علـى دراسـة الوحـدات المعجميـة المُشـكلة للـنص، الأمـر الـذي دفـع بالناقـد إلـى الاهتمـام بالجانـب الإيقـاعي، ولـذلك يقـول:«... فإننـا سـنحاول فيمـا يلـي أن نتجـاوز البنيـة المعجميـة إلـى بنيـة أخـرى، نعتقـد أنّهـا تحـرّك الموضـوع بسـحر صـوتي ونفسـي خـاص، هـي البنيـة الإيقاعيـة، مـع الاقتصـار علـى مظهرهـا العروضـي (الوزني) الواضح»[2].

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص69.

[2] المرجع السابق، ص69.

علـى إثـر مـا تقـدّم نجـد الناقـد يقـوم بعمليـة إحصـائية شـاملة لـلأوزان التـي تتهـادى عليهـا قصـائد ثلاثيـة الشـاعر "محمـد الفيتـوري"، والتـي عـددها سـتّ وسـبعون قصـيدة، ثـم قـام بوضـع هـذا العمـل الإحصـائي ضـمن جـدول توضـيحي علـى الشـكل الآتي[1]:

البحر	الرجز	الخبب	المتقارب	السريع	المجتث	الرمل	الكامل	الخفيف	البسيط	الوافر
عدد القصائد	22	18	06	06	06	06	04	02	02	01
النسبة المئوية	28.94	23.68	7.89	7.89	7.89	7.89	5.26	2.63	2.63	1.31

هكـذا قـام الـدارس بالكشـف عـن الأوزان الخليليـة التـي نُظمـت عليهـا المجموعـة الشـعرية المُشـكلة لثلاثيـة الفيتـوري، حيـث يصـل الناقـد إلـى حقيقـة مفادهـا أنّ المنظومـة الإيقاعيـة لهـذه الثلاثيـة يُسـيطر عليهـا بحـر الرجـز، وهـو بحـر كـان يُعـاني الهجـر زمنًـا طـويلاً، غيـر أنّ ثـورة الشـعر الحـرّ جلبـت لـه الانعتـاق والتحـرّر مـن بوتقـة التهمـيش، فأصـبح لهـذا الـوزن الإيقـاعي مكانـة مرموقـة، وبخاصـة حينمـا حمـل علـى عاتقـه قضـية الإنسـان الزنجـي. مـن هنـا يـرى الناقـد أن هـذا الـوزن شـارك الزنجـي الكثيـر مـن الهمـوم والأوجـاع، عنـدما كـان سـندًا للشـاعر الـذي أعلـن ثورتـه ضـد النظـام الاسـتعماري، ونظـام التمييـز العنصـري، وحتـى مـن نظـام القصـيدة الشـعرية العموديـة. ورغـم هـذه الجهـود التـي بـذلها الناقـد فـي هـذا المبحـث غيـر أننـا لا نجـد لهـذا العمـل علاقـة بالتحليـل الموضـوعاتي، ولا نـرى أنّ ثمـة علاقـة واضـحة تجمـع بـين البنيـة الإيقاعيـة والشبكة الموضوعاتية.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص69.

2/2/2 دراسة الجذر:

تتبنـي دراسـة الجـذر عنـد الناقـد "يوسـف وغليسـي" علـى تحليـل سـيكولوجي بحـت، حيـث يبـدأ الناقـد فـي التأسـيس لهـذه الدراسـة السـيكولوجية بمـا ذهـب إليـه النقـد النفسـاني فـي هـذه القضـية، فيعـرض لنـا بـذلك دلالـة الموضـوع فـي هـذا الاتجـاه موضـحًا:« نعـود الآن إلـى مـا ابتـدأنا بـه، وانطلقنـا منـه، لنُشـير إلـى أنّ "الموضـوع" فـي النقـد النفسـاني (يتأشـر بتـواتره، الـذي يـدل علـى هـوس مـا (Obsession)، وبقدرتـه علـى إبـراز عـدة ظـواهر مـن الحيـاة اللاشـعورية، أو الظهـور بمظـاهر متعـددة)»[1]. وللتوضـيح أكثـر يسـتعين الناقـد كـذلك بتعريـف "سـمير حجـازي" لمصـطلح "القـراءة الموضـوعاتية" حيـث يُقدمـه علـى أنّـه: « مصـطلح يُسـتخدم فـي مجـال النقـد النفسـي الجديـد للدلالـة علـى تركيـز الناقـد علـى مـا هـو مكبـوت ولـيس مضـمرًا فـي الـنص، مـن أجـل الكشـف عـن توجهـات الكاتـب أو المبـدع بالنسـبة لموضـوعه»[2]. ومـن خـلال هـذا القـول وغيـره يُحاول الناقد أنّ يضع مفهومًا للجذر بحسب الصورة التي تكوّنت لديه.

أ/ ماهية الجذر:

يضـع الناقـد "يوسـف وغليسـي" مفهومًـا للجـذر فيقـول:« الجـذر ــ فـي تقـديرنا ــ هـو البيئـة الداخليـة التـي ينشـأ الموضـوع فيهـا، هـو البنيـة التحتيـة للموضـوع ... نواتـه الأولـى، هـو الامتـداد القصـي للموضـوع الموغـل فـي أعمـاق نفسـية بهيمـة، هـو القـانون السـيكولوجي الـذي يحكـم الظـاهرة الموضـوعاتية، وهـو ــ أخيـرًا ــ الـنص فـي ارتباطـه بالجهـاز النفسـي لصـاحبه»[3]. إذن كمـا سـبق وأشـرنا، فصـورة الجـذر تبـدو فـي مُخيلـة الناقـد "يوسـف وغليسـي" تقـوم علـى مـا ترسّـب فـي نفـس المبـدع مـن مكبوتـات، فيُحفّـزه هـذا الكبـت علـى عمليـة اسـترجاع ذلـك فـي أعمالـه الإبداعيـة، ومـن هنـا يكـون التحليـل الموضـوعاتي فـي شـقه الثـاني عنـد الناقـد ينبنـي علـى دراسـة الجـذر بـالتفتيش فـي نفسـية المبـدع، وهـي عمليـة تسـتدعي ــ فـي نظرنـا ــ أدوات المـنهج النفسـاني، وبـذلك يكـون

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص82.

[2] سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار الراتب الجامعية، بيروت، ص224.

[3] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام ، مرجع سابق، ص83.

الناقـد قـد حـاد عـن مجـال النقـد الموضـوعاتي. لـذلك حينمـا ننظـر فـي العمـل الـذي قـام بـه الناقـد نجـده قـد حـاول أن يُلـمّ بكـل مـا كـان لـه دافـع فـي تعميـق الصـراع الـداخلي فـي نفسـية الفيتـوري، لـذلك فقـد وضـع مبحثًـا عنونـه بـ"الجذر الإفريقـي فـي نفسـية الفيتـوري". وهذا ما سنقف عنده فيمايلي:

ب/ الجذر الإفريقي في نفسية الفيتوري:

قـام الناقـد فـي هـذا المبحـث بـإبراز حالـة الـنقص الفيزيولـوجي التـي يُحـس بهـا الشـاعر"محمد الفيتـوري" وهـذا الإحسـاس نـابع مـن الملامـح الزنجيـة للشـاعر، إلـى جانـب قصـر قامتـه، وخلقتـه الذميمـة، كـل هـذه الصـفات زرعـت فـي نفسـه الإحسـاس بالدونيـة، وهـذا بـاعتراف الشـاعر نفسـه بهـذه الأوصـاف حيـث يقـول عـن نفسـه:« دائمًـا تحاصـرني عيـونهم، .. ضـحكاتهم تتـابعني حيثمـا أسـير.. إنهـم يسـخرون منـي.. منظـري يثيـر فـيهم روح السـخرية والاسـتهزاء. لقـد فضضـت سـر اللغـز.. سـر المأسـاة التـي ولـدت معـي.. إننـي قصـير وأسـود وذمـيم»[1]، كـل هـذه الأوصـاف التـي أقـرّ بهـا الشاعر عن نفسه، ولدت له مأساة حقيقية بعثت في نفسه حالة من اليأس والقنوط.

وممّـا زاد فـي مأسـاته هـو حالـة الشـتات العرقـي وهويتـه المفقـودة. فالشـاعر جـده زنجـي إفريقـي مـن أعـالي "بحـر الغـزال" ، ووالـده سـوداني ينتمـي إلـى ولـي ليبـي صـالح، وأمـه مصـرية تنتمـي إلـى قبيلـة عربيـة سـعودية اسـتقرت فـي صـعيد مصـر. كـل هـذه الاتجاهـات تُشـكِّل شـتاتًا عرقيًـا سـاهمت فـي تكـوين شخصـية الفيتـوري المضـطربة التائهـة، ضـف إلـى ذلـك إخفاقـه فـي الحـب الـذي يُعتبـر دافعًـا آخـر مـن دوافـع شـعوره بالضـياع والـنقص. فهـذه الأسـباب مجتمعـة كانـت سـببًا فـي تعاسـة الفيتوري، كما كانت سببًا في إبداعه الشعري.

لـذلك نجـده قـد حـاول تعـويض هـذا الـنقص مـن خـلال نصوصـه الشـعرية، وقـد جعـل الناقـد مـن هـذا الشـعور بـالنقص لـدى الفيتـوري دافعًـا للكتابـة الشـعرية، حيـث يبـرز الهاجس الإفريقي موضوعًا مُهيمنًا في مدونته الشعرية.

[1] محمد الفيتوري، الديوان، دار العودة، بيروت، ط3، 1979، ص87.

إنّ هـذه الإحاطـة الشـاملة بكـل الظـروف التـي سـاهمت فـي تكـوين شخصـية الشـاعر "محمـد الفيتـوري" والتـي انصـبّ اهتمـام "يوسـف وغليسـي" فـي الكشـف عنهـا، كصـفاته الخَلْقيـة أو أصـله وفصـله، أو مـا تعلّـق بمكبوتاتـه وحياتـه الشخصـية، لا يُمكن أن تُستبعد في التأثير على إبداعه الشعري.

إنّ التحليـل الموضـوعاتي الـذي يقـوم بـه الناقـد مـن هـذه الزاويـة يبـدو غيـر مُطـابق تمامًـا للتحليـل الموضـوعاتي الـذي وضـعه "جـان بيـار ريشـار" و"جـان بـول ويبـر"، إذ أنّ هـذا العمـل النقـدي الـذي اتّخـذه "يوسـف وغليسـي" فـي هـذه الممارسـة التطبيقيـة هـو أقـرب للتحليـل النفسـي، حـين رأى أنّ هـذه الحقـائق المتعلقـة بحيـاة الفيتـوري المـذكورة، تعتبـر دافعًـا لتكـوين عقـد نفسـية فـي شخصـيته، وهـي التـي تُحـدد اتجاه كتاباته الإبداعية، وبالتالي تدفعه للكتابة في موضوع دون الآخر.

هنـا لابُـدّ أن نُشـير إلـى التوضـيحات التـي جـاء بهـا رواد النقـد الموضـوعاتي فـي العـالم الغربـي، حيـث قـاموا بـالتمييز بـين مـنهجهم الموضـوعاتي ومـنهج التحليـل النفسـي، لـذلك نجـد "جـان بـول ويبـر" يقـول:« إنّنـا نعتقـد بكـل صـدقٍ بأنّـه لا يمكـن لأحـد أن يتّهمنـا بـأنّ أعمالنـا النقديـة تنتمـي إلـى التحليـل النفسـي الفرويـدي، ذلـك لأننـا نـرفض مـا تقـوم بـه الفرويديـة لمـا ترجـع كـل التـوترات العاطفيـة والصـراعات النفسـية إلـى عقـدة واحـدة هـي ــ حسـبها ــ عقـدة أوديـب ومـا يلازمهـا مـن عقـد أخـرى كالخصـي والعجز الجنسي.

إنّ هـذه النظـرة الاختزاليـة المتمثلـة فـي العقـد النفسـية والتـي يجعلهـا التحليـل النفسـي محـورًا يشـد إليهـا الأعمـال الإبداعيـة ومؤلفيهـا ليحـاول بنـاء تحاليلـه النقديّـة، أدت إلـى انحصـار الدراسـات النقديـة وتقاربهـا مـن بعضـها بعضـا، وتشـابه نتائجهـا التـي كثيـرًا مـا تـأتي حـديثًا عـن المؤلـف بـدلا مـن نصـه أو نصوصـه الإبداعيـة. إننـا لا نسـتطيع هنـا إلا تكـرار مـا سـبق أن قلنـاه فـي أمـاكن أخـرى؛ وهـو أن الدراسـات النقديـة القائمـة علـى التحليـل النفسـي الفرويـدي لا تعطـي إلا نتـائج مخيبـة للأمـل، تلـك الدراسـات مـن جهـة، بعيـدة جـدا عـن بلـوغ أصـالة العمـل الأدبـي وعمقـه، كمـا أنهـا مـن جهـة أخـرى، عـاجزة عـن استكشـاف شخصـية المؤلـف التـي تعتقـد أنّهـا قـد أصـبحت فـي

متناولهـا»[1]. مـن خـلال هـذا القـول تبـدو الصـورة واضـحة بـين مـا يـدعو إليـه " جـان بـول ويبـر" فـي توضـيح الحـدود الفاصـلة بـين المـنهج الموضـوعاتي والدراسـات القائمـة علـى مـنهج التحليـل النفسـي، إذ أنّ هـذا الخلـط الـذي قـام بـه الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي توظيفـه لأدوات التحليـل النفسـي فـي الدراسـة الموضـوعاتية فـي المبحـث الـذي خصّـه بدراسـة الجـذر فـي ثلاثيـة الفيتـوري يـوحي بعـدم وضـوح صـورة النقـد الموضـوعاتي مـن هـذه الجهـة فـي ذهـن الناقـد، وحتـى نُـدلِّل أكثـر علـى مـذهب روّاد النقـد الموضـوعاتي الغـربيين فـي هـذه النقطـة بالـذات لا بـأس أن نسـتعين كـذلك بمـا ذُكـر عـن "غاسـطون باشـلار" أنّـه:« يقـف مـن الدارسـين الـذين يُحـاولون اسـتغلال أدوات التحليل النفسي لدراسة النصوص الأدبية موقفًا فيه شيء من السخرية.

إنّ هـذا التوجـه النقـدي فـي نظـره يبعـد كثيـرًا بـين الناقـد وموضـوعه، بـل ينصـرف بـه بعيـدًا. ثـم إنّ هـذه الدراسـة نفسـها لا يمكنهـا أن تقـدم شـيئًا ذا أهميـة عـن شخصـية المؤلـف لأنهـا ليسـت مؤهلـة لـذلك، زيـادة علـى كونهـا تـدرس موضـوعًا (أي شخصـية الكاتب) هو بعيد عنها، سواء كان البعد هو بعد مكاني أو زماني»[2].

إذن مـن خـلال مـا ورد مـن آراء الـروّاد الغـربيين فيمـا تعلـق بـالتعرض لحيـاة المبـدع وشخصـيته فـي الدراسـة الموضـوعاتية، وتبيـان الحـدود الفاصـلة بـين المنهجـين الموضـوعاتي والنفسـي، يُعـدّ العمـل الـذي قـام بـه الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي هـذا المبحـث خروجًـا عـن آليـات التحليـل الموضـوعاتي. وعلـى العمـوم يُمكـن القـول إنّ هـذه المحاولـة التـي قـام بهـا الناقـد "يوسـف وغليسـي" تُعتبـر محاولـة جـادة لـم تسـلم مـن المآخـذ والعثـرات المنهجيـة فـي تطبيـق المـنهج الموضـوعاتي علـى ثلاثيـة الشـاعر "محمـد الفيتـوري"، حيـث قـام الناقـد بـإبراز هـوس الشـاعر بموضـوع إفريقيـا فـي ثلاثيتـه، غيـر أنّ تطبيقـه للمـنهج الموضـوعاتي لـم يكـن علـى الوجـه الـذي جـاء بـه روّاده الغـربيين فـي ممارسـاتهم التطبيقيـة علـى بعـض الأعمـال الإبداعيـة، فقـد جـاءت ممارسـة الناقـد "يوسـف وغليسـي" محاكـاة لموضـوعاتية الدكتور"عبـد الكـريم حسـن"،

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص 232 و233.

[2] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص225.

القائمـة علـى الإحصـاء المعجمـي للمفـردات الأكثـر تـرددًا فـي العمـل الأدبـي، للكشـف عـن الموضـوع المهـيمن فـي العمـل الأدبـي، إلـى جانـب توظيـف الناقـد لآليـات المـنهج النفسـي فـي الكشـف عـن الجـذر فـي ثلاثيـة الفيتـوري، وهـو توظيـف يرفضـه روّاد النقـد الموضوعاتي الغربيين.

3/2 قراءة في محاولته الثالثة: عقدة جلجامش: رُهاب الموت ورُغاب الحياة في (جدارية) محمود درويش.

يسـتهل الناقـد "يوسـف وغليسـي" محاولتـه الثالثـة والتـي جـاءت معنونـة بــ"عقـدة جلجــامش: رُهــاب المــوت ورُغــاب الحيــاة فــي (جداريــة) محمــود درويــش" بمــدخل يسـتعرض فيـه خطـة عملـه الموضـوعاتي، واصـفًا تسـمية:« "عقـدة جلجـامش" بالبنيـة السـيكولوجية الشـاملة التـي تـؤطر الجهـاز النفسـي لمحمـود درويـش، وتفسـر مجمـل سلوكه الشعري»[1].

وضـمن هـذا المـدخل يُشـير كـذلك الناقـد إلـى أنّـه يقتفـي أثـر فرويـد ومـا صـنعه رواد التحليـل النفسـي الأوائـل حـين كـانوا ينسـبون تلـك العقـد إلـى بعـض الإبـداعات الأسـطورية القديمـة (عقـدة أوديـب، عقـدة ألكتـرا، عقـدة أورسـت، ...). فـالملاحَظ مـن خـلال هـذه الإشـارة أنّ الناقـد لا يـزال يُصـرُّ علـى إقحـام آليـات التحليـل النفسـي فـي ممارسـاته الموضـوعاتية، ثـم يُحـاول الناقـد أن يقـف عنـد قصـة محمـود درويـش مـع المـوت، حيـث أشـار إلـى أنّ هـذه الجداريـة تتضـمن فـراره الشـعري مـن المـوت، حينمـا يقـول:« فـرّ محمـود درويـش ــ فـي متخيَّلـه الشـعري ــ مـن المـوت الـذي كـان مُلاقيـه ذات يـوم مـن صـائفة 2008. لكـنّ فـراره الشـعري ذاك كـان فـرارًا مرضـيًا غريبًـا اتّخـذ شكل "الرُّهاب" (phobie)، بتمام مواصفاته الصرفية والنفسية.

مـا الرهـاب؟ ومـا (رهـاب المـوت) هـذا الـذي يغمـر عـوالم درويـش الشـعرية المتخيَّلـة؟ ومـا هـي الـذكرى الموضـوعاتية (souvenir thématique) الحقيقيـة (بمفهـوم ج. ب. فيبـر) التـي يمكـن أن تختـزل تلـك العـوالم وتختزنهـا فـي طفولـة

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص225.

الشـاعر؟»[1]. هكـذا يقـوم الناقـد بالإفصـاح عـن جانـب مـن جوانـب الحيـاة الشـعورية لمحمـود درويـش والتـي تُحـاول أن تتجلّـى فـي أعمالـه الشـعرية، وهـو بـذلك يسـير فـي ركاب "جان بول ويبر" وفق هذا الأساس.

مـن أجـل هـذا نجـد فـي حديثـه عـن (الرهـاب) يقـول:« وينشـأ هـذا الرهـاب ـ عـادة ـ عـن تجربـة طفوليـة حقيقيـة تعـرّض فيهـا الطفـل لمثيـر مخيـف فعـلاً، لازمتـه صـدمة نفسـية عنيفـة ترسّـبت فـي شـعوره، وربّمـا اسـتقرّت فـي أعماقـه اللاشـعورية القصـيّة. وسـنرى ـ فـي حالـة محمـود درويـش ـ أنّ حادثـة التهجيـر القسـري التـي تعـرّض لهـا ـ وأسـرته ـ وهـو فـي السادسـة مـن عمـره، ومـا لازم ذلـك مـن خـوف واضـطراب ودمـار حربـي وفقـدان للأمـان، هـي النـواة الأولـى التـي أسّسـت لرهـاب المـوت فـي شـعوره وأشعاره»[2].

إذًا يبـدو الناقـد "يوسـف وغليسـي" مهتمًـا بـالنواة الأولـى المُشـكلة لأعمـال الشـاعر الكبيـر "محمـود درويـش" فـي مقاربتـه النقديـة الموضـوعاتية والتـي رأى بأنّهـا تتمثّـل فـي حادثـة (التهجيـر القسـري)، غيـر أنّـه لـم يـبن مقاربتـه الموضـوعاتية علـى هـذه النـواة، فقـد راح يُسـخّر بعـض الآليـات الموضـوعاتية التـي جـاء بهـا "جـان بـول ويبـر" فـي الكشـف عـن الموضـوع المركـزي أو المهـيمن فـي جداريـة "محمـود درويـش" والمتمثـل فـي موضـوع (المـوت)، وللكشـف عـن ذلـك يقـوم بإحصـاء تـواتر كلمـة المـوت فـي هـذه المدونـة، وعـن ذلـك يُصـرّح:« ويبـدو أنّ كلمـة المـوت، بشـتى اشـتقاقاتها الفعليـة والاسـمية، هـي المؤهّلـة ـ أكثـر مـن غيرهـا ـ للقيـام بـدور البطولـة الموضـوعاتية فـي معجـم الجداريـة، انطلاقًـا مـن نسـبة تواترهـا العاليـة؛ إذ تتكـرّر 59 مـرة كاملـة فـي نـصٍّ لا يتجـاوز عـدد صـفحاته 105 صـفحة؛ أي أنّهـا تتـردّد مـرّة واحـدة فـي أقـلّ مـن صـفحتين اثنتـين»[3]. فطريقـة العمـل الإحصـائي هـذه للكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي التـي يعتمـدها الناقـد كُنـا قـد أشـرنا فـي دراسـتنا لمحاولاتـه السـابقة

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص226.

[2] المرجع السابق، ص 228.

[3] المرجع السابق، ص235.

إلــى رأي بعـض النقـاد الموضـوعاتيين الغـربيين فـي طريقـة العمـل الإحصـائي هـذه، والتي تضمّنت رفض هؤلاء النُقاد لها للاعتبارات التي ذكرناها.

يقتــرح الناقــد "يوســف وغليســي" فــي دراســته الموضــوعاتية لجداريــة الشـاعر"محمود درويـش" بعـض المصـطلحات التـي ابتكرهـا ، علـى نحـو (الجملـة الموضــوعاتية) و(المعادلــة الموضــوعاتية) و(الكلمــة المضــادة للكلمــة الموضــوع). وفيمـا يلـي سـنحاول أن نقـف بالدراسـة والتحليـل عنـد هـذه المصـطلحات والكيفيـة التـي عالج بها الناقد جدارية "محمود درويش".

1/3/2 الجملة الموضوعاتية:

قــام الناقــد "يوســف وغليســي" بــاقتراح إجــراء اصــطلاحي ســماه "الجملــة الموضـوعاتية" وتوضـيحًا مـن الناقـد لهـذا المصـطلح يقـول:« (الجملـة الموضـوعاتية) إجـراء اصـطلاحي نقترحـه، بـوحي مـن مفهـوم الـنص الكاشـف (texte révélateur) لـدى ج. ب. ويبـر، الـذي نعتـرف بتأثرنـا بـه دون أن نتقيّـد بدلالتـه الحرفيـة علـى نـصٍّ بسـيط يؤشّـر علـى الموضـوع المهـيمن، ومقصـودنا مـن الجملـة الموضـوعاتية هـو كـلام دالّ يفيـد دلالـة الموضـوع المركـزي بتركيـب لغـويّ يقـوم علـى أبسـط مكوّنـات الجملـة، قـد يسـتغرق بيتًـا شـعريًا أو سـطرًا أو سـطرين شـعريين اثنـين، أو مقطعًـا قصـيرًا جـدًّا»[1]. مـن خـلال هـذا المفهـوم يبـدو أنّ الناقـد يقصـد بالجملـة الموضـوعاتية، كـل جملـة تحمـل فـي معناهـا دلالـة الموضـوع الرئيسـي، وهـذا مـا يظهـر بوضـوح فـي قولـه:« يكفـي أن تتصـفّح (ديـوان محمـود درويـش) غيـر الكامـل، تصـفّحًا عـابرًا، حتـى تباغَـت برائحـة المـوت تنبعـث مـن مثـل هـذه الجمـل الموضـوعاتية الدالـة علـى ذات شـاعرية مصـابة بمسٍّ من الموت: (... **عن صاحبي الذي مضى وعاد في كفن**)»[2].

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص229.

[2] المرجع السابق، ص229.

فهـذه الجملـة الأخيـرة التـي يسـتدّلُ بهـا الناقـد فـي التمثيـل للجملـة الموضـوعاتية هـي جملـة تحمـل فـي معناهـا دلالـة المـوت أو بتعبيرنـا البلاغـي فيهـا كنايـة عـن صـفة المـوت. وعلـى العمـوم نقـول أنّ مثـل الإجـراء يُقابـل فكـرة التعـديلات التـي يقترحهـا "جـان بـول ويبـر" وهـي عبـارة عـن صـور مُتعـددة لموضـوعاتية الـنص، رغـم الاخـتلاف الواضـح بـين الموضـوعاتية أو النـواة المشـكلة للـنص التـي يسـعى الناقـد الموضـوعاتي للكشـف عنهـا مـن خـلال الدراسـة الموضـوعاتية، فـي نظـر "جـون بـول ويبـر"، ومهمـة النقـد الموضـوعاتي التـي يحصـرها الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي الكشـف عـن الموضـوع المهـيمن أو الرئيسـي فـي العمـل الأدبـي، والفـرق شاسـع بـين مـا يسـعى إليـه هـذا ومـا يسعى إليه ذاك.

2/3/2 المعادلة الموضوعاتية:

لا يكتفـي الناقـد "يوسـف وغليسـي" بالاصـطلاح الأول بـل يبتكـر مصـطلحًا آخـر يطلـق عليـه تسـمية (المعادلـة الموضـوعاتية)، حيـث يهـدف مـن ورائـه إلـى تعقُّـب عناصـر ظهـور الموضـوع، يصـرّح:« نبتكـر هـذا المفهـوم الإجرائـي الجديـد، لنجعـل منـه محـدّدًا تكامليًـا للموضـوع كمـا نتصـوّره، وقـد اسـتوحيناه مـن عصـارات مفاهيميـة مختلفـة، وأطلقنـا عليـه تسـمية (المعادلـة الموضـوعاتية)، التـي أردنـا ــ مـن خلالهـا ــ أن نتعقّـب عناصـر ظهـور (الموضـوع) المهـيمن علـى الفضـاء الـدلالي للـنص، وكيفيات نموّه على السطح اللغوي بفعل تضافر تلك العناصر»[1].

يضـع الناقـد "وغليسـي" هـذه المعادلـة و يبتغـي مـن ورائهـا إقامـة مسـاواة بـين الموضـوع ومجمـوع (الجمـل الموضـوعاتية + العائلـة اللغويـة + التنويعـات الموضـوعاتية + الكلمـات المركزيـة)، وعليـه تتشـكل هـذه المعادلـة مـن خـلال الرمـوز الآتية: م= جم+عل+ تم+ كم.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق، ص232.

وداخـل هـذا التصـوّر الرياضـي للمعادلـة الموضـوعاتية المتعلقـة بالموضـوع، تنـتج معـادلات أخـرى متعلقـة بالعائلـة اللغويـة وأخـرى متعلقـة كـذلك بالكلمـات المركزيـة وقـد وضـع لهـا الناقـد المعـادلات الآتيـة: عـل= ش +ت +ض / كـم= م +ف +ع +ر+ ض. هكذا يصل الناقد إلى المعادلة الختامية والتي شكّلها على النحو الآتي:

م= جم+(ش +ت +ضَ) +تم + (م +فـ^{ن} + ع^{ن} +ر^{ن} +ضِ^{ن}).

وبعـد هـذه المعادلـة التـي شـكّلها الناقـد وضـع لهـا تفكيكًـا لغويًـا نصـه:« إنّ المعادلـة الموضـوعاتية تـنهض علـى تصـوّر الموضـوع بوصـفه مجموعًـا إحصـائيًا للجمـل الموضـوعاتية فـي الـنص، مضـافًا إلـى العائلـة اللغويـة المبنيـة علـى المشـتقات والمترادفـات والضـمائر، إضـافة إلـى التنويعـات الموضـوعاتية المختلفـة، مـع عنايـة مركّـزة بالكلمـات ذات الكثافـة الدلاليـة والثقـل الموضـوعاتي؛ كالكلمـة الموضـوع وتواترهـا المطلـق، والكلمـة المفتـاح، والكلمـة العنـوان، والكلمـة الرمـز، والكلمـة المضـادة للكلمـة الموضـوع؛ وهـي أصـناف معجميـة قـد لا تتكـرّر كثيـرًا رغـم أهميتهـا الموضـوعاتية البالغـة، ولـذلك لابـدّ أن نسـتدرك تأخّرهـا التكـراري بمضـاعفة إحصـائها (عـن طريـق ضـرب رقـم تواترهـا فـي معامـل خـاص هـو متوسّـط تكـرار عمـوم المفـردات فـي الـنص)، إذ أردنـا أن نحصـي ذلـك كلـه عـددا»[1]. وعليـه يُمكـن القـول أن الموضـوع المهـيمن أو الرئيسـي ـ بحسـب مـا توصّـل إليـه الناقـد "يوسـف وغليسـي" ـ هـو مجمـوع الجمـل الموضـوعاتية الـدال عليـه، ومشـتقات الكلمـة ومرادفاتهـا والضـمائر العائـدة عليهـا، والتنويعـات الموضـوعاتية، وكـذا الكلمـات المركزيـة ويعنـي بهـا الكلمـة الموضـوع، الكلمـة المفتـاح، الكلمـة العنـوان، الكلمـة الرمـز، الكلمـة المضـادة للكلمـة الموضوع، وفي اعتقادنا أنّ هذا رأي في الموضوع وليست في الموضوعاتية.

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص 233.

3/3/2 الكلمة المضادة للكلمة الموضوع:

يُحـاول الناقـد "يوسـف وغليسـي" أن يسـتثمر عِلمًـا مـن علـوم البلاغـة فـي دراسـته النقديـة الموضـوعاتية، وهـو علـم البـديع، حيـث قـام بتوظيـف (طبـاق الإيجـاب) وهــو الجمــع بــين الشــيء وضــدّه، حيــث يقتــرح الناقــد هنــا تســمية (الطبــاق الموضــوعاتي)، يقــول الناقــد:« نبتــدع (الكلمــة المضــادة للكلمــة الموضــوع) مفهومًــا إجرائيـا جديـدًا يـدعّم السـلطة الدلاليـة للكلمـة الموضـوع، وقـد اهتـدينا إليـه بـوحي مـن ج. ب. فيبــر وهــو يــدرس بعــض الموضــوعات المتمازجــة (thémes entremélés)؛ حيـث درس ــ ضـمنها ــ نوعًـا موضـوعاتيًا سـمّاه (le contrepoint thématique)؛ أي مـا يمكـن أن يـدلّ علـى موضـوع مصـاحب، أو مصـاحبة موضـوعاتية، وهـو مـا فضّـلنا أن نترجمـه بـ(الطباق الموضـوعاتي)»[1]. يضـع الناقـد هـذا المصـطلح ويُـذكر أنّ الشـاعر العربـي القـديم كـان فـي قمـة الـوعي بمـا بـين المضـادات مـن تكامـل دلالـي عميق، ويستشهد على ذلك ببيتين شهيرين من الشعر نصهما:

والوجه مثل الصّبح مبيضّ والشعر مثل الليل مسودُّ

ضدّان لمّا استجمعا حسُنا والضدُّ يُظهر حُسنَه الضدُّ

فالناقـد يـرى أنّ تـواتر كلمـة الحيـاة فـي جدرايـة محمـود درويـش بشـتى أحوالهـا الاشـتقاقية (حـي، أحيـاء، حيـاة، أحيـا، ...) قـد بلـغ تواترهـا علـى السـطح المعجمـي للـنص تسـعًا وثلاثـين مـرة، زيـادة علـى مرادفاتهـا البعيـدة، تمثّـل كلمـة مضـادة لكلمـة الموت التي أراد الناقد أن يثبت أنّها الموضوع المهيمن أو الرئيسي.

يمكـن القـول أن مثـل هـذا الإجـراء الـذي يقـوم بـه الناقـد للكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي مـن خـلال التقصّـي عـن الكلمـة المضـادة، هـو إجـراء عملـي يمكـن اعتمـاده فـي الدراسـة النقديّـة البنيويـة مـن خـلال قاعـدة التقابـل والتضـاد، لكـن أهميتـه لا تظهـر بشـكل كبيـر فـي الدراسـة الموضـوعاتية. ويعتبـر هـذا العمـل الـذي قـام بـه الناقـد "يوسـف

[1] يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، مرجع سابق ، ص235.

وغليسـي" فـي هـذه المحاولـة الثالثـة لتطبيـق المـنهج الموضـوعاتي علـى جداريـة محمـود درويش

3/ مقارنة بين تجربة يوسف وغليسي الموضوعاتية والنماذج العربية الأخرى.

بعـد عرضـنا لـبعض التجـارب النقديـة الموضـوعاتية فـي وطننـا العربـي يُمكننـا أن نُجـري مقارنـة بسـيطة نقـف مـن خلالهـا عنـد تجربـة الناقـد "يوسـف وغليسـي" والتجـارب الموضـوعاتية العربيـة الأخـرى، وذلـك مـن خـلال الآليـات التـي يوظّفهـا كـل واحدٍ في تحليله الموضوعاتي، حيث نسجّل الملاحظات التالية:

ـ اقتفـى الناقـد "يوسـف وغليسـي" أثـر الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" فـي مقاربتـه الموضـوعاتية، حيـث اعتمـد "وغليسـي" علـى آليـة الإحصـاء فـي الوصـول إلـى الموضـوعات الرئيسـية المهيمنـة فـي الأعمـال الأدبيـة، وذلـك مـن خـلال القيـام بعمليـة إحصـائية للوحـدات المعجميـة الأكثـر تـواترًا فـي العمـل الأدبـي باشـتقاقاتها أو ترادفاتهـا، غيـر أنّـه لا يمكـن أن نُهمـل حقيقـة أن المفـردات اللغويـة متغيـرة الدلالـة مـن سـياق لآخـر، وهـذا مـا ذكـره الـدكتور "محمـد السـعيد عبـدلي" بـأن:« جـان بيـار ريشـار لـم يكـن مـن الـذين يثقـون كثيـرًا فـي الإمكانيـات التـي يمكـن للتـواتر أن يقـدّمها للـدارس الموضـوعاتي لأنّـه أدرك مبكـرًا أن دلالات الوحـدات النصـية المتـواترة ليسـت ثابتـة مـن سـياق إلـى آخـر»[1]، فلـيس إذا مـن السـهل الوصـول إلـى الموضـوع الرئيسـي فـي العمـل الأدبـي بالاعتمـاد علـى عنصـر الإحصـاء، ورغـم مـا يـذهب إليـه الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي كونـه قـد تجـاوز العثـرات التـي وقـع فيهـا الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" فـي دراساته النقدية الموضوعاتية إلا أنّه قد سار على منواله.

ـ فكـرة الكشـف عـن الموضـوع الرئيسـي فـي العمـل الأدبـي باعتمـاد المقاربـة النقديـة الموضـوعاتية التـي سـعى إليهـا الناقـد "يوسـف وغليسـي" فـي محاولاتـه التطبيقيـة هـي ليسـت جـوهر التحليـل الموضـوعاتي، وإنّمـا مهمـة النقـد الموضـوعاتي تكمـن فـي

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق، ص128.

الوصـول إلـى النـواة التـي انبثـق عنهـا العمـل الأدبـي أو الأعمـال الأدبيـة لـدى أديـب مـا، ثم الكشف عن تعديلاتها المشكلة لعالم النص الأدبي.

إنّهـا الفكـرة التـي جـاء بهـا "جـون بـول ويبـر" ودافـع عنهـا الناقـد الجزائـري "محمـد السـعيد عبـدلي" بقولـه:« وتصـلح بعـض هـذه الملاحظـات أيضـا لمـا جـاء فـي قـاموس روبيـر الصـغير للغـة الفرنسـية الـذي يـربط بـين النقـد الموضـوعاتي والموضـوعات الثابتـة فـي الـنص الأدبـي. فهـذا الجـزء مـن التعريـف الـذي ورد فيـه يعنـي بكـل وضـوح أن النقـد الموضـوعاتي يقـوم بدراسـة الموضـوعات؛ وهـو مفهـوم قـد ذكرنـا قبـل الآن أنّـه يصـرف الدراسـة الموضـوعاتية عـن مجالهـا الحقيقـي، الـذي هـو دراسـة موضـوعاتية الـنص مـن خـلال تحديـدها، ثـم تتبـع تعـديلاتها المسـتمرة والمتنوعـة عبـر الـنص»[1]. فمـن خـلال مـا ورد فـي هـذا القـول يتضـح لنـا الاتجـاه الـذي يسـلكه الدكتور"عبـدلي" فـي تحليلـه الموضـوعاتي، والعمـل الـذي قـام بـه "وغليسـي" وبالتـالي يُمكننـا ملاحظـة الفـرق بينهمـا، ويتجلّـى هـذا الفـرق فـي كـون "وغليسـي" لا يسـتبين الحـد الفاصـل بـين الدراسـة الموضـوعاتية ودراسـة الموضـوع فـي حـين أنّ "عبـدلي" يفـرّق بينهما بوضوحٍ.

ــ إنّ اعتمـاد الناقـد "يوسـف وغليسـي" علـى التحليـل النفسـي والبحـث مـن خلالـه فـي طفولـة الأديـب عـن عقـده النفسـية التـي سـاهمت فـي تشـكّل العمـل الأدبـي ليسـت هـي الفكـرة التـي دعـا إليهـا الناقـد "جـون بـول ويبـر" وعـن هـذه الحقيقـة يتحـدث الـدكتور "عبـدلي":« أمـا إحالـة التحليـل النفسـي إلـى هـذه الطفولـة فهـو أمـر مـرتبط بنشـوء العقـد النفسـية فـي هـذه المرحلـة مـن حيـاة الأديـب أو الإنسـان عمومـا حسـب أتبـاع هـذا المـنهج، وأمـا فـي المـنهج الموضـوعاتي فيعـود هـذا إلـى أمثـال قـول "ويبـر" أن أصـل الموضـوعاتية يعـود إلـى حـدث مميـز عاشـه الأديـب فـي مرحلـة طفولتـه؛ ولكـن الموضـوعاتيين لا يعتبـرون هـذا الحـدث عقـدة»[2]. فالنقـد الموضـوعاتي عنـد "ويبـر" هـو

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص49.

[2] المرجع السابق، ص235.

إمكانيـة إرجـاع العمـل الأدبـي إلـى حـدث طفـولي، مـع أنّ الـدكتور "عبـدلي" لا يعتبـر الاطلاع على مرحلة طفولة الأديب أمرًا ملزمًا في التحليل الموضوعاتي.

لـذلك نجـده يصـرح:« ومـن جهتنـا نـرى أن ربـط نسـبة نجـاح العمـل بمـدى قدرتـه علـى تجميـع أجـزاء الـنص وعناصـره حـول الموضـوعاتية المقترحـة كـاف وحـده للحكـم علـــى العمـــل النقـــدي بالنجـــاح أو الفشـــل، دون ضـــرورة تقـــديم مـــا يؤكـــد أن تلـــك الموضـــوعاتية المقترحـــة تعـــود إلـــى حـــادث متميـــز عاشـــه المؤلـــف فـــي طفولتـــه، لأنّ المطلـوب هـو تحليـل الـنص تحلـيلا موضـوعاتيا يـتمكن الناقـد بفضـله الكشـف عـن موضـــوعاتيته الأساســـية وعـــن تعـــديلاتها المتنوعـــة. ويبقـــى دور اطـــلاع الناقـــد علـــى مرحلـــة طفولـــة الأديـــب ـــ متـــى تـــوفر لـــه ذلـــك ـــ هـــو دور مســـاعد علـــى اكتشـــاف الموضوعاتية، وليس شرطًا لقيام الدراسة الموضوعاتية للنص»[1] .

ومـن جهـة أخـرى نـرى أنّ "جـان بـول ويبـر" يـرفض الاعتمـاد علـى التحليـل النفســي فــي الدراســات النقديــة، لــذلك نجــده يقــول:« إننــا لا نســتطيع هنــا إلا تكــرار مــا ســبق أن قلنــاه فــي أمــاكن أخــرى؛ وهــو أنّ الدراســات النقديــة القائمــة علــى التحليــل النفســي الفرويــدي لا تعطــي إلا نتــائج مخيبــة للأمــل، لبقــاء تلــك الدراســات مــن جهــة، بعيـدة عـن بلـوغ أصـالة العمـل الأدبـي وعمقـه، كمـا أنّهـا مـن جهـة أخـرى، عـاجزة عـن استكشاف شخصية المؤلف التي تعتقد أنها قد أصبحت في متناوله»[2].

[1] محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، مرجع سابق ، ص172.

[2] المرجع السابق، ص232 و233.

4/ رؤية نقدية في تطبيق المنهج الموضوعاتي عند يوسف وغليسي.

مـن خـلال اطّلاعنـا علـى الممارسـات التطبيقيـة للمـنهج الموضـوعاتي التـي قـام بهـا الناقـد "يوسـف وغليسـي" علـى المـدوّنات الشـعرية الـثلاث سـالفة الـذكر، يمكـن القـول أنّ "وغليسـي" قـد سـار فـي عملـه التطبيقـي هـذا علـى الـنهج الـذي سـلكه الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" حينمـا ركّـز الناقـد فـي ممارسـته النقديـة الموضـوعاتية علـى عنصـر الإحصـاء كآليـة إجرائيـة للكشـف عـن الموضـوع المهـيمن أو الرئيسـي فـي النصـوص الشـعرية، مـن خـلال إحصـاء الوحـدات المعجميـة المتـواترة بشـكل كبيـر فـي العمـل الأدبي.

يظهـر تـأثر "وغليسـي" بـ"عبد الكـريم حسـن" فـي توظيفـه للتحليـل البنيـوي والـذي تجلـى فـي دراسـته للبنيـة المعجميـة المجسـدة للـنص، وقـد وضّـح الناقـد "وغليسـي" طريقـة عملـه هـذه مـن خـلال مجموعـة مـن الجـداول والمخططـات التـى سـعى مـن ورائهـا إلـى الكشـف عـن الموضـوع المهـيمن فـي العمـل الأدبـي، إلـى جانـب هـذا قـام الناقـد بتتبّـع مجموعـة مـن المبـادئ والخطـوات الإجرائيـة التـي جـاء بهـا الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن" وأهمهـا تجسـيده لعمليـة التفريـع الموضـوعاتي، حيـث نجـد الناقـد "وغليسـي" يبتكـر مصـطلح التشـجير وهـو كمقابـل للمصـطلح الـذي جـاء بـه "عبـد الكـريم حسـن"، وقـد اسـتعان الناقـد كـذلك بآليـات التحليـل النفسـي فـي دراسـته الموضـوعاتية علـى نحـو مـا لاحظنـاه فـي محاولتـه التطبيقيـة التـى عنونهـا بـ"الهاجس الإفريقي في ثلاثية محمد الفيتوري".

نجـد الناقـد يقـوم بدراسـة مركـب الـنقص أو العقـدة الدونيـة عنـد "الفيتـوري" علـى سـبيل المثـال، وهـذه العقـدة تُعـدُّ القاعـدة الأساسـية لعلـم الـنفس الفردانـي، إلـى جانـب دراسـته لآليـة التمـاهي، وهنـا يمكـن القـول أنّ الناقـد "يوسـف وغليسـي" لا يجـد حرجًـا فـي الاسـتعانة بآليـات التحليـل البنيـوي والنفسـي فـي دراسـته التطبيقيـة الموضـوعاتية. ولكن دراسته هي دراسة للموضوع وليست دراسة للموضوعاتية كما يزعم.

يُسـجل كـذلك علـى الناقـد "يوسـف وغليسـي" تـأثره بـ "جـان بـول ويبـر" حيـث تتبّعـه فـي قضـية اهتمامـه بمرحلـة الطفولـة باعتبارهـا تـؤثر فـي نتاجاتـه الأدبيّـة، غيـر أنّ "وغليسـي" لـم يسـلك الطريـق التـي سـلكها الناقـد "جـون بـول ويبـر" فـي دراسـته الموضـوعاتية، حينمـا راح يبـرز طريقـة تـأثير حـوادث الطفولـة فـي تكـوين شخصـية الأديـب، فهـو بـذلك قـد انحـرف عـن مسـار التحليـل الموضـوعاتي بخروجـه مـن دراسـة العمـل الأدبـي إلـى دراسـة شخصـية كاتبـه، والظـروف الاجتماعيـة التـي سـاهمت فـي النتـاج الأدبـي، هـذا ولا يمكـن أن نُغفـل ملاحظـة مهمـة مفادهـا أنّ الناقـد "وغليسـي" قـد حصـر مهمـة المـنهج الموضـوعاتي فـي تحليـل النصـوص الشـعرية فقـط، ولـم يطبّقـه علـى النصـوص النثريـة أيضًـا، وعلـى العمـوم يمكـن القـول أنّ دراسـة " وغليسـي " كانـت دراسـة للموضـوع وليسـت للموضـوعاتية. وبالتـالي فهـو لـم يطبّـق المـنهج الموضوعاتي في دراسته النقديّة.

خـاتمــة

خـــــاتمة:

تعتبـر المقاربــة الموضــوعاتية إحــدى المنــاهج النقديّــة النّصــانية المُعاصــرة التــي عانــت التهمـيش وقلــة الاهتمــام مــن قبــل المُتخصصــين فــي مجــال الدراســات النقديّــة الأدبيّــة. ويُعــد هــذا البحــث مُحاولــة للتعريــف بهــذه المقاربــة النقديّــة ورصــد أدواتهــا وآلياتهـا التـي تقـوم عليهـا فـي دراسـة وتحليـل الأعمـال الإبداعيـة، مـع التركيـز علـى واقـع هـذه المقاربــة فــي الخطــاب النقــدي الجزائــري المُعاصــر، وإبــراز الجهــود التــي قــام بهــا الـدكتور الناقـد " يوسـف وغليسـي " للتعريـف بهـذا المـنهج النقـدي وتطبيقـه علـى بعـض النصوص الشعرية.

ـ المـنهج الموضـوعاتي اتجـاه نقـدي غربـي المنشـأ، ظهـر فـي فرنسـا فـي سـتينيات القـرن العشـرين علـى يـد مجموعـة مـن الـروّاد مـن أمثـال: غاسـتون باشـلار، وجـورج بـولي، وجان بيار ريشار، وكذا جان بول ويبر، ... وغيرهم.

ــ يســعى النقــد الموضــوعاتي إلــى معرفــة النــواة الرحميــة المُشــكّلة للعمــل الإبــداعي، ونواة قد تشكّلت في مرحلة طفولة الأديب.

ـ للمـنهج الموضـوعاتي أصـول ومنـابع فكريـة يصـدر عنهـا كـالفكر الظـاهراتي، والفكـر الوجودي، والفكر الرومانسي.

ــ المــنهج الموضــوعاتي متفــتّح علــى بقيــة المنــاهج نقديّــة أخــرى كــالمنهج البنيــوي والمنهج الأسلوبي، والمنهج النفساني.

ــ يُسـخّر المـنهج الموضـوعاتي مجموعـة مـن الأدوات التـي يسـتند عليهـا فـي تحليلـه للعمــل الإبــداعي منهــا الحلوليــة وحريــة المــدخل والقــراءة المجهريــة وكــذا عنصــر التكرار.

ـ الآليـات الإجرائيـة التـي يقـوم عليهـا المـنهج الموضـوعاتي هـي معرفـة النـواة التـي انبثـق عنهـا العمـل الأدبـي، ثـم الكشـف عـن سلسـلة التعـديلات التـي تقـوم بهـا هـذه النـواة عبـر كامـل العمـل الأدبـي، مـع إرجـاع كـل العمـل الأدبـي إلـى موضـوعاتية واحـدة قـد تكون لها علاقة بحدث طفولي.

ـ يـرى الكثيـر مـن النّقـاد أنّ " غاسـتون باشـلار " هـو الرائـد الأول للنقـد الموضـوعاتي، ذلـك أنّـه اسـتطاع أن يؤسـس لهـذا المـنهج النقـدي بفضـل تخصّصـه فـي مجـال العلـوم ونزوعه الفينومينولوجي.

ـ لجـورج بـولي إسـهامات لا يمكـن تجاوزهـا فـي تطـوير المـنهج الموضـوعاتي، حيـث يُعـد كتابـه "الـوعي النقـدي (La conscience critique)" فـي قسـمه الأول جـزءًا مُهمًـا، فقـد تعـرض فيـه إلـى مسـارات أشـهر النُّقـاد جلّهـم موضـوعاتيون أو تـربطهم علاقـة بالموضـوعاتية. كمـا اهـتم بقضـية وعـي الإنسـان بذاتـه مـن خـلال عنصـرَي الزمان والمكان، وقد استند في ذلك إلى فلسفة "هنري برغسون".

ـ جهـود "جـان بيـار ريشـار" فـي التعريـف بـالمنهج الموضـوعاتي وآلياتـه كبيـرة جـدًّا، إذ أنّـه وضـع أسـس ومرتكـزات هـذا المـنهج النقـدي، كمـا قـام بـالتمييز بـين مفهـومي الموضـوع والموضـوعاتية، ثـم قـام بتوضـيح مهمـة النقـد الموضـوعاتي والتـي تكمـن فـي تحديـد موضـوعاتية الـنص، ثـم القيـام بتتبعهـا عبـر تعـديلاتها التـي تتجلـى فـي كـل مـرة، محققةً نمو النص وتقدّمَه حتى اكتماله.

ـ اسـتطاع "جـان بـون ويبـر" الـتخلص مـن كـل تـأثيرات التيـارات الفكريـة والنقديّـة كالوجوديـة والظاهراتيـة والماركسـية والتحليـل النفسـي، وبالتـالي كـان تحليلـه الموضـوعاتي مجهـودًا حقيقيًـا، حيـث رأى بـأنّ الـنص الأدبـي قـائم علـى موضـوعاتية واحـدة، مُسـتمدًا هـذه الفكـرة مـن فلسـفة "هنـري برغسـون" التـي تـرى بـأنّ النظـام الفلسـفي

كلـه يعـود إلـى أصـل واحـد، كمـا أنّـه ربـط هـذه النـواة الواحـدة المُشـكلة للعمـل الأدبـي بحادث وقع للمبدع في طفولته.

ــ المقاربـــة الموضـــوعاتية فـــي العـــالم العربـــي ضـــعيفة وغيـــر ناضـــجة بالمقارنـــة مـــع نظيرتهـا فـي العـالم الغربـي، فهـي تفتقـر إلـى الصـورة الواضـحة للمفـاهيم المؤسسـة لهـذه المقاربـــة النقديـــة، وذلـــك لوجـــود خلـــط فـــي هـــذه المفـــاهيم، واضـــطراب فـــي ترجمـــة المصطلحات من اللغة الأجنبية إلى العربيّة.

ــ المقاربـــة النقديـــة الموضـــوعاتية للـــدكتور "عبـــد الكـــريم حســـن" ســـابقة لكـــل التجـــارب الموضـــوعاتية العربيـــة لكنهـــا تنحـــرف عـــن الاتجـــاه الصـــحيح للنقـــد الموضـــوعاتي الـــذي حـــدده روّاده فـــي العـــالم الغربـــي، فعبـــد الكـــريم حســـن يقـــوم بالتقـــاط الموضـــوعات المهيمنـــة فـــي النصـــوص الأدبيّـــة، معتمـــدًا فـــي ذلـــك علـــى عنصـــر الإحصـــاء الـــذي أكّـــد "جان بيار ريشار" بقلة فعاليته في الدراسة الموضوعاتية.

ــ للناقـد المغربـي "سـعيد علـوش" كتـاب سـماه "النقـد الموضـوعاتي" وهـو لا يـدّعي فيـه تقـديم وصـفة جـاهزة للنقـد الموضـوعاتي، ولكنـه حـاول مـن خلالـه التحسـيس بهـذا المـنهج النقـدي، كمـا أنّـه قـام بعـرضٍ بيبليـوغرافيٍّ لنصـوص لنقـد الموضـوعاتي مـع الترجمة.

ــ يسـعى الناقـد "حميـد لحمـداني" مـن خـلال كتابـه "سـحر الموضـوع" إلـى الإعـلان عـن وجـود بعـض الممارسـات النقديّـة الموضـوعاتية فـي السـاحة النقديّـة العربيـة، كمـا قـام بتقديم مفهومه للنقد الموضوعاتي وتحديد أصوله النظرية والفلسفية.

ــ يقـوم الناقـد "محمـد مرتـاض" بـأول ممارسـة نقديـة موضـوعاتية جزائريـة، حيـث طبّـق "المـنهج الموضـوعاتي" علـى مجموعـة مـن القصـائد الشـعريّة الموجهـة إلـى الأطفـال فـي

الجزائـــر، لكـــن هـــذه الممارســـة التطبيقيـــة تعثّـــرت بعـــدم التزامهـــا بـــإجراءات النقـــد الموضوعاتي، فهي أقرب إلى المنهج البنيوي.

ـــ يُقـدّم الناقـد الجزائـري "محمـد السـعيد عبـدلي" المـنهج الموضـوعاتي فـي صـورته الحقيقيـة بشـكل واضـح مـن خـلال مـا جـاء فـي كتابـه " المـنهج الموضـوعاتي فـي النقـد الأدبـي: أسسـه وإجراءاتـه " مـن التنظيـر لهـذا المـنهج، كمـا أنّ ممارسـته الموضـوعاتية التطبيقيـة علـى "عـالم كاتـب ياسـين الأدبـي " صـورة حقيقيـة عكسـت بصـدق الفهـم الصـحيح لهـذا المـنهج فـي أدواتـه وآلياتـه التـي يعتمـد عليهـا فـي تحليـل الأعمـال الإبداعيـة، وهـو مـن منظورنـا أوّل ناقـد تفـرّد بهـذا المـنهج حتّـى لا يخـتلط مـع المنـاهج النقديـة الأخـرى، وقـد يعـود ذلـك إلـى أنّ الناقـد "عبـدلي" يسـتقي مفاهيمـه مـن مصـادرها الأصـلية ولا يعتمـد اعتمـادًا كليًّـا علـى الترجمـات ومـا يـنجم عنهـا مـن غيـاب عنصـر الدقّة.

ـــ لا يغيـب العنصـر النسـوي فـي التعـاطي مـع المقاربـة الموضـوعاتية، حيـث تقـوم الناقـدة الجزائريـة "مسـعودة لعـريط" بالبحـث فـي هـذه المقاربـة وتطبيقيهـا علـى بعـض الأعمـال الأدبيـة، لكنهـا اقتفـت أثـر الناقـد "عبـد الكـريم حسـن" ووقعـت فـي نفـس السقطات التي وقع فيها.

ـ يحـاول الناقـد "يوسـف وغليسـي" أن يؤسـس لمشـروع نقـدي كبيـر موضـوعه " النقـد الموضـوعاتي"، فـي التنـاول المعرفـي لهـذا الاتجـاه النقـدي، ويسـتعرض المفـاهيم المتعلقـة بهـذا المـنهج، ويقـوم بـثلاث محـاولات تطبيقيـة لهـذا المـنهج، لكنـه سـار كغيـره علـى منـوال الـدكتور "عبـد الكـريم حسـن"، فجـاءت محاولاتـه الموضـوعاتية فـي غيـر المسار الذي حدده أعلام النقد الموضوعاتي الغربيون لهذا المنهج النقدي.

ـ المـنهج الموضـوعاتي لـه مـن الأدوات والآليـات التـي تسـمح لـه بدراسـة الأعمـال الإبداعيـة وتحليلهـا، لكنـه لا يـزال يُعـاني التهمـيش وقلـة الاهتمـام، الأمـر الـذي جعـل منـه منهجًـا قليـل الحضـور والتنـاول فـي سـاحتنا النقديّـة العربيـة، وصـورته الحقيقـة تبـدو غامضـة، رغـم محـاولات الـبعض مـن نُقادنـا العـرب فـي تجليّـة هـذا الغمـوض، وهـي محـاولات لـم تسـتوعبه، بـل انحرفـت بـه مـن تحديـد موضـوعاتية الأديـب بـالرجوع إلـى طفولتـه، ثـم تتبّـع تجلياتهـا فـي جميـع أعمالـه الإبداعيـة، سـواء كانـت نثريـة أم شـعرية، إلـى التوجّـه إلـى دراسـة موضـوعات النصـوص الأدبيّـة، ممـا جعلهـا تَـدرُس فـي عمـل واحـد مجموعـة مـن الأعمـال لأدبـاء مختلفـين لأنّ همهـا دراسـة الموضـوع وليسـت الموضـوعاتية، فالموضـوع قـد يكـون مشـتركًا بـين الأدبـاء بينمـا لكـل مـنهم موضـوعاتيته الخاصة التي تقوم عليها جميع أعماله.

الملاحـــــق

ملحق للتعريف ببعض أعلام النقد الموضوعاتي في العالمين الغربي والعربي:

1/أعلام النقد الموضوعاتي في العالم الغربي:

1 ـ 1/غاستون باشلار(Gaston Bachelard):

هو فيلسوف ظاهري من أصل فرنسي، من مواليد: 27/ ماي / 1884. يُعدُّ من أبرز فلاسفة العلم المعاصرين، ذاع صيته واتسعت شهرته، حينما كرّس جزءًا كبيرًا من حياته وعمله لفلسفة العلوم، وقد أسهم كثيرًا في مجال الابستومولوجيا، حيث تركت إسهاماته آثارًا واضحة في فلسفة معاصريه ومن جاء بعده، اشتغل بالبريد، ثم عمل كمدرس لمادتي الفيزياء والكيمياء بين سنتي (1919 و1930)، ليواصل دراسته في مجال الفلسفة، فحصل على إجازة العام 1922، ليتحصل بعدها على شهادة الدكتوراه العام 1927 عن أطروحته الموسومة بـ " مقالة عن المعرفة التقريبية "، شغل كرسيَّ تاريخ وفلسفة العلم بالسوربون ما بين (1940 ــ 1950) توفي يوم: 16/ أكتوبر/ 1962 . وقد برز كواحد من أهم وأشهر المتخصصين في فلسفة العلوم، كما درس بعمق الوسائل التي يحصل بها الإنسان على المعرفة العلمية عن طريق العقل، حيث أنّه يُلقب بفيلسوف الخيال لأنّه اتخذ من المتخيّل الشعري موضوعًا له ومن أهم مؤلفاته في هذا المجال نذكر:

ـ التحليل النفسي للنار (La psychanalyse du feu) 1937.

ـ الماء والأحلام (L’eau et les rêves) 1940.

ـ الهواء وأضغاث الأحلام (L’air et les songes) 1942.

ـ التراب وأحلام يقظة الإرادة (La terre et les rêveries de la volonté) 1947.

ـ الأرض وأحلام يقظة الاستراحة (La terre et les rêveries de repos) 1948.

ـ شعرية الفضاء (La poétique de l’espace) 1957.

ـ شعرية حلم اليقظة (La poétique de la rêverie) 1960.

ـ لهب الشمعة (La flame d’une chandelle) 1961.

1 ـ 2/ جورج بولي (George Poulet):

ناقد بلجيكي من مواليد عام 1902، تحصل على الدكتوراه عام 1927 من جامعة " لياج" ثم شغل منصب أستاذ محاضرًا في جامعات أدنبرة (Edimbourg)، ثم أستاذًا للأدب الفرنسي في جامعة (Johns Hopkins) وبلتيمور(Baltimore)" 1952 " وزيوريخ (Zurich)" 1956 "ونيس" 1968 ". توفي العام 1991. نشر العديد من الكتب التي تُأسس للنقد الجديد، ومنها:

ـ دراسات حول الزمن الإنساني (Etudes sur le temps humain) 1950.

ـ المسافة الباطنية(La distance intérieure) 1952.

ـ تحولات الدائرة(Les métamorphoses du cercle) 1961.

ـ الفضاء البروستي (L’espace proustien) 1962.

ـ ثلاث مقالات في الأسطورة الرومانسية 1966 .

ـ الدروب الحالية للنقد(Les chemins actuels de la critique) 1967.

ـ الوعي النقدي(La conscience critique) 1971.

ـ الشعر المتفجر(La poésie éclatée) 1980.

ـ قياس اللحظة(Mesure de L’instant).

1 ـ 3/ جان بيار ريشار(Jean Pierre richard):

هـو الناقـد الأدبـي الفرنسـي الشـهير" جـان بيـار ريشـار" المولـود عـام 1922 فـي مرسـيليا، تخـرّج مـن المدرسـة العليـا للأسـاتذة العـام 1945، ونـال شـهادة الـدكتوراه ببحثـه عـن الشـاعر الفرنسـي مالارميـه سـنة 1961، بـدأ حياتـه النقديـة عـام 1954، وقـد شـغل " ريشـار" أسـتاذ الأدب المعاصـر فـي جامعـة السـوربون، أمضـى خمسًـا وعشـرين سـنة يـدرّس الأدب الفرنسـي فـي لنـدن ومدريـد، كمـا اسـتفاد مـن أطروحـات "باشلار" و"بوليه"، توفي في باريس عام 2019. من مؤلفاته:

ـ أدب وإحساس (Littérature et sensation) 1954.

ـ شعر وأعماق(Poésie et profondeur) 1955.

ـ العالم الخيالي لمالارميه (L'univers imaginaire de Mallarmé) 1961.

ـ إحـدى عشـرة دراسـة فـي الشـعر الحـديث (Onze études sur la poésie moderne) 1964.

ـ مشهد شاتوبريان (Paysage de chateaubriand) 1967.

ـ دراسات في الرومانسية (Etudes sur le romantisme) 1971.

ـ بروست والعالم المحسوس (Proust et le monde sensible) 1964.

ـ قراءات مجهرية (Microlectures) 1979.

ـ صفحات مشاهد (Pages paysages) 1984.

1 ـ 4/ جان بول ويبر(Jean-Paul Weber):

هـو ناقـد فرنسـي معاصـر عنـي بالنقـد الجـذري، ووضـع فـي هـذا المجـال عـدداً من الكتب، من أهمها:

ـ سيكولوجية الفنّ (La psychologie de l'art) 1958.

ـ تكوين العمل الشعري (Genésé de l'oeuvre poétique) 1961.

ـ ميادين موضوعاتية (Domaines thématiques) 1963.

ـ ستندال: البنـى الموضـوعاتية للأثـر والقـدر (Stendhal les structures thématiques de l'oeuvre et de destin) 1969.

2/أعلام النقد الموضوعاتي في العالم العربي:

2 ـ 1/عبد الكريم حسن:

هـو ناقـد وأكـاديمي سـوري، يعـدّ مـن المهتّمـين بشـكل كبيـر بالنقـد الموضـوعاتي، يعمـل كأسـتاذ لمـادة اللغـة العربيـة فـي جامعـة تشـرين، ولـه عـدة إصـدارات منهـا دراسـات نقديـة وأخرى أدبيـة، نذكر منها:

ـ الموضوعية البنيوية: دراسة في شعر السّياب (1983).

ـ المنهج الموضوعي، نظرية وتطبيق (1990).

ـ لغـة الشـعر فـي زهـرة الكيميـاء بـين تحـولات المعنـى ومعنـى التحـولات(1992).

ـ من البنية السطحية إلى البنية العميقة (1997).

2 ـ 2/ سعيد علوش:

هـو الأديـب والبروفيسـور المغربـي "سـعيد علـوش". مـن مواليـد عـام 1946 بمدينـة مكنـاس بـالمغرب، حاصـل علـى إجـازة فـي الأدب العربـي مـن جامعـة محمـد الخـامس بالربـاط سـنة (1970)، ثـم تحصّـل علـى شـهادة دكتـوراه سـنة (1976)، وكـذلك دكتـوراه الدولـة مـن جامعـة السـوربون سـنة(1982)، وقـد عمـل أسـتاذاً للتعلـيم العـالي، ثـم رئيسـاً لقسـم اللغـة العربيـة فـي كليـة الآداب فـي جامعـة محمـد الخـامس بالربـاط، وكـذلك عمـل أسـتاذاً معـاراً لجامعـة السـلطان قـابوس فـي سـلطنة عُمـان، ورئيسـاً للجمعيـة المغربيـة لـلأدب المقـارن، وأسـتاذًا لـلأدب المقـارن فـي كليـة الآداب بجامعـة محمـد الخـامس، شـغل منصـب مـدير مجلـة " الزمـان المغربـي " مـن عـام 1979 إلـى عـام 1984، ونشـر دراسـاته فـي مجموعـة مـن المجـلات مثـل: " المهـد " و" الفكـر العربـي المعاصـر "، و" الأقـلام العراقيـة، وحصـل علـى جـائزة الملـك فيصـل العالميـة فـي اللغـة العربيـة والأدب سـنة (1999) بالاشـتراك مـع مكـارم الغمـري. من مؤلفاته:

ـ النقد الموضوعاتي (1987).

ـ أزمة الأدب المقارن لروني ايتياميل " ترجمة " (1987).

ـ مدارس الأدب المقارن " دراسة منهجية " (1987).

ـ إشكالية الثقافة الخليجية في نقد النقد الأدبي العماني (1999).

ـ نقد المركزية العقائدية في نظرية الأدب الإسلامي(2002).

ـ نقد ثقافي أم حداثة سلفية (2007).

2 ـ 3/ حميد لحمداني:

هـو ناقـد وروائـي مغربـي معـروف ولـد فـي بلـدة بوعرفـة فـي المغـرب سـنة (1950) وتلقـى تعليمـه فـي مدرسـة النهضـة بمدينـة مكنـاس، حيـث أكمـل تعليمـه الجـامعي فـي كليـة الآداب والعلـوم الإنسـانية، بالمدرسـة العليـا للأسـاتذة فـي فـاس، فتخـرّج منهـا بشـهادة الدراسـات العليـا سـنة (1982)، ثـم حـاز علـى شـهادة دكتـوراه دولـة فـي الأدب الحـديث سـنة (1989) مـن كليـة الآداب بالربـاط. تقلّـد عـدة مناصـب منهـا منصـب أسـتاذ جـامعي فـي كليـة الآداب فـي جامعـة سـيدي محمـد بـن عبـد الله بفـاس، ومنصـب أسـتاذ للتعلـيم العـالي فـي الجامعـة نفسـها. نشـر روايتـه الشـهيرة "دهـاليز الحـبس القـديم " سـنة (1979)، ومقـال عـن الروايـة بمجلـة " أقـلام " المغربيـة، كـان عضـوًا فـي هيئـة تحريـر مجلـة " دراسـات أدبيـة ولسـانية " بـين سـنتي (1985) و(1987)، وهـو يحاضـر ويشـرف علـى رسـائل علميـة فـي مجـالات النقـد الحـديث والمعاصـر، والسـرديات، والسـيميائيات، والأسـلوبية، ونظريـة التلقـي. كمـا عمـل رئيسًـا لوحـدة التكـوين والبحـث فـي النقـد الأدبـي بـين النظريـة والتطبيـق (خـاص بالـدكتوراه) فـي كليـة الآداب. وتراوحـت نتاجاتـه الأدبيّـة والنقديّـة بـين الروايـة، والقصـة القصـيرة، والسـيرة الذاتيـة، والنقـد الأدبـي، والترجمـات عـن الفرنسـية والإنكليزيـة، فضـلاً عـن نشـر دراسـاته وأبحاثـه فـي الصـحف والمجـلات والـدوريات المغربيـة والعربيـة. لـه العديد من المؤلفات نذكر منها: ـ سحر الموضوع (1989).

ـ أسلوبية الرواية – مدخل نظري(1989).

ـ النقد الروائي والإيديولوجيا (1991).

ـ بنية النص السردي – من منظور النقد الأدبي (1991).

ـ القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي(2003).

2 ـ 4/ محمد السعيد عبدلي:

هـو البروفيسـور والناقـد الجزائـري المعـروف " محمـد السـعيد عبـدلي" مـن مواليـد شـهر ديسـمبر العـام 1951، أسـتاذ الأدب العربـي بجامعـة البليـدة، حاصـل علـى شـهادة دكتـوراه دولـة عـن أطروحتـه الموسـومة بـ"البنية الموضـوعاتية فـي عـوالم نجمـة لكاتـب ياسـين" سـنة 2003، شـغل رئـيس قسـم اللغـة العربيـة وآدابهـا، وكـذا رئـيس المجلـس العلمـي للكليـة، ومنصـب عميـد لكليـة الآداب واللغـات بجامعـة البليـدة، وأشـرف علـى العديـد مـن الرسـائل الجامعيـة، يعتبـر مـن المهتمـين بشـكل كبيـر بالنقـد الموضوعاتي، له عدة إصدارت نذكر منها:

ـ عالم كاتب ياسين الأدبي دراسة وفق المنهج الموضوعاتي 2009.

ـ المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته 2011.

2 ـ 5/ محمد مرتاض:

الباحـث والقـاص الجزائـري " محمـد مرتـاض " ولـد عـام 1941 بمنطقـة مسـيردة بولايـة تلمسـان، شـارك فـي الثـورة التحريريـة الجزائريـة المجيـدة، تحصّـل علـى شـهادة الليسـانس العـام 1971، اضـطرّ للتسـجيل فـي قسـم الدراسـات العليـا بـالجزائر العـام 1975، بعـد أن رفـض طلبـه فـي الالتحـاق بإحـدى الجامعـات العربيـة أو الغربيـة لنيـل شـهادة الـدكتوراه، ثـم تحصّـل علـى شـهادة الـدكتوراه فـي الأدب والنّقـد مـن جامعـة تلمسـان (الجزائـر) عـام 1994م. لـه مجموعـة مـن البحـوث والدّراسـات فـي النّقـد والقصّـة القصـيرة والرّوايـة والمسـرحيّة لـه مشـاركات إبداعيّـة أخـرى منشـورة فـي عـدد مـن المجـلاّت الأدبيّـة والثقافيـة العربيّـة، كمـا شـارك فـي العديـد مـن المـؤتمرات والنّـدوات الأدبيّـة، يعمـل حاليـاً أسـتاذاً لمـوادّ أدب الأطفـال، والأدب المغربـي القـديم، ونظريّـة القراءة، وتحليل الخطاب بكلية الآداب (جامعة تلمسان)، ومن مؤلّفاته:

ـ قصص قصيرة جزائرية (بالاشتراك).

ـ النّقيض (مجموعة قصصيّة).

ـ ثمن الحرّية (رواية).

ـ الانتهازيّة (مسرحيّة).

ـ الخطّ العربيّ وتاريخه.

ـ من قضايا أدب الأطفال.

ـ الموضوعاتيّة في شعر الطّفولة الجزائريّ.

2 ـ 6/ مسعودة لعريط:

أستاذة التعليم العالي بجامعة تيزي وزو، باحثة ومهتمة بالشأن الأدبي والنقدي وبأسئلة المرأة في الثقافة. لها العديد من المؤلفات في النقد والأدب، مع اهتمام كبير بقضايا المرأة ثقافيًا واجتماعيًا. لها العديد من المؤلفات، نذكر منها:

ـ قصص الأطفال في الجزائر ـ دراسة موضوعاتية.

ـ سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة.

ـ النقد الموضوعاتي.

2 ـ 7/ يوسف وغليسي:

هـو الناقـد الجزائـري يوسـف وغليسـي بـن سـعد مـن مواليـد 31/ 05 / 1970 بـأم الطـوب ولايـة سـكيكدة بالشـرق الجزائـري، حاصـل علـى شـهادة أسـتاذ النقـد الأدبـي ومناهجـه بجامعـة قسـنطينة1، ورئـيس اللجنـة العلميـة لقسـم الآداب واللغـة العربيـة، وكـذا عضـو اتحـاد الكتـاب الجزائـريين وعضـو مؤسـس لرابطـة «إبـداع» الثقافيـة الوطنيـة، وعضـو مخبـر السـرد العربـي بجامعـة قسـنطينة منـذ سـنة (1996). شـارك فـي عشـرات الملتقيـات الوطنيـة والدوليـة، قـدم الكثيـر مـن الأعمـال فـي مجـال الدراسـات النقديّة الأدبيّة، ومن بين أعماله النقدية نذكر البعض منها:

ـ الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض 2002

ـ النقد الجزائري المعاصر2002

ـ مناهج النقد الأدبي2007

ـ إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد 2008

ـ التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري 2017.

المصـادر والمراجـــع

المصـــادر والمراجـــع:

1/ المصادر:

1/1 المعاجم والقواميس:

1- إبراهيم مصطفى وآخرون، معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط4، 2004.

2- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1994.

3- أبو البقاء الكفوي، الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1998.

4- بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، مطابع تيبوبراس،1993.

5- جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط2، 1984.

6- جورج طرابيشي، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1987.

7- رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، دار الحكمة، الجزائر، ط1، 2000.

8- سمير حجازي، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، دار الراتب الجامعية، بيروت.

9- سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2001.

10- Dictionnaire de Français. Larousse. Paris. France. 2005.

2/1 الدواوين الشعرية:

1ـ حرز الله بوزيد، حديث الفصول، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1986.

2ـ محمد السائحي الأخضر، أناشيد النصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

3ـ محمد السائحي الأخضر، ديوان الأطفال، المكتبة الخضراء للطباعة، الجزائر، 2000.

4ـ محمد الفيتوري، أغاني إفريقيا، عاشق من إفريقيا، اذكريني يا إفريقيا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

5ـ محمد الفيتوري، الديوان، دار العودة، بيروت، ط3، 1979.

6ـ محمد ناصر، البراعم النديّة، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1985.

7ـ محمود درويش، الجدارية، رياض الرس للكتب والنشر، بيروت، 2001.

8ـ مصطفى الغماري، الفرحة الخضراء، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1985.

9ـ يحي مسعودي، نسمات، المؤسسة الوطنية للكتاب (قسم منشورات الأطفال)، الجزائر، 1986.

2/ المراجع:

1ـ انطوان خوري، مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1974.

2ـ جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، (نسخة إلكترونية) مكتبة المثقف، المغرب، ط1، 2015.

3ـ حميد لحمداني، سحر الموضوع، عن النقد الموضوعاتي في الرواية والشعر دراسات سال فاس، المغرب، ط2، 2014.

4ـ دنيال برجز (وآخرون)، مدخل إلى مناهج النقد الأدبي، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1997.

5ـ سعيد علوش، النقد الموضوعاتي، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع،الرباط، ط1، 1989.

6ـ صالح هويدي، المناهج النقدية الحداثية أسئلة ومقاربات، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2015.

7ـ الطاهر أحمد مكي، مناهج النقد الأدبي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1991.

8ـ عبد العزيز عتيق، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1972.

9ـ عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعاتي، شراع للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 1996.

10ـ عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990.

11ـ عبد الكريم حسن، المنهج الموضوعي النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1990.

12ـ عبد الكريم حسن، الموضوعاتية البنيوية: دراسة في شعر السّياب، المؤسسة الجامعية، بيروت، ط1، 1983.

14ـ عبد الملك مرتاض، في نظرية النقد، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط1، 2005.

15ـ فائق مصطفى وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث (منطلقات وتطبيقات)، مديرية دار الكتاب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط1، 1989.

16ـ محمد السعيد عبدلي، المنهج الموضوعاتي أسسه وإجراءاته، طبعة الجاحظية، الجزائر، ط1، 2011.

17ـ محمد السعيد عبدلي، عالم كاتب ياسين الأدبي دراسة وفق المنهج الموضوعاتي، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2009.

18ـ محمد عزّام، المنهج الموضوعي في النقد الأدبي، منشورات إتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ط1، 1999.

19ـ محمد مرتاض، الموضوعاتية في شعر الطفولة الجزائري، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2014.

20ـ مسعودة لعريط، النقد الموضوعاتي، منشورات اتحاد الكتّاب الجزائريين، 2006.

21ـ مسعودة لعريط، سردية الفضاء في الرواية النسائية المغاربيّة، موفم للنشر، الجزائر، 2013.

22ـ مسعودة لعريط، قصص الأطفال في الجزائر، دراسة موضوعاتية، دار هومة، د، ت.

23ـ نبيل أيوب، نص القارئ المختلف وسيميائية الخطاب النقدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 2011.

24ـ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2008.

25ـ يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2017.

26ـ يوسف وغليسي، التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري، كلام المنهج.. فعل الكلام، دار الريحانة للكتاب، الجزائر، ط1، 2007.

27ـ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط3، 2015.

28ـ يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة الثقافة المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر.

الرسائل الجامعية:

1ـ محمد السعيد عبدلي، البنية الموضوعاتية في عوالم نجمة لكاتب ياسين (أطروحة دكتوراه)، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2، 2003.

الدوريات والمجلات:

1ـ عبد الكريم حسن: (نقد المنهج الموضوعي)، **مجلة الفكر العربي المعاصر**، بيروت، لبنان، العددان: 44-45.

2ـ ميشيل كولو، النقد الموضوعاتي، تر. غسان السيد، **مجلة الآداب الأجنبية**، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، السنة 23، العدد 93، شتاء 1997.

مواقع الانترنيت:

1ـ جميل حمداوي، المقاربة النقدية الموضوعاتية، شبكة الألوكة، (www.alhkah.net) في 2011/04/28.

2ـ جميل حمداوي، المقاربة الموضوعاتية في النقد الأدبي، (www.doroob.com) دنيا الرأي في 22 ـ 09 ـ 2009.

3ـ جوزيف لبُّس، النقد الموضوعاتي، غاستون باشلار، م، س، (www dorarr ws).

4ـ محمد عزام، النقد الموضوعاتي، مجلة الموقف الأدبي، العدد 365، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، كانون الأول، 2000 (www. awu–dam .org).

5ـ محمد بلوحي، النقد الموضوعاتي(الأسس والمفاهيم)، مؤسسة واحة الدرر،(dorarr.ws)، 2011.

6ـ محمد عزام، النقد الموضوعاتي، م، (www. startimes.com). **في: 2012/05/14**.

ملخـــــص البحـــــث

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند المقاربة النقدية الموضوعاتية وإبراز تجلّياتها في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، وذلك بتسليط الضوء بالتحليل والنقاش على الأعمال التي أنجزت من قِبل النقاد الجزائريين عامة وبالخصوص الجهود النظرية والتطبيقية للناقد يوسف وغليسي، حيث تولّدت لدينا فكرة الاهتمام بهذا المنهج لمّا أدركنا فعاليته في تحليل الأعمال الأدبية، فهو يأخذ في رحلة بحثية شيّقة لمعرفة النواة التي انبثقت عنها أعمال كاتب ما، والكشف عن سلسلة التعديلات المتنوعة لهذه النواة.

حاولنا من خلال بحثنا المتواضع هذا أن نُجيب قدر الإمكان عن إشكالية كبيرة نصها: ما مدى حضور المنهج الموضوعاتي في الحركة النقدية الجزائرية المعاصرة؟ وكيف تم للخطاب النقدي الجزائري احتضان هذا المنهج من خلال المدونة النقدية للناقد الدكتور يوسف وغليسي؟

وقد استدعى عملنا هذا رصد أهم المفاهيم التي قدمّت للتعريف بهذا المنهج النقدي من قبل النقّاد في العالَمين الغربي والعربي، وكذا الكشف عن الأدوات والآليات التي يوظّفها في تحليل الأعمال الأدبية. ثم قمنا بعرض لأهم الأعمال النظرية والتطبيقية التي أنجزت في هذا المجال، مُركِّزين في ذلك على الأعمال التي قام بها الدكتور الناقد الجزائري " يوسف وغليسي " في هذا المضمار، لنختم عملنا هذا بتبيان رؤيتنا النقدية في تطبيق المنهج الموضوعاتي لدى هذا الناقد.

الكلمات المفتاحية: المقاربة الموضوعاتية، المنهج، التحليل، النواة، تعديلات.

Le résumé de la recherche:

Cette recherche vise à identifier l'approche critique thématique, et à mettre en valeur ses manifestations dans le discours critique algérien contemporain, en mettant en évidence l'analyse et la discussion des travaux faites par les critiques algériens en général et les efforts théoriques et pratiques du critique Yousef Oughlissi, en particulier ce qui a engendré chez nous l'idée de s'occuper de cette approche lorsque nous avons réalisé son efficacité dans l'analyse des œuvres littéraires Cette dernière nous emmène vers un voyage de recherche intéressant pour connaitre le noyau à partir les œuvres d'un écrivain et à travers les plusieurs modifications faites sur ce noyau.

nous avons essayé, à travers cet humble travail, de répondre autant que possible à une problématique majeure : A quel point la présence de l'approche thématique dans le mouvement critique contemporain ? Et comment le discours critique algérien a embrassé cette approche à travers l'ouvrage critique du Yousef Oughlissi.

Notre travail a exigé l'observation et la vérification des concepts nécessaires qui ont été présentés pour définir cette approche critique par les critiques occidentaux et arabes, et de montrer les outils et les mécanismes utilisés pour analyser les œuvres littéraires. Après, nous avons présenté les travaux théoriques et pratiques importants appliqués dans ce domaine et nous avons basé sur les œuvres du critique Yousef Oughlissi. Nous avons conclu notre travail en démontrant notre vision critique à l'application de la méthode thématique pour ce critique.

Mots-clés: approche thématique, curriculum, analyse, noyau, modulations.

Abstract:

This research aims at standing at the objective critical approach and highlights its manifestations in the Algerian contemporary critical discourse. This can be achieved by throwing the light, analysing and discussing the works of the main Algerian critics, in general and Youcef Oughlissi, in particular. Due to its importance and efficiency in analysing literary works, we have considered the importance of this approach which enables us to investigate all the literary works which result from the nucleus. Furthermore, it enables us to highlight the set of modifications which affect the nucleus

Through this modest research, we have tried, to some extent, to answer a major question " to what extent is the objective approach present in the Algerian contemporary critical movement?" "How has the Algerian contemporary critical movement adopted this approach through Dr Youcef Oughlissi"s critical work"

This research necessitates the detection of the main concepts presented in order to define this approach through Arabic and Western critics. Besides to discover the tools and mechanisms used when analysing literary works. We have presented the main theoretical and practical works undertaken in this field. We focused on Dr Youcef Oughlissi's works. We have finished this research by showing our critical vision in the implementation of this approach by Dr Youcef Oughlissi.

Keywords: thematic approach, curriculum, analysis, nucleus, modifications.

فهرس الموضوعات

الفهرس:.....

إهداء	1
مقدمة	أـ هـ
مدخل: تحوّلات النقد الأدبي	8
الفصل الأول: المنهج الموضوعاتي الروافد والأصول	14
تمهيد	14
1/ المنهج الموضوعاتي مفهومه ونشأته	14
1/1 مفهوم المنهج الموضوعاتي	14
1/1/1 المفهوم اللغوي	14
2/1/1 المفهوم الاصطلاحي	19
2/1 نشأة المنهج الموضوعاتي	22
2/ الأصول الفكرية للمنهج الموضوعاتي	24
1/2 الفكر الظاهراتي	24
2/2 الفكر الوجودي	27
3/2 الفكر الرومانسي	28
3/ علاقة المنهج الموضوعاتي بغيره من المناهج النقدية	30
1/3 المنهج البنيوي	30
2/3 المنهج الأسلوبي	32
3/3 المنهج النفساني	33
4/ الأدوات والآليات الإجرائية للمنهج الموضوعاتي	34
1/4 مرتكزات المقاربة الموضوعاتية	35
1/1/4 الإحصاء	35
2/1/4 التحليل	36
3/1/4 البناء	37
2/4 أدوات القراءة الموضوعاتية	37
1/2/4 الحلولية	37

2/2/4 حرية المدخل	38
3/2/4 القراءة المجهرية	39
4/2/4 التكرار	40
3/4 الآليات الإجرائية للمقاربة الموضوعاتية	41
1/3/4 تحديد موضوعاتية العمل الأدبي	41
2/3/4 الكشف عن سلسلة التعديلات التي تقوم بها موضوعاتية النص	43
الفصل الثاني:المقاربة الموضوعاتية (الجهود النظرية والمنجزات التطبيقية).	49
تمهيد	49
1/ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم الغربي	50
1/1 غاستون باشلار	50
2/1 جورج بولي	52
3/1 جان بيار ريشار	54
4/1 جان بول ويبر	61
2/ أعلام النقد الموضوعاتي في العالم العربي	64
1/2 عبد الكريم حسن	64
2/2 سعيد علوش	72
3/2 حميد لحمداني	77
4/2 محمد السعيد عبدلي	85
5/2 يوسف وغليسي	87
3/ المقاربة النقدية الموضوعاتية في الجزائر	88
1/3 محمد السعيد عبدلي	92
2/3 محمد مرتاض	103
3/3 مسعودة لعريط	111
الفصل الثالث: التجربة النقدية الموضوعاتية عند الناقد يوسف وغليسي	116
تمهيد	116

1/ الجهود النقدية النظرية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي	117
1/1 قراءة في كتابه " مناهج النقد الأدبي "	117
2/1 قراءة في كتابه " النقد الجزائري المعاصر "	120
3/1 قراءة في كتابه " التحليل الموضوعاتي للخطاب الشعري "	122
4/1 مفهوم النقد الموضوعاتي عند يوسف وغليسي	125
5/1 المرجعيات المعرفية في تطبيق المنهج الموضوعاتي عند يوسف وغليسي	128
2/ الجهود النقدية التطبيقية الموضوعاتية عند يوسف وغليسي	130
1/2 قراءة في محاولته الأولى: قصيدة الأطفال عند محمد الأخضر السائحي	130
1/1/2 هيمنة موضوع الوطن في ديوان " أناشيد النصر" عند السائحي	130
2/1/2 جماليات الوسيط وحضور المنهج السيميائي	132
3/1/2 جذور الموضوع في سيكولوجية السائحي	134
2/2 قراءة في محاولته الثانية: الهاجس الإفريقي في ثلاثية محمد الفيتوري	137
1/2/2 دراسة الموضوع	139
أ/ ماهية الموضوع	139
ب/ هيمنة الموضوع الإفريقي في ثلاثية الفيتوري	140
ج/ شجرة الموضوع	141
د/ البنية الإيقاعية وعلاقتها بالشبكة الموضوعاتية	143
3/2/2 دراسة الجذر	145
أ/ ماهية الجذر	145
ب/ الجذر الإفريقي في نفسية الفيتوري	146
3/2 قراءة في محاولته الثالثة: عقدة جلجامش (رهاب الموت ورُغاب الحياة)	149
1/3/2 الجملة الموضوعاتية	151
2/3/2 المعادلة الموضوعاتية	152
3/3/2 الكلمة المضادة للكلمة الموضوع	154
3/ مقارنة بين تجربة يوسف وغليسي الموضوعاتية والنماذج العربية الأخرى	155

4/ رؤية نقدية في تطبيق المنهج الموضوعاتي عند يوسف وغليسي	158
خاتمة	161
الملاحق	167
قائمة المصادر والمراجع	177
ملخص للبحث باللغة العربية	184
ملخص للبحث باللغة الفرنسية	185
ملخص للبحث باللغة الإنجليزية	186
فهرس الموضوعات	188